
الإبراهيمية
التَّاريخُ الدّيني والتَّوظيف
وردّ شبهاتِ دُعاتِها عن عالمية الرّسالة المحمَّديَّة
تأليف
فاتح الأحمد

اسم الكتاب: **الإبراهيميّة: التّاريخُ الدِّيني والتَّوظيف، وردّ شبهاتِ دُعاتِها عن عالمية الرّسالة المُحَمَّدِيّة.**

موضوع الكتاب: **الفكر الإسلامي، العقيدة الإسلامية، تاريخ الأفكار**

حجم الكتاب: **١٧سم ٢٤سم**

عدد الصفحات: **١٧٦ صفحة**



الإبراهيميّة

التّاريخُ الدِّيني والتَّوظيف،

وردّ شبهاتِ دُعاتِها عن عالمية الرّسالة المُحَمَّدِيّة.



الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ -٢٠٢٤م

"نُشِرَ هذا الكتابُ إبّان حرب الإبادة الجماعيّة التي ترتكبها العصابات الصّهيونية في ثغر غزّة الأبيّة و مدن الضفة الغربية بعد عبور السابع من أكتوبر الذي عرقل استكمال مشروع الاتّفاقيّات الإبراهيميّة، وهو ما كان يعوّل الكيان الصهيوني عليه في تطبيع العلاقات الصّهيو-عربيّة على المستويين الحكوميّ والشّعبيّ بغية تصفيةِ القضيّةِ الفلسطينيّة بعد عَزلِ فلسطينَ عن عُمقِها الإسلاميِّ والعربيّ وتهجير أهلها، تمهيدًا لتهويدِ ما تبقَّى منها، وتوطئةً لبناء هيكل سليمان -المزعوم- على أنقاض المسجد الأقصى المبارك. كل ذلك في ظلّ تخاذلٍ وتآمرٍ غيرِ مسبوقَينِ من بعض الدول العربية على المستوى الإعلامي والأمني واللّوجستي بمدّهم جسور العار بَرًّا وبحرًا وجَوًّا للعدوَّ الصّهيونيّ وموالاته بحصار المرابطين في أكناف بيت المقدس".

المصنّف

بسم الله الرحمن الرحيم

ديباجة الكتاب

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على خاتمِ المرسلين ورَحمةِ الله للعالمين، وعلى جدّه أبي الأنبياء إبراهيم، وعلى آلِه وصحبِه والتَّابعين.

وبعد، فلا شيءَ أوجبَ على طالبِ العلمِ من الرّباط في ثغرٍ من ثغور الإسلام الفكريّة، ممتَشِقًا يراعَه، يدفعُ عن أمّته ما نزل بسَاحِها من أفكارٍ دخيلةٍ تضادّ ركائز الإسلام وثوابته، يقارعُها ببوارِقِ الحُجَج ويجالدُها بصَوارِمِ البَراهين.

ومن أخطرِ تِلكمُ الأفكار الّتي فَشَتْ في العَقدين الأخيرين سِمَامُهَا على المستويين الدّينيِّ والسّياسيّ: ضلالةُ **"الإبراهيميّة"**.

ما الإبراهيمية؟

"الإبراهيميّة" لها شِقَّان: دينيّ وآخرُ سياسيّ، وهي في شِقِّها الدّينيّ: فكرةٌ تقوم على الطّعن في عالميّةِ الرّسالة المُحمَّديّة ونَسخِها للشّرائعِ السَّابقة، وقد تُدُووِلت مؤخّرًا في فضاءِ مشروعين فكريّين:

أوّلُهما هو "المشروعُ الحداثيّ العربيّ" الهادف إلى اسْتِلابِ الثّقافة الإسلاميّة وتذويب ثوابتها، والاستعاضة عنها بمفاهيم الحضارة الغربيّة الحديثة.

وثانيهما "مشروعُ التّصوف الفلسفيّ" الّذي يتقاطع مع **الإبراهيميّة** الدّينيّة، ويتخذ هذا المشروع منحيين: منحى التّأويلِ الرّمزيّ لعذابِ النّار، أو انقلابه عُذوبَةً جَريًّا على ما نسب لابن عربي الحاتمي، ليؤولَ مصيرُ جميعِ الأمَمِ وفيهم اليهود والنّصارى بل والمُلحِدون للنَّعيمِ المقُيم.

والمنحى الثّاني: عقيدةُ اتّحادِ الخالق بالمخلوق الّتي افتراها «الحسين بن

منصور الحلاج»، وتبعه عليها عددٌ من دعاة **الإبراهيميّة** الدّينيّة على رأسهم المستشرق الكاثوليكيّ الفرنسيّ "لويس ماسينيون" في القرن المنصرم، وغيره من المنتسبين للإسلام.

وأمّا في شقّه السّياسيّ، فمشروعُ "**الإبراهيميّة**" أو "**الاتّفاقيّات الإبراهيميّة**" **Abraham Accords** ": مشروع سياسيّ تطبيعيّ تأْمُلُ الولايات المتّحدة وحليفَتُها إسرائيلُ من خلال إملائه على الدّولِ الإسلاميّة على المستويين الحكوميّ والشّعبيّ: إِلى تصفيةِ القضيّةِ الفلسطينيّة عبرَ عزل فلسطينَ عن محيطها الإسلاميِّ، تمهيدًا لتهويدِ ما تبقّى منها وتوطئةً لبناء هيكل سليمان -المزعوم- على أنقاض المسجد الأقصى المبارك.

وتعمل «**الإبراهيمية السياسية**» على توظيف مخرجات «**الإبراهيميّة الدّينيّة**» بقِسْمَيْها الحداثيّ والصّوفيّ الفلسفيّ في غيرها من أفكارٍ بالتّمكين لمُنَظِّريها ودعاتِها في وسائلِ الإعلامِ ومنصّاتِ التّواصل الاجتماعيّ، مع الإيعازِ بإقصاءِ كلّ تيارٍ إسلاميٍّ يظهر ممانعةً لمشروعها "الصهيو-تطبيعي".

وقد جاءت الدراسة لكشفِ اللّثامِ عن ضلالَةِ **الإبراهيميّة** بشقَّيها الدّينيّ والسّياسيّ، وبيانِ وجوهِ مكر دعاتِها في استدراجهم لعوامِّ المسلمين، وإيضاحِ غَوائِلِهم في تلبيسِهم وخداعِهم، وإبرازِ فضائِحهم وقبائِحهم، بما يُفضِي إلى هَتكِ أَستارِهم وكَشفِ غَورِ عَوارِهم، ذبّا عن الحقّ المبيّن وإقامةً لحجّة الدّين وقطعًا لدابِرِ الحداثيّين والمطبّعين.

عناصِرُ الدِّراسة:

جاءت هذه الدّراسة في بابين رئيسين:

تَناوَلَـتْ في بابهـا **الأول، الإبراهيميّـة** كفِكـرَة، بشـقَّيها الدِّينـي والسّـياسي، فعَرَضـت في **الفَصـلِ الأوّل** لتاريـخ **الإبراهيميّـة** الدّينيّـة: بدايـة مـن العهـد النّبـويّ إلى زماننا الحالي شرقًـا وغربًـا، مـع تسـليط الضـوءَ عـلى إبراهيميّـة التّيـار الحـداثي، وإبراهيميـة التصوف الفلسـفي، مـع تحريـر مفهومهـا وبيـان تمظهراتهـا ومناهجهـا وأهـم مصطلحاتها.

وفي **الفصـــل الثـــاني** مـــن البـــاب **الأول** تناولـــت: الإبراهيميـــة السياســـية، وأبـــرزَ المؤسسـاتِ والمنتديـاتِ الدّاعِمَـةِ والمرُوَّجِـةَ لهـا، كـما سـلّطتُ الضَـوءَ عـلى مجالات التطبيـع "الصهيو-عربيـة" السّـبعة: وهـي:

المجـال الدينّـي والأكاديمـي، والإعلامـي، والاقتصـادي، ومجـال السّـياحة الدّينيّة، والمجالـين الثّقـافي والفنّـي، والأمني والعسـكري.

وتناولـت الدراسـة في بابهـا الثـاني: إقامـة الدلالـة عـلى عمـوم الرسـالة المحمّديّـة، وردّ مطاعـن **الإبراهيميّـة** الدّينيّـة عنهـا بنقـض أبـرز شـبهاتها قديمًـا وحديثًـا مُعَـوِّلًا عـلى المنظومـة المعرفيـة الإسـلاميّة، مـع بيـان مثـاراتِ الغَلَـطِ عنـد دعاتِهـا.

الباب الأول: فكرة «الإبراهيميّة».

لم تَعُد الدّراسات التّاريخيّة المعاصرةُ قاصرةً على سرد الوقائع التّاريخيّة للأمم وفق خطّها الزّمنيّ مع الكشفِ عن أسباب ظهورها، بل تعدّتها إلى دراسة «الأفكار» الّتي لابستها وأثّرتْ فيها وتأثّرت. وهذا اللّون مِن الدّراسات التّاريخيّة هو الّذي يحيا في ذاكرة الأمم ليكون قابلاً للاعتبار، بل وللتّجنيد في معارك الأمّة الفكريّة المصيريّة.

ومن هنا جاءت دراسة **الإبراهيميّة** كفكرةٍ دينيّةٍ وسياسيّةٍ، من خلال رصد بذورها فتطوّرها وامتداداتها، مع تحليل البيئة الّتي نشأت فيها ومدى تأثّرها وتأثيرها، ثمّ الحكم على مخرَجاتِها بمعزلٍ عن ظرفها التّاريخيّ.

و**الإبراهيميّة** في جانبها الدّينّي يمكن ردّها تاريخيًا إلى قسمين: قسمٍ ظهر لظروفٍ وقتيّةٍ عارضةٍ ثمّ اضمحلّ لانتفاءِ ما يقتضيه، كما في ظهورها مع ابن صيّاد في العهد النّبويّ، ومع بعض طوائف اليهود فيما بعد، وقسمٍ ثان ظهر كفكرةٍ تأثّرت بغيرها من الأفكار ومرّت بمراحل، وكان لها تأثيرٌ وامتدادٌ كما هو الحال مع "**الإبراهيميّة الحداثيّة**" الّتي ترجع جذورها إلى جمال الدّين الأفغاني ومحمّد عبده، وامتدّت إلى زماننا هذا، وكما هو الحال مع إبراهيميّة التّصوّف الفلسفيّ الّتي تأثّرت بعقيدة الحلّاج وما نسب لابن عربي.

وأمّا مشروع **الاتّفاقيّات الإبراهيميّة "Abraham Accords"** السّياسيّ فيهدف بالمقام الأوّل إلى تصفيةِ القضيّة الفلسطينيّة عبر التّرويج لتطبيع العلاقات بين إسرائيل من جهة والدّول العربيّة والإسلاميّة من جهة أخرى، على مستوى الحكومات والشّعوب وفي مجالات مختلفة، بغية عزلِ فلسطينَ وأهلِها عن محيطها العربيّ والإسلاميّ. وهم يؤمِّلون في نهاية المطاف الوصولَ إلى تحالفاتٍ عربيّةٍ - صهيونيةٍ من شأنها أن ترسخ لوجودٍ طبيعيّ للكيان الصهيوني في فلسطين التاريخية وأجزاء من الوطن العربي.

وَوَجهُ ارتباطِ هذا المشروع السّياسيّ بإبراهيمَ - عليه السّلام - يرجع إلى انتساب أطرافِ الصّراع في فلسطين إليه، حيث ينتسُب المسلمون لنبيّهم محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو من ذريّة إسماعيل بن إبراهيم، بينما ينتسب اليهود إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، كما ينتسب حلفاؤهم في الغرب المسيحيّ إلى المسيح بن مريم، وهي من ذريّة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، على نبيّنا وعليهم جميعًا الصّلاة والسّلام.

ويُعمِلُ دعاة **الإبراهيميّة** السّياسيّة في سبيل ترسيخها في نفوس عوامّ المسلمين وسائلَ شتّى منها: تمويل القنوات الإعلاميّة، والعبث بالمناهج الدّراسيّة لتسميم أفكار النّشء، وعقد ورش العمل وبرامج التّدريب المشتركة لكسر الحاجز النّفسيّ بين الأمّة وأعدائها تمهيدًا للتّطبيع في العلاقات، وإقامة البرامج التّنمويّة والإغاثيّة الّتي تستغلُّ حاجة الدّول والشّعوب لتمرير العقائد والأفكار، ناهيك عن ضغوط صندوق النّقد الدوليّ على الدّول الإسلاميّة الفقيرة لفرض أجندات الدّول الكبرى عليها، ليتم من خلال كلّ ذلك - وبالتّدريج - السّيطرة على العقل الجمعيّ للمسلمين وتوجيهه نحو تبنّي أفكارٍ معينةٍ تخدم مصالحهم. كما لا يخفى إذكاؤهم للنّعرات القوميّة والجِهويّة والمذهبيّة، وإيقادُ جُذَا الحروب بينها.

ولعلَّ أخطر أدوات **الإبراهيميّة** السّياسيّة هو ما أسمَوه بمسار "الدّبلوماسيّة الرّوحيّة" والذي يمتاز عن "الدّبلوماسيّة التّقليديّة" باشتباكه مع قواعد المسلمين الشّعبيّة، وقد مكّنوا في سبيل التّمهيد لها لتيّاراتٍ إسلاميّةٍ وظيفيّةٍ يسهل امتطاؤها كبعض الصّوفيّة والحداثيّين، فتقاطع المشروع التّطبيعيّ مع المشروعين الصّوفيّ والحداثيّ. ومَكْمَنُ الخطورةِ في ذلك أنّه يمُرَّرُ عن طريق أقوامٍ من جلدتنا: يدينون بديننا ويتكلّمون بألسنتنا، وتحت عناوينَ رنّانةٍ كـ «الحوار بين الأديان» و «تحقيق السّلام بين أتباع الأديان **الإبراهيميّة**" . . . إلخ.

الفصل الأول: تاريخ «الإبراهيميّة الدّينيّة» ومفهومُها.

أولًا، تاريخ «الإبراهيميّة الدّينية».

لم تكن دَعوى نجاةِ أتباعِ الأديان الثّلاثة -الإسلام واليهوديّة والنّصرانيّة- بعد البعثة المُحمَّديّة وليدةَ الحداثة، وإن كنّا قد وجدنا صداها الواسع في عالمنا الإسلاميّ في العقدين الأخيرين، ففكرة **الإبراهيميّة** القائمة على الطّعن في عالميّة الرِّسالة المُحمَّديّة وخاتميَّتِها ونسخها للشّرائع السَّابقة قد ظهرت في العهد المدنيّ من حياة نبيّنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولم تزل هذه الفكرة الدّينيّة تظهر تارةً وتضمحلّ أخرى عند أهل الكتاب، بل عند بعض المنتسبين للإسلام لدوافع مختلفةٍ يأتي ذكرها تباعًا، إلّا أنّ **الإبراهيميّة** كمشروعٍ فكريٍّ دينيٍّ له بذورُه وأطوارُه وامتدادُه لم يرصد إلّا مع التّيار الحداثي العربيّ، وفي فكر أهل التّصوّف الفلسفيّ مع المستشرق الفرنسيّ ماسينيون في القرن الفارط، وفي أدبيات بعض المستشرقين في القرنين الثّالث والرّابع عشر.

وتمكنُ خطورةُ **الإبراهيميّة** الدّينيّة - بالإضافة إلى طعنها في عالميّة الرِّسالة المُحمَّديّة - في خدمتها لمشروعِ «**الإبراهيميّة** السّياسيّة» عبر ترسيخِ فكرةِ صحّة التَّعبد باليهوديّة بعد البِعثَةِ المحمديّة، وبالتّالي مشروعيّة بناء الكُنُس لممارسة طقوس العبادة التُّلمودِيّة. وهذا لعَمري يُسبغُ الشَّرعِيَّة الدّينيّة على مخطط إعادةِ بناءِ هيكل سليمان المزعوم على جبل الهيكل (جبل موريا) موقع المسجد الأقصى اليوم؛ فمشروعيةُ إعادة بناء الهيكل فرعُ مشروعيةِ التَّعبد بالشّريعة اليهوديّة.

"الإبراهيميّة" في العهد النّبويّ.

ما إنْ سَمِعَ الأنصارُ بخروج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكّة، حتى حَرَصُوا على الخروج كلَّ يوم بعد صلاة الفجر إلى ظاهر المدينة، ينتظرونه، فما يبرحون حتى تغلبَهم الشمسُ على الظلال، فيدخلونَ بيوتهم، إلى أن رآه - وللمفارقة - ذات يوم أحدُ يهودِ المدينة فَبَشَّرَ الأنصارَ بقدومه، وكان من جملة تدبيره عليه السلام عقب دخوله: أنْ عاهدَ يهودَ المدينة، وأَقَرَّهم على دينهم وأموالهم، وشَرَطَ لهم واشترَطَ عليهم.[1]

وكان من جملةِ يهود المدينة: فَتًى يهوديٌّ يقال له ابنُ صَيّاد[2]، كان عمر بنُ الخطاب -رضي الله عنه- يحلف في حضرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه الدّجال ولا يُنكِر عليه[3]، وكان أن انطلق عليه السلامُ يومًا ومعه عُمَرُ -رضي الله عنه- «في رَهْطٍ قِبَلَ ابنِ صَيَّادٍ، حتَّى وجَدُوهُ يَلعَبُ مع الصِّبيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٥٠١.

(٢) وقيل هو أحد الدجاجلة، وقيل: كان مسلما لأنّه أسلم ودخل مكة والمدينة ومات فيها وولد له فيها، وأجيب عنه: بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر صفته وقت خروجه آخر الزمان، ولذلك التبس أمره على بعض الصحابة كأبي سعيد الخدري، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري، قال: صحبت ابن صائد إلى مكة، فقال لي: أما قد لقيت من الناس، يزعمون أني الدجال، ألست سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «إنه لا يولد له» قال: قلت: بلى، قال: فقد ولد لي، أوليس سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «لا يدخل المدينة ولا مكة» قلت: بلى، قال: فقد ولدت بالمدينة، وهذا أنا أريد مكة، قال: ثم قال لي في آخر قوله: أما، والله إني لأعلم مولده ومكانه وأين هو، قال: فلبسني. (لبسني: أي: جعلني ألتبس في أمره).

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. صحيح مسلم (تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، رقم ٢٩٢٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ورجّح ابن حجر العسقلاني -جمعا بين الأدلة- كونه شيطانًا «تَبَدَّى في صورة الدّجال في تلك المدّة، إلى أن توجّه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه، إلى أن تجيء المدة الّتي قدّر الله تعالى خروجه فيها»

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (١٣٧٩ ه). فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، ج ١٣، ص ٣٢٨.

(٣) روى البخاري في صحيحه، عن محمّد بن المنكدر قال: «رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصياد الدجال»، قلت: «تحلف بالله؟»، قال: «إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم ينكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». ينظر: البخاري، محمّد بن إسماعيل الجعفي (١٩٨٧م). صحيح البخاري مصدر سابق، رقم: ٦٩٢٢.

(والأطم بناء كالحِصن)، قدْ قارَبَ ابنُ صَيَّادٍ الحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حتَّى ضَرَبَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِهِ، ثُمَّ قالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: تَشْهَدُ أنِّي رَسولُ اللَّهِ؟، فَنَظَرَ إلَيْهِ ابنُ صَيَّادٍ، فَقالَ: أشْهَدُ أنَّكَ رَسولُ الأُمِّيِّينَ»[١]، يريد بهم: وثنيي العرب، وهذا إنّما يُنبيك عن موقف يهود المدينة أو بعضِهم مِن جَحدِ عالمية الرِّسالة المُحمَّديّة ونسخَها للشّريعة اليهوديّة.

ويُعتَبرُ هذا الموقفُ من يهودِ المدينة من بواكيرِ مظاهر **الإبراهيميّة** الدّينيّة، والنّاظرُ في حال يهود المدينة بعد البعثة لا تَفوتُهُ حقيقةُ خَشيتِهم من أن يستحوذَ الإسلامُ على قلوب أتباعهم، فقد كان أحبارُهم يعرفونه بصفته في التَّوراة كما يعرف أحدُهم أبناءَه، بل كانوا يقطعون بصِدقِه في مقام البلاغ عن الله لِما جاءهم به من بيّنات وآيات أجراها الله على لسانه ويديه؛ ولذلك اتخذوا مَوقِفًا وسطًا راموا من خلاله الحِفاظَ على استقلالهم الدّيني عن الدعوة المُحمَّديّة، فأثبتوا له النُّبوَّة -تَقيّةً على جهة النّفاق- إلاّ أنّهم قصَروها على وثنيِّي العرب، وجَحَدوا نَسخَها لشريعتهم، وما هذا إلا لونٌ من ألوان **الإبراهيميّة**.

(١) متفق عليه، واللّفظ للبخاري. صحيح البخاري، رقم: ١٢٨٩.

"الإبراهيميّة" في بدايات القرن الهجري الثاني.

مع انتشار الإسلام في أصقاعٍ واسعةٍ خارجَ الجزيرة العربية والتّمكين للمسلمين في عهد صدر الإسلام ثم العهدين الأمويّ والعباسيّ، ظهرت فكرةُ **الإبراهيميّة** مرّةً أخرى في بدايات القرن الثاني الهجري مع زعيم الطائفة العِيسَوِيَّة اليهوديّة «أبي عيسى الأصبهاني»؛ فقد ذكر الشّهرستاني أنَّه « كان في زمن المنصور وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمّد الحِمَار[١] (ت: ١٣٢ هـ) فاتّبعه بشرٌ كثير من اليهود وادّعوا له آيات ومعجزات" [٢]، وقد أقّر بنبوة نبيّنا محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزعم إرسالَه إلى خصوص عَرَبِ الجاهلية (الأميّين) دون غيرهم من الأمم، ومن مقالاتِهم:أنَّ عيسى بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل، وأنّه أحدُ أَنبياءِ بَنِي إِسرائيل، وأنّ محمّدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيٌّ أرسلَه الله تعالى بشرائِعِ القُرآنِ إلى بني إسماعيل عليه السلام وإلى سائر العرب، كما كان أيوبُ نَبِيًّا في بني عِيص، وكما كان بلعام نَبِيًّا في بني موآب" [٣]، وزعم د. محمود قدح أنّه: «قد بقيت من هذه الطائفة بقية في أصبهان ودمشق والعراق إلى القرن العاشر الميلادي ثم انقرضت». [٤]

ثم ظهرت الفكرة لاحقًا مع الشَّاركانِيَّة اليهوديّة الّتي زعمت أنّ الله تعالى أرسل نَبِيَّه محمّدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إرسالاً دِينيًّا للنّاس كافّةً باستثناءِ المُوَحِّدين من أهل الكتاب، و"الشَّاركانية" طائفة يهودية منتسبة إلى "شاركان" اليهوديِّ الذي كان يقول: "إن محمّدا رسولُ الله إلى العَرَبِ وإلى سائر النّاس ما خَلا اليَهود،

(١) سمي بذلك لشدة صبره في الحرب.

(٢) الشهرستاني، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، الملل والنّحل، ج١، ص ٢١٣-٢١٤، مؤسسة الحلبي.

(٣) ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد القرطبي الظاهري. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص٨٢، مكتبة الخانجي، القاهرة. وقال ابن حزم في أبي عيسى الأصبهاني: « وبلغني أن اسمه كان محمّد بن عيسى ».

وقال الشهرستاني: « العيسوية: نسبوا إلى أبي عيسى إسحق بن يعقوب الأصفهاني، وقيل: إن اسمه عوفيد الوهيم أي عابد الله ». ينظر: الشهرستاني، الملل والنّحل، مصدر سابق، ج ١ ص ٢١٣-٢١٤.

(٤) ينظر: أبو البقاء الهاشمي، صالح بن الحسين الجعفري (١٩٩٨م). تخجيل من حرّف التَّوراة والإنجيل (تحقيق: محمود قدح)، ج٢، ص ٥٣٣، الحاشية، مكتبة العبيكان، السعودية.

وأنّـه قـال: إنّ القـرآن حـقٌّ، وكلّ الأذان والإقامـة والصلـوات الخمـس وصيـام شـهر رمضـان وحـجّ الكعبـة كلّ ذلـك حـقٌّ، غَـيرَ أَنَّـه مـشروعٌ للمُسـلِمينَ دُونَ اليَهـود، وربمـا فعـل ذلـك بعـض الشَّـارَكانِيَّة قـد أقـرّوا بشـهادَتيَ أن لا إلـه الا اللـه، وأنَّ محمّـدا رسـولُ اللـه، وأقـرّوا بـأنَّ دينـه حـقّ». وقـد قـال فيهـم عبـد القاهـر البغـداديّ (٤٢٩ هــ): "ومـا هـم مـع ذلـك مِـن أُمَّـةِ الإِسـلام لِقَولِهـم بـأنَّ شريعـةَ الإسـلامِ لا تَلزَمُهـم" [١]، وكان زمان ظهـور هـذه الفكـرة مـع الشّـاركانية في فـترة سـبقت بدايـات القـرن الرابـع الهجـري، فقـد نقـل البغـداديّ مقالتَهـم في كتابـه: «الفصـل بـين الفـرق» عـن أبي القاسـم عبـد اللـه بـن أحمـد البلخـيّ الكعبـيّ والمتُـوفى عـام (٣١٩هــ).

والناظـرُ في حـال العيسـويّة والشـاركانيّة لا تَفُوتُـه حقيقـة دافعهـم لتبنـي **الإبراهيميّـة** مـن تحصـين الأتبـاع مـن التأثـير الفكـري الطاغـي للإسـلام بمـا تضمنـه مـن حجـج عـلى صوابـه، ولمـا للإسـلام مـن يـدٍ عليـا في الملـك والحكـم، وأمـارةُ ذلـك دخـول كثـير مـن أهـل الكتابـين في الإسـلام خـلال القـرون الّتـي تلـت الفتوحـات الإسـلامية الأولى.

---

(١) عبـد القاهـر البغـدادي، عبـد القاهـر بـن طاهـر التميمـي الأسـفراييني، أبـو منصـور (١٩٧٧م)، الفـرق بـين الفـرق، ص ١٠، دار الآفـاق الجديـدة، بـيروت.

"الإبراهيميّة" مع بدايات الدّراسات الاستشراقية.

تعتبرُ الرِّسالة الّتي أرسلها أحدُ الجَدَلِيّين النّصارى من أهل قبرصَ إلى كلٍّ من الإمامَيْن تقيِّ الدّين أحمدَ بنِ تيميةَ (ت: ٧٢٨ هـ، ١٣٢٧م) وشمسِ الدّين محمّد بنِ أبي طالب الأنصاريّ الدمشقيّ (ت: ٧٢٧هـ) أُولى الدّراسات الاستشراقيّة والجدليّات النّصرانيّة الّتي وصلتَنا والّتي تطرقت لفكرة **الإبراهيميّة** الدّينيّةِ.

وقد تميّزت هذه الرِّسالة بإقامةِ الدليلِ القرآنيِّ على إثباتِ صوابية أصول عقائد النّصارى، وأصلُ هذه الرِّسالة للراهب النصرانيّ: بولص الأنطاكيّ (Paul of Antioch) أسقف صيدا -كان حيًّا في أوائل القرن السابع الهجري)١٢٦٠م) -، وعنوانها: «الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصَّحيح، والرأي المستقيم" [١]، وكان قد أرسلها الراهب بولص إلى بعض أصدقائه من مسلمي صيدا، وضَمَّنَها خلاصَةَ معتقد النّصارى في الإسلام، ودَلَّلَ فيها على صحّة الدِّيانةِ النّصرانيّة من القرآن، وكان من جملةِ ما ذَكَرَ فيها أنّ العالَم لا يحتاج إلى القرآن إذ جاءت التَّوراة بشريعة العدل، وجاء الإنجيل بشريعة الفضل. [٢]

وقد رجَّحَ الباحث الأمريكي وبروفيسور الدراسات النّصرانيّة المبكرة «سيدني غريفيث» (Sidney H. Griffith) أن تكون رسالة بولص الأنطاكيّ هي الّتي انتهض للردِّ عليها الإمامُ شهابُ الدّين القرافيّ في كتابه «الأجوبةُ الفاخرة على الأسئلة الفاجرة»، وذكر أنّ القرافيّ فنّد حُجَجَهُ واحدةً تلو الأخرى [٣]، ويظهرُ من عنوان الرِّسالة -الذي حَفِظَه لنا ابنُ تيمية في كتابه «الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح»- أنها كتبت إبان حكم الدولة الإلخانية المغولية لشرق حوض البحر الأبيض المتوسط حيث لم يكن ثمة وجودٌ صليبي أو لاتينيٌّ في صيدا، وقُدِّرَ وقت كتابتها بأوائل القرن الثالث عشر الميلادي.

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (١٤١٤ هـ). الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح (تحقيق: علي حسن ناصر، عبد العزيز إبراهيم العسكر، حمدان محمّد)، ط ١، ج١، ص ٥٩، دار العاصمة، الرياض.

(٢) ينظر: عبد المحسن، عبد الراضي محمّد، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، ص (٢٣)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(3) Samuel Noble and Alexander Treiger (2014). The Orthodox Church in the Arab World, 700–1700: An Anthology of Sources, p 217, Cornell University Press, Northern Illinois University Press

وكان قَصَدُ بولص من كتابة الرِّسالة بالمقام الأول تحصينَ نصارى العرب في مدينة صيدا من التّأثّرِ بالإسلام، ولعل ما جَرَّأَه على كتابةِ الرِّسالة هو تسلط المغول على بلاد الشام، وكانوا يتخذون موقفًا حياديًا من أديان رعاياهم. وقد ادّعى بولص أنّ غرضَ رسالته هو إيقافُ الشِّجارِ بين «عباد الله» من المسلمين والنّصارى [١]، وهذه الدعوى هي عينُها الّتي يذكرها دعاة الإبراهيمية اليوم: تحتَ عناوين مثل: السلامُ بين أبناء إبراهيم.

وكان الرّاهب بولص الأنطاكيّ قد صنّف رسالتَه هذه بعد رحلة علميّة في أنحاءِ أوروبا زارَ فيها القسطنطينيّةَ عاصمة مسيحيّي الشرقِ وروما عاصمة مسيحيي الغرب، مرورًا ببعضِ مقاطعات الفرنجة وبلاد الملافطة [٢]، وقد دَوَّنَ لنا مساقَ رحلته هذه الإمامُ تقيُّ الدّين ابنُ تيمية في كتابه «الجواب الصَّحيح لمن بدّل دين المسيح»، وذكر أنَّ بولص ادَّعى اجتماعه بأجِلَّاء أهل تلك النّواحي، وفاوض أفاضلهم، وعلماءَهم، ليخرج بتلك الرِّسالة، وأضاف أنّ رسالة بولص أضحت فيما بعدُ عمدةَ علماء النّصارى يتناقلونها فيها بينهم، وأنّه قد يزيد فيها بعضهم على بعض [٣]، على أنّ «سيدني غريفيث» قد ذكر تشكيكَ معظم من تعرض للرحلة في صحّة تفاصيلها [٤]، وأشار معظم من درس بولص الأنطاكيّ من العلماء الغربيين المعاصرين إلى أنّه لم يكن لديه أدنى حرجٍ عند استدلّاله من إخراجِ الآيات عن سياقها أو تحريف معناها، وأنّه تجاهلَ الآياتِ الأخرى الّتي لا يمكن التوفيقُ بينها وبين تفسيره للقرآن. [٥]

(1) Samuel Noble and Alexander Treiger (2014). The Orthodox Church in the Arab World, 700–1700: An Anthology of Sources, p 217-218.

(٢) ولعلها ملف أو أمالفي (Amalfitana) الإيطالية الساحلية، وقد كانت «ملف» إحدى جمهوريات البحر الأبيض المتوسط.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج١، ص ٩٨-١٠١.

(4) Samuel Noble and Alexander Treiger (2014). The Orthodox Church in the Arab World, 700–1700: An Anthology of Sources, p 218.

(5) Samuel Noble and Alexander Treiger، The Orthodox Church in the Arab World, 700–1700: An Anthology of Sources, p 219.

ورسالةُ بولص الأنطاكيّ هذه تلقَّفَها فيما بعد أحدُ جدليِّي نصارى قُبرص والذي حرّرها بدوره وَوَسَّعها ثم أرسل نسختين منها للإمامين: ابنِ تيمية وابنِ أبي طالب الدمشقي -كما تقدم-، ولذلك تعتبر رسالة هذا الجدليّ القبرصيّ النصرانيّ من طلائعِ الرسائلِ الاستشراقيّة الّتي تعرّضت لفكرةِ **الإبراهيميّة** والتقريبِ بينَ الأديان، وقد ردّ ابنُ تيمية على هذا الجدلي في كتابه الموسوم "الجواب الصَّحيح لمن بدّل دين المسيح» ونقض معاقدها عُقدَةً عُقدَةَ.

وقد تمحورت فكرةُ الرِّسالة المركزيّةُ حول دعوى خصوصيّةِ الرِّسالة المُحمَّديّة بوثنيّي العرب دون غيرهم من الشعوب، وأنّ القرآن شهد لهم بجواز التَّعبد بالإنجيل والتَّوراة بعد البعثة، وأنّهم من أهل التّوحيد، فالشّريعة المُحمَّديّة لا تلزمهم لأنّ الله تعالى أرسل موسى بالتَّوراة وفيها شريعةُ العدل، وأنّ كلمةَ اللهِ عيسى جاءهم بالإنجيلِ وفيه شريعةُ الفضل، وما يأتي بعد الكمال فلا يُحتاجُ إليه[١]، فلا حاجة لهم بالقرآن، بخلاف العرب الوثنيين الذين لم يُنزِل اللهُ عليهم كتابًا وما أتاهم من نذير من قبل محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[٢]

وجديرٌ بالذِّكر أنْ يُقالَ: إنَّ أغلبَ المطاعنِ الّتي وُجّهت إلى عمومِ الرِّسالة المُحمَّديّة والّتي سطرتها كتبُ الحداثيين العرب أو لاكَتها ألسنتُهم قد سبقهم إليها بولص الأنطاكيّ والجدلي القبرصي، سواء قيل: أخذوها عنه أو لم يأخذوها.

---

(١) ينظر: ابن تيمية، الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج٥، ص ٥٧-٥٨.

(٢) ينظر: ابن تيمية، الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج١، ص ١٢٢.

"الإبراهيميّة" في عصور الحداثة في الغرب.

لعلّ أوّلَ إشارةٍ إلى فكرة الدّين الإبراهيميّ في عصر النّهضة الأوروبيّ كانت مع الفيلسوف واللاهوتيّ والكاتب الألماني نيقولاس الكوزاني (Nicolas of Cusa) (ت:١٤٦٤م) الذي يتخيل في كتابه (De Pace fedei) الذي نشره عقب الفتح العثماني للقسطنطينية (١٤٥٣م): عقلاءَ اليهودِ والنّصارى والمسلمين يتحاورون فيما بينهم في السماء، ليعودوا إلى الأرض ويجتمعوا في مدينة القدس ليستقبلوا الدّين الموحد ليؤسسوا للسّلم في المدينة [١]، عِلمًا بأنّ فتح القسطنطينية تزامن مع بداية عصور الحداثة في أوروبا.

إلا أنّ أوّلَ وثيقةٍ تضمَّنت فكرة نجاة اليهود والنّصارى والمسلمين في الآخرة في عصور الحداثة كانت للكاتب الفرنسي بوستل (Guillaume Postel) (ت:١٥٨١م) والذي يذكر في كتابه (Absconditorum clavis) نجاة أتباع الأديان الثلاثة في الآخرة إن هم حافظوا على ميثاق «إبراهيم». وبالنسبة له، كلٌّ من موسى ومحمّد عليهما السلام تلقى جزءًا من الروح الإلهية، الذي ظهر بالكامل في يسوع، ففكرته قامت على عقيدة حلول الخالق بالمخلوق.

ويَلفِتُنا عقب ذلك سَفَرُ الفرنسيسكاني الفرنسي ملكيور د. فلافين (Melchior de Flavin) (ت: ١٥٨٠م تقريبًا) عام ١٥٧٠م إلى القدس ليدعوَ إلى الاتحاد بين النّصارى واليهود والمسلمين من أجل مكافحة تزايد الإلحاد، مما يدّل على معاناة أوروبا المسيحيّة من الإلحاد مع فجر عصر النهضة تقريبًا، ثم إنّنا نجد الأيرلندي إيون تولاند (ت:١٧٢٢م)، يحاول التقريب بين المسيحية واليهوديّة من أجل تعزيز مكانة اليهود في المجتمعات الأوروبيّةِ المعاصرة، بل أرجَعَ الإسلامَ إلى جذورٍ يهوديّةٍ، بَانِيًا حججه على إنجيل برنابا [٢].

---

(1) Adam J. Silverstein, Guy G. Stroumsa, Moshe Blidstein (2015)، The Oxford Handbook of the Abrahamic Religions, first edition, p.65, Oxford university press.

(2) Adam J. Silverstein, Guy G. Stroumsa, Moshe Blidstein (2015)، The Oxford Handbook of the Abrahamic Religions, first edition, p.65-66, Oxford university press.

ومع نهايةِ القرنِ التاسع عشر يَسْتَوقِفُنَا القسيس والكاتب الإنكليزي (إسحاق تيلور (Isaac Taylor)): (ت:١٩٠١م) الذي يعترف - بعد دراسَتِه للإسلامِ والقرآن - بالتّفوّق الدعوي للإسلامِ على النّصرانيّة، ويستشهدُ لذلك بثباتِ الأممِ الإفريقيّة والآسيويّة الّتي دخلت الإسلام، وعدم قبولهم للنصرانيّة لأنّ الإسلامَ «معقول عندهم دون المسيحية الّتي لا يعقلونها»، ثم يذكر «تيلور» طرفًا من فضائلِ الإسلام وأحكامه، ويخاطب الأوروبيين بقوله: إنّ «الدّين الإسلاميَّ لا يناقض الديانة المسيحية بل يتّفق معها، فإنه صدى إيمان إبراهيم" ... "الإسلام قريب جدًا من المسيحية، والمسلمون كأنهم مسيحيون، فتعالوا بنا نساعدهم على الكمالِ في دينهم، لا نسعى عبثًا لإبطاله، لعلنا نجد في الإسلام مسيحيّة، ونجد محمّدا آخذًا بعضد المسيح في دينه»، ويقول: «أما الذي أنا مُصرٌّ على توكيده فهو الاتّحاد بين الإسلامِ والمسيحيَّة ليس من جهة الدّين فقط، بل من جهة السياسة أيضا»، وكان يدعو الناس -النّصارى والمسلمين- إلى عقيدةِ إبراهيم التوحيديّة ونبذ الشركيات والبدع لأجل أنْ «يبقى على الأرض دين واحد يَقْدِرُ كلُ إنسانٍ على قَبولِه»، وذكر أنَّ "سعادةَ العالم الإنساني لا تتمُّ إلا باتِّفاقِ أهلِ الأديان السماويّة الثلاثة، اليهوديّة، والنّصرانيّة، والإسلام" [١]، وسيؤسس "تيلور" رفقة محمّد عبده وآخرين "جمعية التأليف والتقريب بين المسلمين والكتابيِّين» السرّيّة في بيروت، والّتي سعت إلى التقريب بين الأديان الثلاثة. [٢]

(١) رضا، محمّد رشيد (٢٠٠٦م). تاريخ الأستاذ الإمام، ط: ٢، دار الفضيلة، القاهرة، ج ١، ص ٨٢٢-٨٢٧.

(٢) رضا، محمّد رشيد (٢٠٠٦م). تاريخ الأستاذ الإمام، مصدر سابق، دار الفضيلة، ج ١، ص ٨٠٨ و٨٢٨.

"إبراهيمية" التصوف الفلسفي مع المستشرق لويس ماسينيون.

يُعتبر الرّاهب الفرنسي لويس ماسينيون Louis Massignon)) (ت:١٩٦٢م)، أهمَّ مستشرقي فرنسا المتأخرين [١] ورائدَ فكرةِ **الإبراهيميّة** الّتي تهدف إلى التقريبِ بين أبناءِ الأديان الثلاثة في القرن الماضي. وقد تطرّق إلى مصطلحِ **الإبراهيميّة** في كتاب نشره عام ١٩٤٩م بعنوان «الصلوات الثلاث لإبراهيم، أب كلّ المؤمنين" [٢]، ودعا إلى أول مصالحة أخرويّة بين أبناء إبراهيم، وكان قد نَمَا عنده الشعورُ بضرورةِ التقريب بين الأديان بعد الاحتلال الإسرائيليّ لفلسطين عام ١٩٤٨م، وكان يقيم الصلوات لأبناء الأديان الثلاثة. وماسينيون كان معظمًا لشخصيّةِ إبراهيم بل إنّه دخل الرهبنة الفرنسيسكانيّة وتسمى باسم إبراهيم، وحج إلى المسجد الإبراهيميّ في الخليل. [٣]

فلسفة «البَدَلِيّة» عند ماسينيون.

من الأهمية بمكان الإشارةُ إلى أنّ ماسينيون كان منتحلاً لعقيدةِ اتحادِ الخالق في المخلوق الّتي افتراها الحسين بن منصور الحلاج (ت:٣٠٩هـ) [٤]؛ فإنه كان شديد التأثر به لدرجة أنّه خصص رسالة الدكتوراة الّتي قدمها لجامعة السوربون به، وكانت بعنوان «مأساة الحسين بن منصور الحلاج شهيد الإسلام الزاهد". [٥]

وكان ماسينيون يرى أنَّ الشّكل الصَّحيح للعقيدة الإسلامية وأقربها إلى المسيحيّة

(١) محمّد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، مطبعة الأزهر، ص ٢٦.

(٢) وقد أعيد نشر الكتاب عام ١٩٩٨م، ينظر:

https://www.editionsducerf.fr/librairie/livre/3671/trois-prieres-d-abraham-les.

(٣) ينظر: الموقع الرسمي للويس ماسينيون:

http://louismassignon.fr/biographie/figures/intercesseurs/abraham.

(٤) ينظر: أبا زيد، صابر عبد. قراءة نقدية لآراء لويس ماسينيون حول الفكر الفلسفي الإسلامي، ص ٣٩٤، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم الفلسفة. الرابط:

https://philos.journals.ekb.eg/article_121586_949a0be75cc13c59d7c71e860bf559a6.pdf

(٥) ينظر: أبا زيد، صابر عبد، قراءة نقدية لآراء لويس ماسينيون حول الفكر الفلسفي الإسلامي، مصدر سابق، ص 380.

هي مقولات الحلاج، وهي الفكرة الّتي عبّر عنها الحلاجُ بقوله: «أنا الحق»، وهذه الفكرة تتماهى مع نظرية امتزاج اللاهوت بالناسوت عند مثلثة النّصارى [١]، وكان يرى في الحلاّج الشّاهد الإسلاميّ على حضور عقيدةِ الصّلب والفداء، فكما أنّ الله تعالى تجسّد في المسيح ثم تعرّض للصلب من أجل خَلاصِ البشر بزعمهم، فكذلك حلَّ -تعالى- في الحَلاّج الذي حُوكِمَ وصُلِبَ كالمسيح من أجل خلاص البشر.

وقد جعل ماسينيون من مسألة الصلب والفداء أمرًا متكررًا بين الأمم، وأنَّ المسيحَ والحلَّاجَ ما كانا إلا بعض حلقاتها، وسمى فلسفَتَه «البدليّة Badaliya"، وحاصلها أنّه كلّما أذنبت أمة أرسل الله تعالى بَدَلًا ليفديهم به، بعد أن يحلّ تعالى فيه. [٢]

تفضيله للحَلاّج على نبيّنا محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بالرغم من اعتراف ماسينيون بِنبوَّةِ محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتلقيه للإلهام، إلا أنّه يَعتبِرُ إنكارَه على اليهودِ والنّصارى والمشركين موقفًا سلبيًا! ويقول إدوارد سعيد: «إن ماسينيون يرى أن الشخص المثالي هو الحلاج، الذي حاول تحرير ذاته بسعيه ووصوله آخر الأمر إلى الصلب، وإن محمّدا رفض عمدًا الفرصة الّتي أتيحت له بسَدِّ الفجوة الّتي تفصله عن الله، ومن ثم فإن إنجاز الحلاج يتمثل في تمكنه من تحقيق الوحدة الصوفية مع الإله". [٣]

---

(١) ينظر: أبا زيد، صابر عبد. قراءة نقدية لآراء لويس ماسينيون حول الفكر الفلسفي الإسلامي، مصدر سابق، ص ٣٩٥.

(٢) بن يوسف، رياض (٢٠١٨). التأويل المسيحي للإسلام، لوي ماسينيون عيّنة، مجلة منتدى الأستاذ، مج ١٤، ع ٢، ص ٣٦-٣٧.

(٣) إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق (ترجمة: محمّد عناني)، مصدر سابق، ص ٤١٣.

أهداف ماسينيون التنصيرية.

وقد ظهر ماسينيون بمظهر من يريد إنهاء النّزاعات بين أتباع الأديان الثلاثة عبر استثمار **الإبراهيميّة** الرّوحيّة، إلا أنّه في حقيقة الأمر أراد خدمة المشروع الاستعماري الفرنسي عبر "تمسيح الإسلام" بالاستدلّال لعقيدة التثليث من القرآن؛ فقد كان يؤمن كما قال إدوارد سعيد "بإمكان اختراق عالم الإسلام" [١]، وقد شغل منصب مستشارِ وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا، وكان الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر. [٢]

ومن شواهد «تمسيحه للإسلام» تحريفه لمعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، لتمرير عقيدة اتحاد الخالق بالمخلوق، ففسّر الآية بوحدة الجوهر الإلهي لا الوحدة الشخصية لله متناسيًا قوله تعالى في اللّحاق: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣].

وتأوّلَ كذلك رفض نصارى نجران لمباهلة نبيّنا محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رافضًا أن يعتبرهم هُزموا، بل اعتبرَ عدمَ إقدامهم عليها تأجيلًا لها إلى يوم القيامة، ضاربا صفحا عن قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٦٣﴾ [آل عمران:٦٣].

---

(١) إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق (ترجمة: محمّد عناني)، مصدر سابق، ص ٤١١.

(٢) محمّد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، مطبعة الأزهر، ص ٢٦.

أثر فكر ماسينيون في الشرق والغرب.

لـك أن تعلـمَ أنّ معظـم الدّراسـات المتعلّقـة بالتّصـوّف الإسـلاميّ في موسـوعة "دائـرة المعـارف الإسـلامية" كانـت بقلمِـه، حتـى عُـدَّ مرجعـه في الغـرب، وأمـا في الـشرق فقـد انتُخِـبَ عضـواً في مجامـع علميّـة عـدة منهـا الجمعيَّـة الآسـيويّة، والمجمع اللغـويّ بمـصر (منـذ إنشـائه ١٩٣٣م) والمجمـع العلمـيّ العـربي في دمشـق، وقـد ربـت آثـاره عـلى ٦٥٠ بـين مصنَّـفٍ ومحقَّـقٍ ومُترْجَـمٍ وبـين مقـالٍ ومحـاضرةٍ وتقريـرٍ ونقـد. [1] وقـد كان لفلسـفة ماسـينيون أثـر كبـير عـلى التحـول الجـذريّ في الكنيسـة الكاثوليكيّـة في تبنيهـا لفكـرة **الإبراهيميّـة** -كـما سـيأتي مفصـلاً-.

"الإبراهيميّة" في الكنيسة الكاثوليكية في منتصف القرن العشرين.

عقـب وفـاة ماسـينيون بوقـت يسـير أُقِيـم المجمـع الفاتيـكاني الثـاني المسـكوني الحـادي والعـشرون. وكان قـد دعـا إليـه البابـا يوحنـا الثالـث والعـشرون بـين عامـي ١٩٦٢م و١٩٦٥م. وقـد تطرقـوا فيـه إلى شـمول نعمـة الخـلاص لبقيـة الأمم والشـعوب مـن غـير النّصرانيّـة، ونَصُّـوا في الرّسـالة المتعلقـة بالدسـتور الكنيسـة العقدي والمسـماة ((Gentium Lumen = (نـور الأمـم) في ٢١ نوفمـبر ١٩٦٤م، في الفقـرة السادسـة عـشرة عـلى إدخـال المسـلمين في نطـاق المخطـط الإلهـي لخـلاص البـشر، وجـاء فيه -مـن عـلى موقـع الفاتيـكان العـربي-:" ولكـن تصميـم الخـلاص إنمـا يشـمل الذيـن يعترفـون بالخالـق، ومـن بينهـم أولاً المسـلمون الذيـن يقـرون أن لهـم إيمـان ابراهيـم، ويعبـدون مَعَنَـا الإلـهَ الواحـد الرحيـم، الـذي سـيدين البـشر في اليـوم الأخـير « ، بنصـه مـن موقـع الفاتيـكان. [2]

---

(١) نجيب عقيقي، المستشرقون، دار المعارف القاهرة – مصر، ١ج، ص ٢٨٨.

(٢) ينظر: موقع الفاتيكان الرسمي، على الرابط:

https://www.vatican.va/archive/hist_councils/ii_vatican_council/documents/vat-ii_const_19641121_lumen-gentium_ar.html

وذكـروا في الوثيقـة الأخـيرة للمجمـع وهـي بيـان حـول علاقـة الكنيسـة بالديانـات غـير المسـيحية، بعنـوان (Nostra Aetate) = (في عصرنـا) في كانـون الأول ١٩٦٥م:"وتنظـر الكنيسـة بعـين الاعتبـار أيضًـا إلى المسـلمينَ الذيـن يعبـدون الإلـهَ الواحـدَ الحـيَّ القيّـوم الرّحيـم الضابـطَ الـكلّ خالـق السـماء والأرض المكلّـم البـشر، ويجتهـدون في أن يخضعـوا بكلّيتهـم حتـى لأوامـر اللـه الخفيـة، كـما يخضـع لـه إبراهيـم الـذي يُسـند إليـه بطيبـة خاطـر الإيمـان الإسـلاميّ، وإنّهـم يُجلّـون يسـوع كنبـيّ وإنْ لم يعترفـوا بـه كإلـه، ويُكرّمـون مريـم أمّـه العـذراء كـما أنّهـم يدعونهـا أحيانًـا بتقـوى، عـلاوة عـلى ذلـك أنّهـم ينتظـرون يـومَ الدّيـن عندمـا يُثيـبُ اللـهُ كلَّ البـشرِ القائمـين مـن المـوت، ويعتـبرون أيضًـا الحيـاة الأخلاقيـة ويـؤدّون العبـادة للـه لا سـيّما بالصـلاة والـزكاة والصـوم"، بنصـه مـن موقـع الفاتيـكان. [(١)]

والمتأمـلُ في هـذا التَّغَـيرُّ الرّاديـكاليّ الجـذريّ في منظومـة الاعتقـاد الكاثوليكيّـة تجـاهَ اليهـود والمسـلمين تَسـتوقِفُه دوافـعُ هـذا الانفتـاحِ الكبـيرِ عـلى الغـير، بعـد أن تبنّـت الكنيسـة وعـلى مـدارِ مئـاتِ السـنين القطيعـة التّامّـة معهـما، ولعـل أهـمَ تِلكُـم الدوافـعَ كان الزّحـفَ الفكـريَّ للتيّـار الحـداثيِّ في الغـرب واسـتحواذِه عـلى أعـدادٍ كبـيرةٍ مـن رعايـا الكنيسـة الكاثوليكيّـة، فحاولـت الكنيسـة مـن خـلال «المجمـع الفاتيـكانيّ الثـاني» أنْ تُوائِـمَ بـين موروثِهـا الدّينـيِّ وقيـمِ الحداثـةِ بُغيـةَ إنعـاشِ سـلطتها الذّابلـة بعـودة المصلّـين إلى كنائسـها المهجـورة، ولذلـك قَدّمـت العديـد مـن التّنازلات وقَبلـت الحلـولَ الّتـي رَفضتهـا في السَّـابق". [(٢)]

---

(١) ينظر: موقع الفاتيكان الرسمي، على الرابط:

https://www.vatican.va/archive/hist_councils/ii_vatican_council/documents/vat-ii_const_19641121_lumen-gentium_ar.html

(٢) القـرواشي، لحسـن (٢٠٠٥ م). الفكـر المسـيحي الكاثوليـكي في مواجهـة الحداثـة مـن المجمـع الفاتيـكاني الأوّل (١٨٦٩ م/ ١٨٧٠ م) إلى المجمـع الفاتيـكاني الثـاني (١٩٦٢ م/ ١٩٦٥ م)، ط ١، المجلـد الثـاني عـشر مـن السلسـلة الثامنـة مـن منشـورات كلية العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة بتونـس، ص ٤١٠.

ومن المهم أن يُشَارَ في هذا المقامِ إلى التَّأثيرِ الكبير وغير المباشر لأفكار ماسينيون في المجمع الفاتيكانيّ الثاني عبر تلاميذه وأصدقائه، وقد ظهر ذلك من خلال مقارنة كتابات ماسنيون مع الصياغة المتعلقة بالدستور العقديّ الكنسيّ (Gentium Lumen) = (نور الأمم) ونظام علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية (Nostra aetate) = (في عصرنا). هذا ما توصل إليه الباحث "كريستيان كروكوس" في بحثه الموسوم:" تأثيرُ لويس ماسينيون في تعاليم المجمع الفاتيكانيّ الثاني على المسلمين والإسلام". [١] علمًا بأنَّ ماسينيون كانَ صديقًا شخصيًا للكاردينال «جيوفاني باتيستا مونتيني" رئيسِ أساقفةِ ميلانو الذي صار فيما بعد «يوحنا بولس السادس» بابا روما [٢]، بل قد كان يُظنُّ أنّ «يوحنا بولس السادس» كان عضوًا في مجتمع «البدليّة» الذي وضع فلسفة ماسينيون. [٣]

وقد أقام البابا يوحنا بولس الثاني في سبيل ترسيخِ **"الإبراهيميّة"** عام ١٩٨٦م صلاةً مشتركة بين ممثلين عن الأديانِ الثلاثةِ في قرية «أسيس» في إيطاليا، وقد اتخذوا فيه نشيدًا أسموه «نشيد الإله الواحد، ربٌّ وأبٌ»، ثم تكرر هذا الحدث باسم «صلاة روح القدس». وقد نشأت على إثر ذلك العديدُ من الجمعيات المُمولة كجمعيةِ «المؤمنونَ المتحدون» برأس مال قدره (٨٠٠) ألف دولار، وعقدت العديد من المؤتمرات كالمؤتمر الإبراهيميِّ في قرطبةَ عام ١٩٨٧م والذي حضره أعداد من اليهود والنّصارى، وبعضِ المنتسبينَ للإسلامِ كالقاديانيّةِ والإسماعيليّةِ. [٤]

---

(1) Krokus, Christian S. (2012). Louis Massignon's influence on the teaching of Vatican II on Muslims and Islam, Vol. 23, No. 3, July 2012, 342, Islam and Christian–Muslim Relations.

(٢) ينظر: جورافسكي، أليكسي. الإسلام والمسيحية، عالم المعرفة، ص ١١٠-١١١.

(3) Gavin D'Costa, Vatican II: Catholic Doctrines on Jews and Muslims, oxford university press, 2014, p. 166.

(٤) ينظر: أبوزيد، بكر(١٤١٧هـ). الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ط١، دار العاصمة، ص ٢٤ و٢٧-٢٨.

وأمَّـا في النّصرانيّـة البروتسـتانتيّة فإننـا نَقِـفُ في عـام ١٩٦٥م عـلى نـشرةٍ لكنيسـةِ «إلـه الدّيـن الإبراهيمـيِّ" إحـدى طوائـف السـبتية البروتسـتانتيّة؛ جعلـت فيـه اليهوديّـة والإسـلام مـع المسـيحيّةِ كمظهـرٍ مـن مظاهـر «الإيمـانِ الإبراهيمـيّ، عـلى أنّ إبراهيـم هـو سـلفٌ للشُّـعوبِ الّتـي تُعَلِـمُّ عبـادةَ الإلـهِ الواحـد في عـالمٍ ملحـد أو متعـدّد الآلهـة. (١)

"إبراهيمية" الحداثة العربيّة.

مـا إن أخـذ زمـانُ الحداثـةِ في الغـربِ بالأُفـول مـع نهايـات القـرن التّاسـع عـشر وبدايـات القـرن العشريـن حتـى بـدأت -وللمفارقـة- الأفـكارُ الحداثيّـةُ بالتسرّب إلى عقـولِ كَثـيرٍ مـن العـرب والمسـلمين ممـن يدَّعـي التّجديـد في الدّيـن وهـو مـن آلاتـه عَـرِيّ، وللانتسـابِ لَـهُ دَعِـيّ، وعـلى رأس هـؤلاء رفاعـة الطهطـاوي وجـمال الدّيـن الأفغـاني. ويَهـدف «المـشروعُ الحـداثيُّ العـربيُّ" إلى اسـتلابِ الثّقافـة الإسـلاميّة وتذويـب ثوابتهـا، والاسـتعاضةِ عنهـا بمفاهيـم الحضـارة الغربيّـة الحديثـة، ولذلـك تبنّـى كثـيرٌ مـن حداثيّـي الـشرق بدايـةً مـن الأفغـاني «**الإبراهيميّـة**"، وقـد امتـدت إبراهيميَّتُهـم إلى زماننـا هـذا.

وتنوَّعـت دوافِـع الحداثيـين، فمنهـم مـن بَهَرَتـه منجـزاتُ المسـتعمرِ الغـربيّ الحضاريّـة فحـاولَ محـاكاةَ تَجربتـه، ومنهـم مَـن أَقـامَ بَـينَ ظَهـرانيّ المشركـين ردحًـا طويـلاً فسَرَى إلى قلبـه إِلفُهُـم، ومنهـم مـن قـدَّمَ ولاءه لقوميّتـه ووطنـه عـلى ثوابـت دينـه فأعمـلَ الاجتهـادَ في غـير محلّـه، ليرفـعَ خسيسـة مـن وَضـعَ اللـهُ، إلى مصـافّ المؤمنين، ضاربًـا عُـرضَ الحائـط مـا تواتـر في الأمّـة وأجمعـت عليـه الأئمـة، ومنهـم مـن تَزَيّـا بأعـلى المناصـب العِلمِيَّـةِ والدّرجـات الأكاديميّـة، إلا أنّـه فُـتِنَ وأُشرب قَلبُـه حُـبَّ المـال أو المنصـب فسـاءت طويّتُـه، فخـانَ الأمـةَ وبـاعَ دينَـه بعَـرَضٍ مـن الدّنيـا

(1) Adam J. Silverstein, Guy G. Stroumsa, Moshe Blidstein (2015), The Oxford Handbook of the Abrahamic Religions, first edition, p.77, Oxford university press.

قليل. وترى كثيراً منهم يسارع إلى الغَضِّ من تراثِ الأمّة والحطِّ من مقامات الأئمّة؛ تكَدَّرَتْ مصادرُ معارِفِهم وفسدت مناهج الأنظار؛ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾[الحج: ٤٦].

وهؤلاءِ -وإنْ تَحصَّلَ بعضُهم على أعلى المناصب العِلمِيَّةِ والدَّرجات الأكاديميّة - لا يُعدّون من علماءِ الأمّة وحَمَلَةِ الشَّريعَة، فإنّهم مباهِتون لعنادهم لما ثبت استفاضَةً وتَواتُرًا. ومن لم يَزَعْهُ التّواتر والإجماعُ فلا يُحتَفَى بمخالفَتِه ولا يُوثَقُ بعلمه، وفي مثلهم يقول د. محمّد بن الحسين الذهبيّ: "يتأوَّلونَ القرآنَ على غير تأويله، ويلوونه إلى ما يوافقُ شهواتِهم، ويَقضي حاجاتِ نفوسِهم، فأدخلوا في تفسير القرآن آراءَ سخيفةً ومزاعمَ باطلة تَقَبَّلَها بعض المخدوعين من العامَّةِ وأشباه العامّة ... فمنهم من حسب أنّ التّجديد ولو بتحريف كتاب الله تعالى سببٌ لظهورِه وشهرتِه في المحيط العلميّ، فذهب يفسر كتاب الله تفسيراً لا تُقرُّهُ لغةُ القرآن، ولا يتّفِقُ مع قواعد الدّين العامة، ومنهم من تَلَقَّى من العلم حظاً يسيراً لا يَرقى به إلى مستوى العلماء، ولكنَّه اغترَّ بما لديه فحسب أنّه بلغ مبلغَ الراسخين في العلم، ونسيَ أنّه قلَّ في علم اللّغة نصيبُه، وخفَّ في علم الشَّريعة وزنُه، ... فأخذ يهذي بأفكار فاسدة تَتَنافى مع ما قرَّرَهُ علماءُ اللّغة وأئمّة الدّين". (١)

(١) الذهبي، محمّد بن الحسين. الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها، مكتبة وهبة، مصر، ص ٩٣- ٩٤.

أولًا، جمال الدّين الأفغاني وإبراهيمية "دين الحق".

يذهبُ جمالُ الدّين الأفغانيّ (ت:١٨٩٧م) في بعضِ «خاطراته» إلى أنّ «دينَ الحقِّ" الواردِ في قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾[التوبة: ٣٣]، لا يراد به الإسلام حصرًا، بل إنّ كلَّ دينٍ سواءٌ كانَ هو الإسلام أو النّصرانيّة أو اليهوديّة يمكن أن يكون هو «دينَ الحقِّ"، بشرطِ أنْ يوافق الحقَّ من التوحيد والإيمان بالأنبياءِ وكتبهم؛ يقول عن الأديان الثلاثة: "كل دين يجب أن يكون حقًا» فالأديان بمجموعها هي «الكل» وأجزاؤها: الموسوية والعيسوية والإسلام، «فمن كان من هذه الأديان على الحق فهو الذي يتم له الظهور والغلبة؛ لأنّ الظهور الموعود به إنما هو دين الحق -كما قلنا- وليس دين اليهود ولا النّصارى ولا الإسلام». [1] فإنْ عَمِلَ المسلمونَ بالقرآنِ فلهم الغلبةُ والظهورُ، وإنْ عملَ النّصارى بالإنجيلِ فلهم الغلبةُ والظهورُ، وإنْ عملَ اليهودُ بالتَّوراة فلهم الغلبةُ والظهورُ، هذا مقتضى كلامه.

وقال: «إنَّ الناسَ تجاهَ الأديان الثلاثة وكتبها أحدُ رَجُلَيْن: رجلٌ يعتقد بالوحي، ويؤمنُ بالأنبياءِ، ورجلٌ يَجحدُ الوحيَ ولا يُؤمنِ بالأنبياءِ ولا بإرسالهم من عند الله، أمّا الرجلُ المؤمنُ فقد بَحَثَ ودقّقَ وطبّقَ كتبَ الأديانِ الثلاثة على بعضِها -كما مر-، فلم يجد أقلَّ تباين، بل وجدها متفقةً في المقصدِ والغايةِ». [2]

وظاهرُ كلامِه السالف بضميمةِ نصوصه الأُخرى يُفهمُ منه أنَّ اليهوديَّ الموحدّ إنْ صدّق بجميعِ الأنبياء والكتب وعَمِلَ بالتَّوراة بالفهمِ الصَّحيح الموافقِ للإنجيل، وأخذَ بما أتمَّه عيسى -عليه السلام- من أحكام، وفهِمَ الكتابين وفق محكمات القرآن الذي صدّقهما، فإنّه على «دين الحق»، وكذا النصراني الذي يعمل بالتَّوراة والإنجيل، ويفهمهما في ضوء ما جاء به القرآن، فإنّه على «دين الحق».

(١) ينظر: المخزومي، محمّد باشا (٢٠٠٢). خاطرات جمال الدّين الأفغاني، المطبعة العلمية، بيروت، ص ١٧٩-١٨٠. وهذا الكتاب قرأه الأفغاني قبل طباعته وأقرّه.

(٢) ينظر: المخزومي، محمّد باشا، خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ١٧٧.

ويذكر الأفغانيّ أنه توصّل بعد البحث والتّنقيب إلى أنّ «الأديان الثلاثة: الموسويّة والعيسويّة والمُحمَّديّة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص من الواحدة شيءٌ من أوامر الخير المطلق، استكملته الثانية، وإذا تقادم العهد على الخلق وتمادوا في الطّغيان، أو ساءت الكهانُ فَهمَ النّاموس، أو أنقصوا من جوهره، أتاهم رسولٌ بأرفادٍ وتأييد، فأكمل لهم ما أنقصوه، وأتم بذاته ما أهملوه". [١] كما هو حالُ عيسى عليهِ السلام مع التّوراة، وأمّا القرآن فجاء مصدّقا لما فيهما. فالأديان الثلاثة متفقة في المقصد والغاية: في الإيمان بالله وتوحيده وطاعة رسوله واستحقاق الثواب في الآخرة على ذلك، وهي متفقة بالتعاليم الجوهرية وما يتعلق بالمعاملات، فقد عمل عيسى بوصايا موسى العشر، وكذلك القرآن جاء مصدّقا لما بين يديه من التّوراة والإنجيل[٢]

والكتب الثلاثة عنده يجب «أن تكون متّفقة في المقصد والغاية، ولا يصح التّباين في جوهرها، ولا أن تخالف بعضها بعضا". [٣] ويقول الأفغانيُّ: "جاء محمّد بالإسلام والقرآن بعد أن تقدّمه موسى عليه السلام بالتّوراة وعيسى عليه السلام بالإنجيل. فلم يمضِ على بني إسرائيل دهرٌ طويلٌ بعد موسى حتّى تلاعَبَ الكَهنَة والكتبة والفريسيون بأحكام التّوراة وبكثير من أساسات الناموس الموسوي، فجاء عيسى مصلحًا ما اختلَّ، ومداويًا ما اعتلَّ، ومُتَمِّمًا لِمَا أُنقِصَ من ذلك الناموس، وأدلى بالإنجيل، وفيه وفي التّوراة ما يلزم للخلق من الإرشاد، ولكنْ لم يَمْضِ كذلك حينٌ من الدَّهرِ حتّى ظهرت الاضطرابات الدّينية والفرق - من صابئة ويعقوبية وغيرهما - وأساء الكثير من الناس فهمَ أقوالَ المسيح الروحانية العالية والتصوفية المحضة" ... "فجاء محمّد رَسولاً مُصَدِّقًا لصحيح التّوراة والإنجيل داعيًا إلى الله وتوحيده، مرشدًا للخير أمينًا بشريعة سمحاء تكفّلت لعموم الخلق بكل سعادة مادية ومعنوية؛ مُقبِّحًا للشرك بالإله والمشركين به، مظهرًا بطلان ما يعبدونه من دون الله بقرآن معجز وحجج بالغة». [٤]

(١) ينظر: المخزومي، محمّد باشا، خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ٧٦.

(٢) ينظر: المخزومي، محمّد باشا، خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ١٧٨.

(٣) ينظر: المخزومي، محمّد باشا، خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ١٧٧.

(٤) ينظر: المخزومي، محمّد باشا (٢٠٠٢). خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ١٣٤-١٣٥.

والظاهر أنّه يُخيِّر اليهود والنّصارى الذي يعيشون بين المسلمين بين التمسك بصحيح دينهم مع دفعهم للجزية، وبين الإسلام؛ قال:"أما أهل الكتاب وهم الموسويّون والعيسويون فقد خيرّهم الإسلامُ أحدَ أمرين: إما الاشتراك بأداء الجزية وفيه صلاح الأمر الدنيوي للكافة، والقصد الأعلى من هذا صون النفوس وعدم سفك الدماء بقليل من مال يؤخذ فيصرف في المنافع والمصالح وفي تعزيز قوة الجموع - وكذلك يدخل به مع القوم إلى ساحة مساواة حقيقية - له ما لهم وعليه ما عليهِم - ولا إكراه عليه في دينه بل يكون مصانا في شعائره وأصول عباداته وعاداته من كل أذى. وإما أن يختار الإسلام فيشارك القوم في العاجل من دنياهم وسلطانهم وفي كل ما حوته أُخراهُم من نعيمٍ مقيمٍ وجناتٍ تجري من تحتها الأنهار". [١]

وأختم بقوله: «وعلى هذا لاح لي بارق أملٍ كبيرٍ، أنْ يتّحدَ أهلُ الأديان الثلاثة، كما اتّحدت في جوهرها وأصلها وغايتها، وأنّه بهذا الاتحاد يكون البشر قد خطا نحو السّلام خطوةً كبيرة في هذه الحياة القصيرة". [٢]

فإن قيل: فما جوابه على ما خالف ظاهر التوحيد من نصوص التَّوراة والإنجيل؟ يُقال: أجاب بوجوب تأويله وحَمْله على معانٍ صوفيَّةٍ عِرفانية وردِّه إلى المحكمات، فاللهُ تعالى قد خاطب الناس في كتبه بآيات يريد بها الظاهر أحيانًا، وبآيات مغلقة يريد بها معانيها الصوفية العرفانية تارةً أخرى. ومَثَّل لذلك بقوله في التَّوراة: "إسرائيل ابني الأكبر"، ثم قال: "فاليهود مع وجود هذه الآية في التَّوراة، ما ذهبت ولا اعتقدت أن الإله له ابن». وقيل له مرّة: «إن النّصرانيّة لا تُعلّم التوحيد بل أساسُها قائمٌ على التَّثليثِ بعكس الموسوية والإسلام، والإنجيلُ طافح بمثل أقوال المسيح: أنا في الآب والآب فيَّ، ومثل قوله: أيّها الأب مجّد ابنك ليمجّدك ابنك أيضًا»، فأجاب: بأن المسيح إنما جاء لإكمال ناموس موسى

(١) ينظر: المخزومي، محمّد باشا (٢٠٠٢). خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) ينظر: المخزومي، محمّد باشا (٢٠٠٢). خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ٧٦.

المبني على التوحيد، وعليه فلا بد من تأويل نصوصه وحملها على المعاني العرفانية الصوفية، معانٍ لا يفهمها إلا أصحاب الذوق والمواجد، وأنها نظير قول الحلاج: «ما في الجبّة غيرُ الله»! [1] وما ذهب إليه الأفغانيُّ من تأويلِ ما ظاهره الشرك في كتب النّصارى سبقه إليه عبد الغني النابلسي في رسالته « فتح العين وكشف الغين عن الفرق بين البسملتين وإيضاح معنى التسميتين » -يريد تسمية المسلمين وتسمية النّصارى: باسم الآب والابن وروح القدس- حيث أوّل الآب والابن وروح القدس وحملها على معان صوفية عِرفانية. [2] والظن أنّ الأفغاني تابع النابلسي على ذلك. وعليه فالاختلاف بين الأديان الثلاثة «ليس هو من تعاليمها ولا أثر له في كتبها، إنما هو صنع بعض رؤساء أولئك الأديان الذين يتَّجِرُونَ بالدّين ويشترونَ بآياته ثمنًا قليلًا». [3]

---

(١) ينظر: المخزومي، محمّد باشا (٢٠٠٢). خاطرات جمال الدّين الأفغاني، المطبعة العلمية، بيروت، ص ١٨٠-١٨٢.

(٢) ينظر: الآلوسي، شهاب الدّين محمود ابن عبد الله الحسيني (١٤١٥ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تحقيق: علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ص ٢٠٨.

(٣) ينظر: المخزومي، محمّد باشا (٢٠٠٢). خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ١٧٩.

خطورة فلسفة التّوحيد بين الأديان الثلاثة عند الأفغاني.

الإشكال الأكبر بعيدًا عن ادعائه صحّة التَّوراة والإنجيل بعد البعثة، هي ذهابُه إلى كون اليهوديّة والنّصرانيّة أديانًا حَقَّة بعد البعثة المُحمَّديّة، وهذا يستلزم عدم نسخ القرآن لهما، وجواز التَّعبد بهما -بالشروط الّتي ذكرها كالتوحيد وغيره. وهذا لون من ألوان **الإبراهيميّة**، ويلزم على ذلك الطعن بعموم الرِّسالة المُحمَّديّة لجميع الأمم، وهو مخالف لما تواتر ومناقض لقواطع القرآن الكريم.

ومن الإشكالات على فلسفته قولُه بأن الكتب الثلاثة متوافقة غير متناقضة وبأنّ المسيح إنّما جاء ليتمِّمَ توراةَ موسى [1]، وفَاتَهُ نسخُ الإنجيل لبعض ما فيها لقوله الله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: ٥٠]. وادَّعى أنّ القرآنَ إنّما جاء مصدقًا لما بين يديه من التَّوراة والإنجيل وأنّ هذا يستلزم صحتها وجواز التَّعبد بها [2]، وفاتَه قولُ الله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي: مؤتمنًا عليه. فالقرآن مصدِّقٌ للكتابين وناسخٌ لبعض أحكامها، بل ومصحح لما اختلفَ فيه أهلُ الكتابَينِ ولِما حرّفوه.

اعترافُ الأفغاني بفشل فلسفته.

قال الأفغاني بعد أن باءت فكرته بالفشل: «انقلبت أفراحي بالخيال أتراحًا، ورجعت عن نظريتي، والفشل ملء إهابي وجبّتي»، [3] والحمد الله ربّ العالمين.

(١) ينظر: المخزومي، محمّد باشا (٢٠٠٢). خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ١٧٨.

(٢) ينظر: المخزومي، محمّد باشا (٢٠٠٢). خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ١٧٨.

(٣) ينظر: المخزومي، محمّد باشا (٢٠٠٢). خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ٧٧.

وينظر: الأشقر، فارس راتب (٢٠١١). قضايا ساخنة في فكر جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ١٣.

دوافع تبني الإبراهيميّة عند الأفغاني.

وأمّا الدّافع الرّئيس لتبنّي الأفغاني للإبراهيميّة فهو ظنّه أنّ تقدّم الأمّة وانتقالها من الهمجيّة إلى المدنيّة مرهونٌ بالإصلاح الدّيني المتعلّق بأصول العقائد، فدعا إلى فتح باب النّظر في النّصوص على مصراعيه، وإطلاق عنان الفكر فيها دون تقييد، بل والاجتهاد في مسائل كانت تعدّ من بَدائِهِ الشَّريعَةِ وثوابِتِها مما ثَبتَ تواتُرُه وأجمعت عليه الأمّة. وهذا راجع إلى تأثره بفكر مارتن لوثر (Martin Luther ـ) (ت: ١٥٤٦م) واضع أسس البروتستانية النّصرانيّة والحداثي الأوروبي الذي حاول التجديد في المسيحية «لتخليصها مما أصابها من دنس»، ولتكون أفكاره فيما بعد أحدَ أهم روافد الحداثة في أوروبا.

ومن أهمّ أفكار لوثر الّتي أثّرت في الأفغاني فكرة: تحرير الضمائر من وصاية المؤسّسات الدّينية، والعَودَة إلى نقاوة الدّين من خلال إحياء الصِّلة المباشرة بين العبد والخالق، بحيث يحقّ لكلّ فرد أن يفهم الكتاب المقدّس فهما خاصًا به وأن يتواصل مع الخالق دون واسطة من الكنيسة، بل حتى المهرطقون يحقّ لهم تقديم رؤيتهم التَّفسيرية الخاصة، ولا يحق للكنيسة ملاحقتهم. [(١)] يقول الأفغانيُّ في هذا الصدد: «إننا لو تأمّلنا في سبب انقلابِ حالة عالم أوروبا من الهمجية إلى المدنية نراه لا يتعدى الحركة الدّينية الّتي قام بها لوثر وتمّت على يده؛ فإن هذا الرجل الكبير لما رأى شعوب أوروبا زلّت وفقدت شهامتها من طول ما خضعت لرؤساء الدّين ولتقاليد لا تمتُّ بصِلَةٍ إلى عقل أو يقين، قام بتلك الحركة الدّينية ودعا إليها أمم أوروبا بإصرار وعناد وإلحاح، ... وطهر عقولهم ونبههم إلى أنهم إنما ولدوا أحرارًا فلماذا استعبدهم المستعبدون؟». [(٢)]

---

(١) ينظر: عبد العزيز، حسين (٢٠٢٢). مارتن لوثر: أصولية دينية تمهّد للحداثة، مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، قسم الدراسات الدّينية، ص ٣ و١١ و٢٦ و٢٧.

(٢) المغربي، عبد القادر. جمال الدّين الأفغاني ذكريات وأحاديث، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ص ٩٨.

وأما الطّريق الوحيد للرُّقِي بالأمّة إلى مصافِّ الأمم المتحضّرة عنده فلا يكون إلا بالاجتهاد المطلقِ عن كلّ تقييد، والمُنبَتِّ عن كل تقليد، ونبذ الخرافات -وبعضها بالمناسبة مسَلَّمَات-. بل إنَّ الأفغانيَّ كان يرى نفسه أعظمَ مجتهد في الأمة، فقد نقل عنه ابن أخته ميرزا لطف الله خان قولَه: «إنيِّ لم أعرف في أئمة المذاهب شخصًا أعظمَ مني حتى أسلكَ طريقه"! [١] وقال: "ما معنى باب الاجتهاد مسدود؟ وبأي نصٍّ سُدَّ باب الاجتهاد!». [٢]

ولا يستبعد أنّ يكون انتماء الأفغاني للماسونية مؤثرًا في تَبَنِّيه للإبراهيمية، فقد عُيِّنَ رئيسًا لمحفل «كوكب الشرق» الماسوني في القاهرة [٣]، والّتي كان من جملةِ شعاراتها: «المساواةُ والإخاءُ والعدالةُ". [٤] وكما أنّه لا يُستبعد أنّ تكون فلسفته متأثرةً بعقيدةِ وحدة الوجود؛ فقد «حكى عنه الشيخ محمّد عبده وبعض خاصته أنّه كان متصوّفًا يدين بعقيدة متصوفة مبهمة وغامضة، تنتهي بوحدة الوجود». [٥]

ثانيا، «إبراهيمية» محمّد عبده وجمعية سِرِّيّة للتّقريب بين الأديان.

كان محمّد عبده (ت: ١٩٠٥م) تلميذُ الأفغانيّ «يذهب في التسامح الدّيني إلى درجة تكاد تنمحي معها الحدود الفاصلة بين المذاهب والنِّحَل». [٦] فإنّه كان عضوًا مؤسسًا في «جمعية التأليف والتقريب بين المسلمين والكتابيين" السّريّة الّتي أُنشئت في بيروت، وسعت إلى توحيد الأديان الثلاثة الإسلام والنّصرانيّة واليهوديّة. وممن انتسب للجمعية: أحدُ الوزراء الإيرانيين: «مؤيد الملك»، ومستشارُ السفارة الإيرانية في الأستانة -عاصمة الدولة العثمانية آنذاك-: حسن خان، ومفتش المدارس في الهند البريطاني: جي دبليو لينتر، والقس البريطاني

---

(١) خان، ميزرا لطف الله (١٩٥٧). جمال الدّين الآسدآبادي المعروف بالأفغاني (ترجمه عن الفارسية وقدمه وعلق عليه: صادق نشأت، عبد الحليم حسين)، ط١، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ١٧٢. مستفاد من باسم بشينية.

(٢) ينظر: المخزومي، محمّد باشا (١٩٣١). خاطرات جمال الدّين الأفغاني، مصدر سابق، ص ١٧٧.

(٣) رضا، محمّد رشيد. تاريخ الأستاذ الإمام، مصدر سابق، ج ١، ص ٨٠٨.

(٤) ينظر: بني المرجة، موفق (١٩٨٤م). صحوة الرجل المريض، الكويت، صقر الخليج للطباعة والنشر، ص ٣٣٩.

(٥) ينظر: صحوة الرجل المريض، مصدر سابق، ص ٣٤٢.

(٦) حسين، محمّد محمّد (١٩٨٠م). الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ط ٣، ج١، ص ٣٤٢، المطبعة النموذجية.

إسحاق تيلور، وغيرهم. وانتسب إليها كذلك اليهودي شمعون مويال من حيفا إبان الحكم العثماني لها. [١]

يذكرُ المستشرق الإنكليزي ويلفريد بلنت (Wilfrid Blunt) (ت:١٩٢٢م) في مذكراته، أنّ حديثًا جرى بينه وبين الشيخ محمّد عبده في عام ١٩٠٤م؛ قال فيه عبده: "في أثناء نفيي في دمشق سنة ١٨٨٣ م كان أحد القساوسة في إنجلترا واسمه (إسحاق تيلور) يقوم بالدعاية لتوحيد الإسلام والنّصرانيّة، على أساس فكرة التوحيد الموجودة في الإسلام والموجودة عند الكنيسة الإنجليكية. وكان لي صديق فارسي اسمه (مرزا باقر) يعتقد إمكان تحقيق هذه الفكرة، وقد تمكن هذا من إقناعي أنا وآخرين من علماء دمشق بكتابة رسالة إلى تيلور في الموضوع، وما إن وصلت هذه الرِّسالة إلى القس تيلور حتى فرح بها ونشرها، مستعيناً بها على إثبات صحّة دعواه، ولكن لم ينشر أسماء الكاتبِين، إلا أنَّ السلطان عبد الحميد كلف سفيره في إنجلترا معرفة تلك الأسماء، وكان ذلك سهلاً عليه؛ فقد عرفها من القس نفسه، فحاق بي وبهؤلاء العلماء اضطهادُه العظيم". [٢] ولا يُستبعد ذلك منه، فإنّه كان عضوًا في «محفل كوكب الشرق» الماسوني، والذي أسسه شيخه جمال الدّين الأفغاني. [٣]

والظاهر أنّ محمّد عبده كشيخه الأفغانيّ كان يقصر الإسلام على التوحيد والإيمان باليوم الآخر والتصديق بنبوّة محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون أن يوجِب على اليهود والنّصارى التزامَ الشريعة المُحمَّديّة. يقول عبده: "وإنا نرى التَّوراة والإنجيل والقرآن ستصبح كتباً متوافقة وصحفاً متصادقة يدرسها أبناء الملتين،

(١) رضا، محمّد رشيد (٢٠٠٦م). تاريخ الأستاذ الإمام، ط: ٢، دار الفضيلة، القاهرة، ج ١، ص ٨٠٨ و٨٢٨.

(٢) رستم، رشاد (١٩٣٩م). توحيد الإسلام والنّصرانيّة بين محمّد عبده وأحد قسس الإنكليز، مجلة الهلال، عدد فبراير ١٩٣٩م، ص ٣٩٢، الرابط:

https://archive.alsharekh.org/Articles/134/13310/265652

(٣) رضا، محمّد رشيد، تاريخ الأستاذ الإمام، مصدر سابق، دار الفضيلة، ج ١، ص ٨٠٨.

ويوقرها أرباب الدّينين، فيتمّ نورُ الله في أرضه ويظهر دينُه الحقُّ على الدّين كلِّه". [١] فمفهوم «دين الحق» عنده كشيخه يرجع إلى الأديان الثلاثة إنْ وافقت الحق، والقرآن لم ينسخ الأديان السَّابقة كما أنَّ الإنجيل لم ينسخ التَّوراة.

وقد تبعه على ذلك تلميذه عبد العزيز جاويش في تفسيره «الهداية»، حيث فسّر الإسلام بأنه توحيد الله بالربوبية واختصاصه بالعبادة، وأنّ هذا هو دين إبراهيم. [٢] وأما محمّد رشيد رضا فلم يتأثر بهذه اللوثة، وقرر في تفسيره أنّ عموم الرِّسالة المُحمَّديّة ونسخها للشرائع السَّابقة معلومٌ من الدّين بالضرورة -وقد مر-.

وقد جرت مطارحات علمية في هذه النظرية، بين عدد من المؤيدين، والمعارضين، بين محمّد عبده، ومحمّد حسين هيكل، والطبيب حسن الهراوي، وعبد الجواد الشرقاوي، وذلك في مجلة: « السياسة الأسبوعية بمصر » في الأعداد / ٢٨٢١ لشهر صفر عام ١٣٥١، وما بعده. [٣]

وأمّا الدّافع لتبنّي **الإبراهيميّة** والدّعوة إليها عند محمّد عبده فهو تأثره الكبير بشيخه الأفغاني والانفلات من أُطُرِ منهج النّظر الصَّحيح في النّصوص الشرعية، مع إغفال مصادر المعرفة الإسلاميّة اليقينيّة، فإنه قد ضرب عُرضَ الحائِطِ ما تواتر عن نبي الأمّة وأجمعت عليه الأئمَّة، وجزمت به قواطعُ القرآن من عموم الرِّسالة المُحمَّديّة لجميع البشر. وهو أيضًا متناقض في منظومته المعرفية إذ كان يعتد في تقرير عقائد المسلمين في «رسالة التوحيد» بالمعلوم من الدّين بالضرورة، بيد أنّه لم يعتدَّ به في إثبات عموم الرِّسالة المُحمَّديّة؛ يقول عبده:» فَلَا ريب أَنه يجب تَصْدِيق خَبره (أي: خبر النبي محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَالْإِيمَان بِمَا جَاءَ بِهِ،

(١) رضا، محمّد رشيد (١٩٠٦). تاريخ الأستاذ الإمام، مطبعة المنار، مج ٢-٣، ص ٨٣.
(٢) حسين، محمّد محمّد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مصدر سابق، ج١، ص ٣٤٢.
(٣) أبوزيد، بكر(١٤١٧ه). الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، مصدرسابق، ص ٢١.

ونعني بِمَا جَاءَ بِهِ مَا صرح بِهِ الْكتاب الْعَزِيز وَمَا تَوَاتر الْخَبَرَ بِهِ تواترًا صَحِيحًا مُسْتَوْفيًا لشرائطه"... "وَالْأَصْل فِي جَمِيع ذَلِك أَن من أنكر شَيْئًا وَهُوَ يعلم أَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدَّث بِهِ أَو قَرَّرَهُ فقد طعن فِي صِدْقِ الرِّسَالَة وكذب بهَا وَيلْحق بِهِ من أهمل الْعلم بِمَا تَوَاتر وَعلم أَنه من الدّين الضَّرُورَة". [(١)]

ويقول مصطفى صبري -شيخ الإسلام إبان الدولة العثمانية – في شأنه: « وأما الدعوة الإصلاحية المنسوبة إلى محمّد عبده، فخلاصته أنّه زعزع الأزهر عن جموده على الدّين، فَقَرَّبَ كثيراً من الأزهريين إلى اللّادينيين، ولم يقرب اللّادينيين إلى الدّين خُطوَة، وهو الّذي أدخل الماسونيّة في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدّين الأفغانيّ، كما أنّه شَجَّعَ قاسم أمين على ترويج السّفور في مصر". [(٢)]

ثالثًا، تراجع محمّد عمارة عن تبني الإبراهيميّة.

أمّا ذكر «محمّد عمارة» رحمه الله ضِمنَ دعاةِ **الإبراهيميّة** فله غرضان: الأول، بيان تراجعه عنها. والثاني، تَبَرُّؤه مما ينسب إليه في الكتب الّتي تناولت وحدة الأديان.

نشأ الدكتور محمّد عمارة (ت:٢٠٢٠م) نشأة ماركسية، وشارك في الحياة السّياسيّة لمصر بهذه الهوية لفترة طويلة، ثم ما لبث أن تراجع عنها لاحقًا إلى الاشتراكية. وكان -رحمه الله- متأثرًا بأفكار التنويري جمال الدّين الأفغاني وتلميذه محمّد عبده، وسعى لنشرها في العالم العربي. وأما تبنيه لفكرة **الإبراهيميّة** أولاً فقد ظهر جليًا من خلال كتابه «الإسلام والوحدة القومية»، فقد دعا من خلاله إلى وحدة الأديان لا بمعنى صهرها في دين واحد لكن بمعنى أنّ أتباعها ناجون يوم القيامة، فاليهود والنّصارى عنده ناجون يوم القيامة وإنْ لم يؤمنوا بالإسلام

(١) عبده، محمّد. رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) صبري، مصطفى (١٩٥٠). موقف العقل والعلم من رب العالمين، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ج١، ص ١٣٣.

أو برسالة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ [١] واعتبر أنّ من لم يؤمن بمحمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتابِه بمثابة أهل البدع، ولا يخرجه من الإيمان ! يقول محمّد عمارة: "فإذا ما وقف أهل الكتاب من أتباع شرائع الرسل الذين سبقوا محمّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند التصديق برسالة رسلهم وأبَوا التصديق برسالة محمّد ونبوّته مع توحيدهم وعملهم الطاعات فإن هذا التوقف لا يخرجهم من إطار الدّين الواحد ولا حظيرة التدين بالإسلام، فموقفهم هذا هو انحراف، والفرق بين من يؤمن بمحمّد وبكل الرسل وبين الذين يجحدون بنبوة محمّد ورسالته مع توحيدهم وعملهم بالطاعات كمثل الفرق بين إيمان المؤمن الخلي من البدع وبين من تشوب البدع إيمانَه" [٢]. ويقول: "والفرق بين المسلمين وأهل الكتاب ليست من الخطر بحيث تخرج الكتابِيين من إطار الإيمان والتدين بالدّين الإلهي". [٣] فأصولُ الإيمان عنده ثلاثة: "الألوهيةُ والنبوةُ واليومُ الآخر". [٤]

ومن ثم يقرِّر بأنّ "المسلمين والنّصارى واليهود متحدون في القومية والوطن والحضارة والدّين"، [٥] ويقول: "الدّين واحد بين المسلمين واليهود والنّصارى". [٦] ونجده يصف الفكر المستنير بأنه "طوى صفحة التاريخ الذي كان يقسم النّاس فيها إلى مؤمنين وكفار ليبسط مكانها صفحة الحضارة الحديثة الّتي تميز بين الأمم والشعوب على أساس من التحضر والخشونة والبداوة". [٧]

اتكأ د. عمارة في أفكاره السَّابقة على أقوال الأفغاني ومحمّد عبده الذين يبرزهم في كتبه مستشهداً بكلامهم، فيقول مادحاً جمال الدّين الأفغاني:"ووجدناه

---

(١) ينظر: الخراشي، سليمان بن صالح (١٩٩٣م). محمّد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، دار الجواب، ص ٣٥٢.

(٢) عمارة، محمّد، الإسلام والوحدة الوطنية، ص ٥٠ -٥١. بواسطة: نموس، محمّد محمود. محمّد عمارة والرواد، الألوكة، ص ١٧.

(٣) عمارة، محمّد، تجديد الفكر الإسلامي، ص ٨٢. بواسطة: نموس، محمّد محمود. محمّد عمارة والرواد، الألوكة، ص ١٧.

(٤) عمارة، محمّد عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدّينية، ص ٥١. بواسطة: نموس، محمّد محمود. محمّد عمارة والرواد، الألوكة، ص ١٨.

(٥) عمارة، محمّد عمارة، تجديد الفكر الإسلامي، ص ٨٥. بواسطة: نموس، محمّد محمود. محمّد عمارة والرواد، الألوكة، ص ١٧.

(٦) عمارة، محمّد، الإسلام والوحدة الوطنية، ص ٦٤. بواسطة: نموس، محمّد محمود. محمّد عمارة والرواد، الألوكة، ص ١٧.

(٧) عمارة، محمّد، الإسلام والوحدة الوطنية، ص ٢٤. بواسطة: نموس، محمّد محمود. محمّد عمارة والرواد، الألوكة، ص ١٧.

يكتب عن الهند أكثر مما كتب عن الحجاز حتى إنّنا نجد أمتع دراسة وأعمقها وكذلك أهم نشاط عملي شهده عصره في سبيل فكرة وحدة الأديان وخاصة الأديان السماوية الثلاثة الّتي رآها على تمام الاتفاق". [١]

وأما الدّافع لتبني د. عمارة لفكرة الإبراهيميّة قبل توبته منها فيرجع إلى أمرين:

أولهما، فكري وهو راجع لتأثره بفكر الأفغاني ومحمّد عبده، المنفلت من ضوابط النظر الصَّحيح في نصوص الشريعة، وعدم اعتباره لمصادر المعرفة الإسلامية.

والثاني، سياسي راجعٌ إلى بقايا الفكر الشيوعي والاشتراكي عنده، والّتي لا اعتبار للدين فيهما في بناء الدولة.

وجدير بالذكر أنّ د. عمارة كان قد تبنى نموذجًا من **الإبراهيميّة** أشدَّ تطرفًا مما تبناه الأفغاني وعبده، فإنه حكم بنجاة اليهود والنّصارى وإن كفروا بنبوة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتبه.

الدليل على تراجع د. محمّد عمارة.

ثبت تراجع د. محمّد عمارة عن أقواله السَّابقة في كتابه «فتنة التكفير» المنشور عام ٢٠٠٦م، حيث نقل كلاما عن أبي حامد الغزالي: ينص فيه على كفر اليهود والنّصارى، وأنّه أمر مجمع عليه، وأنّ كتبهم محرّفة. [٢] وقد نقله مُقِرًّا له، وقد ذكر في أحد البرامج التلفزيونية أنّ غير المسلمين كفار، وأن هذا هو موقف الشريعة منهم. [٣]

(١) عمارة، محمّد. مسلمون ثوار، ص ٣٨٤. بواسطة: نموس، محمّد محمود. محمّد عمارة والرواد، الألوكة، ص ١٧.

(٢) ينظر: عمارة، محمّد (٢٠٠٦م). فتنة التكفير، دار السلام، ص ٣٠-٤١.

(٣) ينظر محاضرة: هل الأقباط كفّار وهل إنجيلهم محرّف، على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=CELXl7R5Sec

رابعًا، حسن الترابي والإبراهيميّة.

يطلق حسن التُّرابيُّ (ت:٢٠١٦م) على المسلمين والنّصارى واليهود مصطلح «المؤمنين»، ويدّعي أنه يشترك مع النّصارى في أصول الملّة **الإبراهيميّة**! وأنّ للأديان أصلًا واحدًا، وأنّها تشترك في القيم الأساسية. وقد فاته أنّ إبراهيمَ -ﷺ- بُعِثَ بالحنيفية، وأنّ النّصارى حادوا عن التوحيد إلى الشرك، وأنهم واليهود حرّفوا كتبهم وكفروا بنبوة محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ. يقول الترابي: "إن قيام جبهة المؤمنين هو مطلب السّاعة، وينبغي ألا تحول دونه المخاوف والتّوجهات التاريخية، فنحن نعلم جميعًا أنّ الكثير من الحروبات الّتي شُنَّت باسم الدّين والاضطهاد الذي وقع باسم الدّين كان الدّين منه مُبرأٌ لأنّ الأديان السماوية لا تدعو لنشر رسالتها - رسالة الفضيلة والسلام - بحد السيف أو بالقنابل والمدافع". [١] ويقول: " إن الوحدة الوطنية تشكل واحدة من أكبر همومنا، وإننا في الجبهة الإسلامية نتوصل إليها بالإسلام على أصول الملة **الإبراهيميّة** الّتي تجمعنا مع المسيحيين بتراث التاريخ المشترك". [٢] ويقول: « فإذا ترك أهل الأديان التعصب ... وأقبل [المرء] على دراسة الأديان بعقل متفتح، كان أحرى أن ينكشف له الأصل الواحد لهذه الأديان، واشتراكها في القيم الأساسية الّتي تدعوا لها، وهذه هي دعوتنا اليوم: أن تقوم جبهة أهل الكتاب، والكتاب عندنا يطلَق في القرآن يقصد به كلّ كتابٍ جاء من عند الله». [٣] بل يفجؤنا بقوله: "التبشير عمل إنساني". [٤]

(١) خديجة، عازب، وسامية، ليزة (٢٠٢٠)، الجهود الفكرية والدعوية لحسن الترابي، ص ٥١-٥٢، جامعة الشهيد حمه لخضر، معهد العلوم الإسلامية.

(٢) خديجة، عازب. سامية، ليزة. الجهود الفكرية والدعوية لحسن الترابي، مصدر سابق، ص ٥١-٥٢.

(٣) خديجة، عازب. سامية، ليزة. الجهود الفكرية والدعوية لحسن الترابي، مصدر سابق، ص ٥١-٥٢.

(٤) جريدة الشرق القطرية، مايو١٩٩٣. بواسطة: نموس، محمّد محمود. محمّد عمارة والرواد، الألوكة، ص ٣٣٧.

وأما الدافع لتبني الترابي لفكرة الإبراهيميّة فيرجع إلى أمرين:

أولهـما هـو الدافـع الوطنـي وتقديمـه لمبادئـه الوطنيـة الوحدويـة عـلى ثوابـت الإسـلام وقواطعـه، ولا يسـتبعد تأثـره بأفـكار الأفغـاني ومحمّـد عبـده.

والثـاني، ظنّـه وإيمانـه بـأنَّ «الاجتهـاد متـاح لـكل مسـلم مَهْـما كان جاهـلاً أو أميـاً، فالاجتهـاد ليـس للمجتهديـن، ليتحـرّك معـي الجمهـور والـرأي العـام". ويقـول: "وهكـذا اتّسـم فقهنـا التقليـدي بأنـه فقـه لا شـعبي، وحـق الفقـه في الإسـلام أن يكـون شـعبياً". [1]

(١) الترابي، حسن. قضايا التجديد، ص ١٦٤. بواسطة: نموس، محمّد محمود. محمّد عمارة والرواد، الألوكة، ص ٣٣٧.

خامسًا، جمال البنا والإبراهيميّة.

يرى جمال البنا (ت:٢٠١٣م) أنّ «التّحوّل من الإسلام إلى المسيحية أو اليهوديّة ليس خروجا من الإيمان إلى الكفر، وأن الإسلام لم يَنسخَ أيًّا من الديانتين، لكنه اشترط أن يظل المتحول معترفًا بالإسلام كدينٍ سماوي وبرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». وقال: "الذي يخرج من الإسلام إلى المسيحية أو اليهوديّة لم يخرج من الإيمان، لأنّه انتقل من دين سماوي إلى دين سماوي آخر، وكلُّها تدعو إلى الإيمان بالله، وبالتالي فلا مجال للجدل المتكرر بخصوص الأسلمة أو التنصير". وأضاف بأن ما يُثار حول هذه القضية من آن لآخر هو «انتصار لرجال الدّين وليس للدين ولا للإسلام ولا لله»، مؤكدًا على «المساواة الكاملة بين الأديان السماوية، وأن الإسلام ليس ناسخًا للديانتين اليهوديّة والمسيحية». [١]

المتأملُ فيما قاله جمال البنا يرى أنّه لا يفارق ما قاله الأفغاني ومحمّد عبده في صغيرة ولا كبيرة. ومن شواهد تأسي البنا بالأفغاني قوله: «بدأت اليقظة الإسلامية في العصر الحديث على يدي جمال الدّين الأفغاني"، ثم ذكر أنّه رزق توفيقًا بتنقية العقيدة من الخرافة، وأنّه كان له أثرٌ بارزٌ في ذلك. [٢] والشيءُ بالشيءِ يُذكر فقد سمَّاه والده جمالاً أسوة بالأفغاني.

(١) ينظر: إسماعيل، فراج. جمال البنا: التحول من الإسلام إلى اليهوديّة والمسيحية ليس كفرا، مقال على موقع قناة العربية بتاريخ ٢٨-٢-٢٠٠٨ على الرابط:
https://www.alarabiya.net/articles/2008%2F02%2F28%2F46273

(٢) ينظر: شريعتي، علي (٢٠١٦م). جمال البنا يتحدث عن جمال الدّين الأفغاني، مجلة الحوار المتمدّن، الحوار المتمدن- العدد: ٥٢١٨ – ٢٠١٦.

سادسا، عبد الله بن بيّه والإبراهيميّة.

يُعتبرُ الشيخُ عبد الله بن بيَّه من أبرزِ علماءِ المسلمين الذين جنحوا للحداثة في أَخَرَة فتبنى **الإبراهيميّة** الدّينية من خلال تأطيره لنمط «إسلاميٍّ" من الإنسانويّة، بل إنه بات المُنظِّرَ الدّينيّ لاتفاقيات إبراهيم "Abraham Accords" التطبيعيّة من خلال تولي الأمانة العامة لما يسمّى بـ "منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة"، مع ترأسه لمجلس الإفتاء الشرعي في تلك الدولة.

ابن بيّه والتَّنازلُ عن الثّوابت.

المتتبعُ لفتاوى الشّيخ ابنِ بيّه مؤخّرًا يلفِتُه تغيرٌ واضحٌ في مواقفه المبدئية من ثوابت الإسلام وقواطعه، وجنوحه نحو مذهب الإنسانويّة والتأطير له من داخل الإسلام، فقد ظهر اهتمامه المبالغ فيه بالقيم الإنسانية المشتركة والابتعاد عن الدعوة لعقائد المسلمين القطعية.

وقد سُئل قديمًا عمّن وصلتهم رسالة الإسلام من الكتابيّين؟ فقال:"يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، والنبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - يؤكد ذلك بأنّه لا يسمع به يهودي ولا نصراني ثمّ لا يؤمن به إلا كان من أهل النار، انظر: ما رواه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- [١]، فمن بلَغَتْهُ الرِّسالة ولم يؤمن بها فهذا لا ينجو من الله -سبحانه وتعالى، فهو من أهل النار؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، أي: ومن بلَغه هذا القرآن فهو منذرٌ به، فرسالة النبيّ ﷺ ناسخةٌ

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبيّنا إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، جزء: ١ صفحة: ٩٣، حديث رقم (١٥٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ محمّد بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ.»

لكل الرسائل ولكل الرسالات الّتي سبقتها، فهو الخاتم وهو المهيمن أي: المؤتمن على الرسالات السماوية، فهذا هو الذي نؤمن به. بالطبع ترتب أحكام على هذا وتترتب علاقات على هذا لها أحكام أخرى وعلاقات، فيمكن للإنسان أن يقيم علاقات مع هؤلاء في الدنيا بحسب مصالح المسلمين ودرء المفاسد عنهم فهذا أمر آخر». [١]

إلا أننا نجده يقرّر بعد ذلك أن التَّنوع بين الأديان **الإبراهيميّة** ينبغي أن يُتقبّل «بوصفه شيئًا إيجابيًّا ومظهرًا من مظاهرِ الجمالِ في الكون"! وأنّه «لا يمكن أبدًا أن يكون هذا التَّنوّع مبررًا للتّدابر والتّقاطع». [٢]

فمنذ متى كان الكُفرُ مظهرًا من مظاهرِ الجمال، وهو الذي وَسَمْتَ أهله في سالف أقوالك بالكفر وحرّمْتَ عليهم الجنة؟! اللهم إنيّ أعوذ بك من الحَورِ بعد الكَور.

واستمع لقوله في ميثاق حلف الفضول الجديد: «تجسيدًا لهذا النموذج التعارفي، أَسَّسَتْ قوافلُ السلام الأمريكية منذ سنتين نوعًا جديدًا من الحوار، إنّه حضور الذوات في الحيّز المكاني والزماني ولو لمدّة محدودة، حضورٌ يَتمثّل في التّشارك في العيش في الحركة معًا والأكل معًا والنوم معًا، وكلّهم يقوم بشعائر دينه الّتي هي جزءٌ من حياته اليومية بمرأًى ومسمعٍ من الآخر، إنّهم يتكلمون ويبحثون ولكن الأهم أنّهم يشاهدون ويشهدون ويكتشفون في النهاية أنهم إخوة يشتركون في أكثر مما يتصورون". [٣] أولم يقرأ ابنُ بَيَّه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا

(١) ينظر: ابن بيه، عبد الله. من وصلتهم رسالة الإسلام من الكتابيين، على الرابط:
https://binbayyah.net/arabic/archives/192

(٢) ينظر: ابن بيه، عبد الله. الكلمة التأطيرية لمنتدى تعزيز السلم السادس: ميثاق حلف الفضول، على الرابط:
https://binbayyah.net/arabic/archives/4407

(٣) ينظر: ابن بيه، عبد الله. المحاضرة التأطيرية لمنتدى تعزيز السلم السابع، على الرابط:
https://binbayyah.net/arabic/archives/4974

تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

وأرعِ له سمعك إذ يقول: «إن الارتقاء بالتسامح من الاعتراف إلى التّعارف هو المفهوم الجديد الذي يعيد للتّسامح فاعليّته، وهو عنوان المرحلة التاريخية بيننا نحن أبناءَ العائلة **الإبراهيميّة**، فبعد عصور طويلة من النّقد المتبادل الّذي لم يعدم كلّ طرف فائدته، والجدل الذي أبان رَغمَ حِدَّتِه أحيانًا عن الاتّفاق الأصلي في الرواية، على يد أمثال ابن حزم القرطبي وتوما الأكويني وموسى بن ميمون وغيرهم، نرى أنه حَان الوقت لنرتقي بالتّسامح إلى معنى أسمى هو معنى التّعارف والتّعاون". [1] أيُّ رواية أصلية تلك الّتي تجمع بين الإيمان والكفر! أين أنت: من قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقوله تعالى في اليهود: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ﴾ [البقرة: ٩١]، ثم أين هو من قولِ ابنِ حَزمٍ القرطبي في «مراتب الإجماع»: "واتفقوا على تسمية اليهود والنّصارى كفارًا». [2] فلم يكن ابن حزمٍ القرطبي يومًا متفقا مع توما الأكويني الكاثوليكي وموسى بن ميمون اليهودي في الرواية الأصلية!

«إبراهيميّة» ابن بيّه: تفريغٌ للدّين من جوهر العقيدة وجنوحٌ نحو الإنسانويّة.

من تتبع جهود ابن بيّه مؤخرا يجده قد فَرَّغَ الدّين من محتواه العقدي، فلا تكاد تقف له على فتيا في أصول الدّين وركائزه، فقطب رحى الدّين أضحى عنده دائرًا على القِيَمِ الإنسانيّة المشتركة. و**الإبراهيميّة** من منظوره هي مجموع

(١) ينظر: ابن بيه، عبد الله. الكلمة التأطيرية لمنتدى تعزيز السلم السادس: ميثاق حلف الفضول، على الرابط: https://binbayyah.net/arabic/archives/4407

(٢) ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري. مراتب الإجماع، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١١٩.

«الأخلاق وقيم التسامح والعدل والمحبّة واحترام الإنسانية"، والعائلة **الإبراهيميّة** هم الذين «يؤمنون أن الأخلاق الدّينيّة ما تزال قادرة على أن ترشد العالم إلى سبيل الخلاص من مشكلاته العُضالية». ويرى أنّ شمل العائلة **الإبراهيميّة** بكلّ فروعها يلتئمُ «على أسس جديدة لحوارٍ دينيّ يتجاوز منطق الجدل الدّيني والتبشير بالحقيقة الخاصة لكلّ دين إلى منطق التعارف والتعاون انطلاقًا من القيم والفضائل المشتركة».[١]

قلت: لم تكن **الإبراهيميّة** الحقّة يومًا مرتكزةً على مجرّد محاسن الأخلاق ومكارم الخصال بمعزل عن التوحيد وما يستلزمه من ولاء لأهلِ الإيمان وبراءٍ من أهل الكفر والعصيان وإنْ حُمِدَت سجاياهم، فإبراهيمُ في القرآن هو عنوان التوحيدِ ومناره، وما قيمة التخلق بالمكارم والقلب معقودٌ على بطر الحقّ بالشِّرك وجحد النّبوّة المُحمَّديّة. ولا يرغب عن التوحيد الذي هو ملّة إبراهيم إلا من خفَّ عقلُه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۝١٣٠ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

أتَستَبدلُ يا ابن بيّه معاقدَ عقائدِ الإسلام بـ «إعلان حقوق الإنسان» الذي وضعته الأمم المتحدة بل وتحتفي به؟[٢] أوَ مثلك يجهلُ أنهم أدمجوا فيه ما يسمى بحقوق الشواذ ونصُّوا على حماية الرذيلة وكونها حقًا من حقوق الإنسان؟[٣] ثم ما موقفك اليوم من حقوق المستضعفين من المسلمين؟! قد استبدلت بهم الصهاينةَ في منتداك، وأشغلت نفسك بحماية حقوق الأقليات غير المسلمة

(١) ينظر: ابن بيه، الكلمة التأطيرية لمنتدى تعزيز السلم السادس: ميثاق حلف الفضول، على الرابط:
https://binbayyah.net/arabic/archives/4407

(٢) ينظر: ابن بيّه، المواطنة الشاملة، مصدر سابق، على الرابط:
https://binbayyah.net/arabic/archives/4081

(٣) ينظر: كاميليا حلمي محمّد. دور المنظمات الدولية في نشر الشذوذ حول العالم، مجلة البيان، العدد ٤٣١، على الرابط:
https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?id=17203

في المجتمعات المسلمة، ونسيت إخوانك المسلمين، فيا ضَيعَةَ العلم! وسيأتي بسط الكلام على إبراهيمية ابن بيّه السّياسيّة وخدمته للصهيونية فيما بعد.

سابعا، علي جمعة والإبراهيمية.

ذكر «علي جمعة» مفتي مصر السابق في إحدى حلقاته المصورة أن الله يمكن يوم القيامة أن يلغي النار ويدخل جميع الناس الجنة، وأنه لا مانع من ذلك.[1] وذكر في تسجيل آخر أن دخول المسلمين فقط للجنة «معلومة مغلوطة» واستدل على دخول غير المسلمين الجنة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢]، علما أنّه قد سئل عن دخول المعاصرين من النصارى للجنة، وأن كل هذه الأديان هي الإسلام وأنها مندرجة تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.[2] وإطلاقه لاسم «الإسلام» على اليهودية والنصرانية المحرفة مستلزم بظاهره لجواز التعبد بها لكونها أديانا غير منسوخة بالإسلام. وهذا لون من ألوان الإبراهيمية وجنوح منه نحو وحدة الأديان الإبراهيمية التي ينجو من اتبعها عند الله.

ثامنا، عدنان إبراهيم والإبراهيميّة.

يدّعي «عدنان إبراهيم» أنّ من كان من أهلِ الكتاب من اليهود أو النّصارى وكان مُؤمنا بالله موحِّدًا له وعَمِلَ صالحا بِشَرِيعَةِ التَّوراة أو الإنجيل قبل وبعد البعثة المُحمَّديّة أنّه ناجٍ عند الله تعالى، واشترط لصحّة إيمانه أن يكون مصدّقا بنبوّة محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يشترط عليه التزام الشّريعة المُحمَّديّة، على أنّه إن

(١) ينظر:

https://youtu.be/pSEk_4UNzjg?feature=shared

(٢) ينظر:

https://youtu.be/2O-zRePw1-w?feature=shared

التـزم بهـا فلـه أجـران. بيَـدَ أنّـه لم يُبِـح لمـن التـزم شريعـة محمّـد ﷺ التَّعبـد بالشريعـة اليهوديّـة أو النّصرانيّـة.

وقـد ذكـر "عدنـان إبراهيـم" أنَّ موحّـدي أَهـلِ الكِتـابِ قِلّـةٌ قليلـةٌ، وذكـر منهـم اللاّهـوتي السّـويسري الكاثوليكي "هانـس كونـج" (Hans Küng)، وحمـل مصطلـح «الإسـلام» في القـرآن عـلى أنّـه ديـن الأنبيـاء جميعهـم أي: العقيـدة والتوحيـد.[١] فالإيمـان بالنَّبـيِّ محمّـد ﷺ عنـده هـو مجـرد التَّصديـقِ بالخَـبرِ بأنّـه نبـيّ، لا بمعنـى التـزام شريعتـه. ويلـزم مـن كلامِـهِ ألاّ تَنسَـخَ شرائـعُ الإنجيـلِ شرائِـعَ التَّـوراة، ولا شرائـعُ القـرآنِ شرائِـعَ أهـل الكتابـين.

والمتأمـل في كلام عدنـان إبراهيـم يجـده متابعـا فيـه للأفغـاني ومحمّـد عبـده، مـع كونـه مأخـوذا بحضـارة الغـرب، ويشـتركون في اضطـراب البنيـة الاسـتدلالية، وعـدم الانضبـاط المعـرفي. ويشـغل «عدنـان إبراهيـم» اليـوم منصـب مستشـارِ رئيـسِ جامعـة «محمّـد بـن زايـد للعلـوم الإنسـانية» في أبـو ظبـي.

تاسعا، محمّد شحرور والإبراهيميّة.

يقسِّـم محمّـد شـحرور الناجـين يـوم القيامـة إلى قسـمين: مسـلمين ومؤمنـين، ويجعـل الإسـلام -بحسـب تعريفـه لـه- شرط النجـاة، والإسـلام عنـده يقـصر عـلى الإيمـان باللـه واليـوم الآخـر والعمـل الصالـح، فمـن صـدّق عنـده بوجـود إلـه وآمـن باليـوم الآخـر وعمـل صالحًـا فهـو نـاج يـوم القيامـة وإن جحـد بنبـوّة محمّد ﷺ والقـرآن. وأمـا اسـم المؤمـن فيُطلِقُـهُ عـلى المؤمـن بمحمّـد ﷺ حـصرًا، والإيمـان بمحمّـد عنـده مرتبـةُ كـمال لا شرط نجـاة. وعليـه فاليهـود والنّصـارى المثلِّثـة بـل ومـن صبـأ فـكان حسـب زعمـه مجوسـيًا أو بوذيًـا فمسـلمٌ ونـاج يـوم القيامـة وإن

(١) ينظر: إبراهيم، عدنان، نجاة أهل الكتاب، الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=ucBkuQIXJ3k .

لم يسمَّ مؤمنًا.[١]

فإن قيل: كيف حكم شحرور بنجاة النّصارى المثلِّثَة وعُبَّاد النّار من المجوس وغيرهم من المشركين، يقال: ينتحل شحرور مذهب الحلول فيقول بحلول صفة من صفات الله في مخلوقاته، إذ يدعي أنّ الروح -والّتي هي العقل عنده-، جاءت «من الله مباشرة، بمعنى أنّها صفة من صفات الله». ويزعم أنَّ «هناك أمرًا مشتركًا بين الله والإنسان، وهو الروح"! [٢] ويضيف في موضع آخر: "الوجود الموضوعي خارج الوعي: هو الوجود الإلهي"، [٣] وهذا صريح في اعتقاده بوحدة الوجود. وبعيدًا عن تناقض قوليه في كتابه «الكتاب والقرآن»، فكلُّ معبود عنده هو الله، حجرًا كان أو شجرًا أو بشرًا! فلا فرق بين أن تعبد الله وحده وأن تعبد غيره من خلقه، إذ كلُّ ما كان خارج الذهن هو عين الله.

والمتأمل في دوافع تبنيه للإبراهيمية أو قُلْ وحدةَ الأديان: هو اعتقاده بوحدة الوجود، وإن كنت أقطع أنّه لا يفرق بين وحدة الوجود وفكرة الحلول، ناهيك عن طرحه المتسم باللامنهجية والتناقض، ولا غرو في ذلك، فقد دعا إلى تجاوز أصول فقهِ الشّافِعيِّ ووضع أصولٍ جديدة، [٤] مع كونه لا يكاد يحسن العربية ولا نُطق الآيات القرآنية!

منظمة راند الأمريكية ترشح تصدير محمّد شحرور.

في تقرير «الإسلام الديموقراطي المدني» الذي كتبته اليهوديّة "شيريل بينارد"

---

(١) ينظر: شحرور، محمّد، الإسلام والإيمان، الرابط:

https://shahrour.org/?p=4219.

(٢) شحرور، محمّد. الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ص ٣٧٩ و٣٩٠. وينظر: سمرين، يوسف (١٤٣٩ه). بؤس التلفيق: نقد الأسس الّتي قام عليها طرح محمّد شحرور، ط:٢، مركز دلائل، الرياض، ص ٧٢-٧٣.

(٣) شحرور، محمّد. الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة، مصدر سابق، ص ٣٩٠. وينظر: سمرين، يوسف (١٤٣٩ه). بؤس التلفيق: نقد الأسس الّتي قام عليها طرح محمّد شحرور، مصدر سابق، ص ٤٥.

(٤) ينظر: سمرين، يوسف. بؤس التلفيق: نقد الأسس الّتي قام عليها طرح محمّد شحرور، مصدر سابق، ص 21.

والصادر عن منظمة راند البحثية الأمريكية: كان الحداثي شحرور من ضمن أهم الشخصيات الّتي رشحها التقرير لتعاونِ الغرب معها بُغيةَ إنتاج إسلام «ديموقراطي مدني» مُنَوِّهًا بكتابه «مشروع ميثاق العمل الإسلامي»، الذي يؤكّد فيه شحرور "على حاجة العرب إلى خطة للتعامل مع القرن الحادي والعشرين، تشتمل على الحرية السّياسيّة والتعددية والديموقراطية والمساواة». [(١)]

وبالفعل، قامت «شبكة أبو ظبي للإعلام» بفتح فضاء شاشة تلفزيون «أبوظبي» ليبث من خلالها شحرورٌ سمومَه في عقول العرب والمسلمين في برنامج «لعلهم يعقول»، كما استضافته قناة روتانا الخليجية الّتي يملكها «الوليد بن طلال» كضيف في برنامج «النبأ العظيم».

ويواصل اليوم د. طارق «ابن محمّد شحرور» مسيرة والده على وسائل التواصل الاجتماعي، ولا يُستَبعدُ أن تتبناه إحدى وسائل الإعلام المرئي التطبيعية قريبًا.

(١) بينارد، شيريل (٢٠١٣م). الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والموارد والاستراتيجيات (ترجمة: إبراهيم عوض)، ط١، دار تنوير للنشر والإعلام، بالتعاون مع مركز نماء للبحوث والدراسات، القاهرة، ص ٧٦.

عاشرا، محمد حبش والإبراهيمية.

أسَّسَ الحداثي محمد حبش «مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة» في الإمارات. وهو يميل إلى مذهب الإنسانوية الدينية وينتحل مذهب التصوف الفلسفي، فلذا نجده ينتقد حَصرَ الخلاص الأخرويّ ودخول الجنّة بالإسلام، كما يرفض نسخ الشّريعة المُحَمَّدِيَّة للشّرائع السّابقة، فيقول في مقال له بعنوان: «احتكار الخلاص»: "وباختصار فإنني أعتقد أن احتكار الخلاص هو أكبر أمراض الأمم وأتباع الأديان عبر التاريخ» ... "إن الله واحد ولكن أسماءه كثيرة والحقيقة واحدة ولكن الطرق إليها كثيرة والإشراق واحد ولكن الأديان متعددة، والحب واحد ولكن القلوب كثيرة». ويستدل بكون القرآن نزل مصدقا لما بين يديه من الكتاب: «فهو لم يقل: مبطلاً لما بين يديه أو ناسخاً لما بين يديه أو ناسفاً لما بين يديه، أو ملغياً لما بين يديه، بل قال مصدقاً لما بين يديه ومهيمناً عليه، وهذا المعنى يشمل التوراة والزبور والإنجيل من الكتب السابقة ويشمل الحكمة والعلم مما يتطابق مع المقاصد العظيمة للدين الحق».[١]

ويَستَدِلُّ على دخول النّصارى الجنّة بقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢]، ويعلّق بقوله: « يقبل العمل الصالح من الناس كلهم مهما كان دينهم». ويضيف: بأنّ الدّين الذي "لا يبذل الرحمة إلّا لاتباعه ليس جديراً بالاحترام".[٢] كما يحكم بنجاة من يعمل صالحا من اليهود والنّصارى -وإن كفروا بالرّسالة المُحَمَّديّة- مفرّقا بين صالحهم وفاسدهم بقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران].[٣]

---

(١) ينظر: مقالة: حوار فنلندا: من احتكار الخلاص إلى احتكار الحياة بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٨ على موقعه على الرابط:
https://mohammadhabash.org/?p=24422

(٢) ينظر: مقالة: شهيدة القدس... دروس الرحيل المريرة، بتاريخ: بتاريخ ٥ / ديسمبر / ٢٠٢٢، على موقعه على الرابط:

https://mohammadhabash.org/?p=26050

(٣) ينظر مقالة: المغضوب عليهم والضالون، بتاريخ ٢٠٢١/٩/١، على الرابط:

https://mohammadhabash.org/?p=25406

وينحى "حبش" منحى التأويل الرّمزي لعذاب أهل النار، ويؤوّله بمعنى العذوبة جَريًّا على ما نسب للفيلسوف المتصوف ابن عربي -وقد تقدم-، فيقول: "ثقافة النار برمتها باتت تحتاج إعادة نظر إن كنا نريد أن نبقى مؤمنين» ... «وخلاصي الذي أومن به تجاه ظاهر هذه النصوص هي أنها تتحدث عن عالم غير عالمنا، عالم لا تحكمه قوانين نيوتن ولا زمان انشتاين، عالم تحكمه الميثولوجيا الرمزية، ولا يمكنني أبداً أن أصدق أن الله ماض في عذاب عباده ومحبيه آلاف السنين ما دامت السماوات والأرض لمجرد أنهم وقعوا في معاصي ومخالفات". وقال: "ما أومن به هو عالم رابعة العدوية وابن عربي وجلال الدين الرومي، الذي رأوا عذابه عذوبة، وناره نوراً، وجحيمه مطهرة وخلاصاً، لا يغيب فيها عدله ولا رحمته طرفة عين".[١]

والمتأمّل في كلامِ محمد حبش يجده متأثرا بالتّيار حداثي العربي وبأعلام التّصوف الفلسفي. وشاهد تأثره بالحداثيين قوله: " مشروع التجديد بأدواته الحديثة قد بدأ مع مطلع القرن العشرين عندما بدا واضحاً أن المخاض الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية بين الأمم يتطلب ثورة في الفكر والتجدد وهو بالضبط ما قام به المجددون الكبار أمثال: عبد الرحمن الكواكبي ورفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا» ... "واليوم تتعزز خيارات كثيرة في التجديد والتنوير على يد رجال كبار أمثال جودت سعيد وخالص جلبي وحسن الترابي وأحمد الكبيسي وجمال البنا وعبد الكريم سروش، وهم الذين يقولون ما يعتقدون، ولا يخافون في الله لومة لائم، وقد أخذ كل واحد منهم بنصيبه من فتاوى التّكفير والتّفسيق التي صارت موضة العصر ولم ترحم أحداً".[٢]

---

(١) ينظر: مقالة: نار السعير... قراءة أخرى في كتاب الله، على موقعه على الرابط:

https://mohammadhabash.org/?p=24593

(٢) ينظر: مقالة: ١٠٠٠ يوم في مجلس الشعب، على موقعه على الرابط:

https://mohammadhabash.org/?p=24220

وشاهد تأثره بالتصوف الفلسفي -مع ما تقدم- قوله: "وما أُثِرَ عن الشيخ محي الدين بن عربي من القول بوحدة الوجود ووحدة الأديان والحلول والاتحاد أكثر من أن يحصى»، ويذكر أن السهروردي المقتول والحلاج من الأتقياء والمصلين، وأنهما وابن عربي من مجددي الأمة.(١)

ويشغل محمد حبش منصب مدرّس المواد الشّرعية في جامعة أبو ظبي، ويعتبر من أدوات الإبراهيمية السياسية كما سيأتي. وله فتاوى أخرى خالف فيها الإجماع كقوله باستحباب الحجاب دون أن يكون واجبا، حتى إن ابنته الكبرى خلعت حجابها، والصغرى ليست محجبة.(٢)

الحادي عشر، وسيم يوسف والإبراهيميّة.

يوضح وسيم يوسف رسالة البيت الإبراهيمي في تغريدة له ذاكرا:«أن الله للجميع ولو اختلفت الطرق"، ويقول تارة أخرى: «البيت الإبراهيمي صوت الله للجميع، فطرق الله شتى، لكنها توصل لله، فأنت أخي المسلم وأخي المسيحي وأخي اليهودي»، ويستدل ثالثة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢]، واضعا صورة فيها الهلال والصليب والنجمة السداسية، في إشارة إلى الأديان الثلاثة.(٣)

---

(١) ينظر: مقالة: المقتولون بالردة، على موقعه على الرابط:
https://mohammadhabash.org/?p=24608

(٢) ينظر: فيديو: مراجعات السبيل | الدكتور محمد حبش.. من القرآن إلى الزندقة!، على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=qRQLNcOWImQ

(٣) ينظر: فيدبو توثيقي على الرابط:
https://youtu.be/MmEOcNCMfGM?feature=shared

الثاني عشر، إبراهيم عيسى والإبراهيميّة.

يُقدّمُ الإعلاميّ المصريّ حاليًا برنامجًا حواريًا بعنوان «مُختلَفٌ عليه» على قناة «الحرة» الأمريكية. وقناة الحرّة هي إحدى مؤسسات «شبكات البث في الشرق الأوسط" (Middle East Broadcasting Networks, Inc. (MBN))، الّتي تشكل منفذًا إعلاميًا غيرَ ربحيّ تمُوله الحكومة الأمريكية من خلال منحةٍ من الوكالة الأمريكية للإعلام العالمي (USAGM)، وهي وكالة فيدرالية مستقلة. [١]

وترتكز فكرة البرنامج على التشكيك بثوابت الإسلام وقواطعه، ففي حلقة قدمها عام ٢٠٢٠م بعنوان «مَن الكافر؟» اعتبر فيه أنّ وصف الآخر بالكفر والمروق من التعصب، وأن وصف شركاء الوطن -يقصد الأقباط بالكفر- من التّشدد. ويرفض فكرة تكفير غير المسلمين، وأن هذا ليس من دين الله. [٢]

وله حلقة أخرى بعنوان «من سيدخل الجنة؟» انتقد فيها المسلمين والنّصارى واليهود لكونها أديانا حصرية تقصر الجنة على أتباعها. فيوجّه كلامه للمسلمين قائلًا: هل ستذهب الأم تيريزا للجنة؟ وهل سيدخل الدكتور المصري القبطي مجدي يعقوب الجنة؟ وأنكر على «المتشددين» المسلمين قولهم: لن يدخل الجنة لأنه لم يمت على الإسلام. وتسائل إن كان سيذهب مخترع البنسيلين (Penicillin) وآينشتاين للنار رغم كل ما قدموه من خدمات للبشرية؟! ثم يختم

---

(١) ينظر: موقع «الوكالة الأمريكية للإعلام العالمي» (Media Global for Agency .S.U) التابع لحكومة الولايات المتحدة على الموقع:

https://www.usagm.gov/2022/10/21/debatable-hosts-a-special-series-from-across-the-region /

(٢) برنامج «مختلف عليه»، حلقة: «من الكافر؟» على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=6Id1QTvZoRI

الكلام بقوله: «لو شاء أن يدخل من كفر به الجنة لأدخله» [(١)] رادًا على الله قوله ومنازعًا له في حكمه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

وقد فاز برنامج "مختلف عليه» عام ٢٠٢١م بجائزة مهرجان نيويورك للسينما والتلفزيون، في مجال «البحث والتحليل» عن حلقات: «اليهوديّة وتأثيرها على الإسلام». [(٢)] كما استضافه معرض أربيل للكتاب، والمعرض كان مدعومًا من قناة الحرة بالشراكة. [(٣)]

وقد تم إنتاج ثلاثة أفلام من تأليف إبراهيم عيسى: الأول هو فيلم «مولانا» (٢٠١٦م) وهو مأخوذٌ عن رواية له. والثاني بعنوان «الضيف» (٢٠١٩م). وأما الثالث فهو «صاحب المقام» والذي عُرض على منصة إلكترونية عام (٢٠٢٠م). قد تناول فيها علاقة الدّين بالعقل والعلم. فضلًا عن تأليفه لعدد من المسلسلات آخرها «حضرة العمدة» (عرض في رمضان ٢٠٢٣م) تناول فيها مسائل دينية أخرى.

وفي فيلم «مولانا» يقول الشيخ حاتم -أحد شخصيات الفيلم- أثناء إحدى الحوارات: «البلد عندنا مقسومة أغنيا وفقرا، فسدة وشُرَفا، مش مسلمين وأقباط، لكن النظام اللي عندك في البيت عايزنا كده؛ المسلم (بـ)يتعامل مع المسيحي على إنه كافر ولازم يسلم، والمسيحي شايف المسلم كافر وظالم وعنصري». ويقول في مشهد آخر: « يا سيدي أنا لا أدخل مسيحيين إسلام ولا مسلمين المسيحية ". ويضيف: «بصراحة أنا مش ضامن إنك هتخش الجنة لو فضلت

(١) برنامج «مختلف عليه»، حلقة: «من سيدخل الجنة؟» على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=stkbBUMR8po

(٢) ينظر: موقع «إعلام» على الرابط:

https://www.e3lam.com/539375

(٣) ينظر: موقع «الوكالة الأمريكية للإعلام العالمي» (Media Global for Agency .S.U) التابع لحكومة الولايات المتحدة على الرابط:

https://www.usagm.gov/2019/04/17/alhurra-television-co-sponsors-the-kurdistan-book-fair-bridging-cultures

مسلم، ولا طبعًا إنك هتروح النار لو بقيت مسيحي، لأني مؤمن إن ربنا سبحانه وتعالى بـ يشمل رحمته كل الناس؛ مسلمين (بقى) نصارى يهود ملاحدة».

وفي فيلم «الضيف» تظهر الدعوة لوحدة الأديان عندما يتفاجأ أسامة أن زوجة يحيى التّيجاني مسيحية وليست مسلمة، ويسأله لماذا لا يدعوها إلى الإسلام ليرد عليه يحيى بقوله «ما هو ربنا هاديها، أهديها أنا ليه؟» ثم يقول «يعني واحدة ست سعيدة مع ربنا، أنا أتدخل بينها وبين ربنا ليه؟».

وفي فيلم «صاحب المقام»: يذهب يحيى المسلم إلى الكنيسة مع صديقه جورج النصراني وعندما يسأله يحيى "هو أنا المفروض أعمل إيه دلوقتي يا جورج؟» يرد جورج قائلاً: «هتولع شمعة وتقرأ الفاتحة»، ويفعل يحيى ما يقوله جورج. [(١)]

الثالث عشر، إسلام بحيري والإبراهيميّة.

قدّم إسلام بحيري على قناة الحّرة الممولة من الولايات المتحدة الأمريكية برنامج «إسلام حر»، وفي إحدى حلقاته بعنوان: « هل يصف القرآن أهلَ الكتاب بالكفار؟"، ذكر أنّ أهل الكتاب لا يعتبرون كفّارًا إلّا إذا كفروا بالكتاب الذي أنزل عليهم. [(٢)]

وقد تبع بحيري شحرورًا في تفريقه بين الإسلام والإيمان، وادعى أن النصراني أو اليهودي أو الصابئ الذي أنكر رسالة الإسلام وجَحَدَ نُبُوَّةَ محمّد ﷺ أنّه ناجٍ عند الله وأنّه صحيح الإسلام لأنّه قد حقق أركان الإسلام، وهي: الإيمان

(١) ينظر: يوسف، تقي محمّد (٢٠٢١م). مولانا- الضيف- صاحب المقام: الدّين في أفلام إبراهيم عيسى، مصر، مركز خطوة للتوثيق والدراسات. على الرابط:

http://www.khotwacenter.com.

(٢) بحيري، إسلام. برنامج «إسلام حرّ»، الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=6 Bof7 aqhOqA.

بالله، والإيمان اليوم الآخر، والعمل الصالح.[١] ثمّ ادّعى أيضًا أن كتب اليهود والنّصارى اليوم غير محرّفة.[٢] فمفهوم الكفر الأكبر المخرج من الملّة والذي يوجب إلى الخلود في النّار عنده = عدم الإيمان بوجود إله خلق ويحكم الكون، وأما إنكار اليهود والنّصارى لنبوة محمّد r فليست عنده كفرًا أكبر.[٣]

(١) انظر: بحيري، إسلام، البوصلة، الرابط:

https://twitter.com/elbosla/status/1315774243817353216?lang=ar.

(٢) انظر: بحيري، إسلام، بوصلة: القرآن وإيمان أهل الكتاب، الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=hMBYC4ARGHU&ab_channel=TeNTV

(٣) انظر: بحيري، إسلام، بوصلة: القرآن وإيمان أهل الكتاب، الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=hMBYC4ARGHU&ab_channel=TeNTV

ثانيا، الإبراهيميّة الدّينيّة: تحريرُ المفهوم والتَّمَظهُرات.

يتناولُ هذا الفصلُ تَحريرَ مفهومِ **الإبراهيميّة** الدّينيّة، وبيانَ تمظهراتها وصُوَرِها، وبيان نسبتها من وحدة الأديان، ثمّ التّفريق بينها وبين حوار أتباع الأديان الثلاثة. وخُتِمَ الفصل بذكر طَرفٍ من محاسن الإسلام فيما يتعلّق ببرّ أهلِ الكِتابِ والإحسانِ إليهم، دفعا لإيهام التّلازم بين رفضنا للإبراهيميّة كفكرة من جهةٍ، وظُلمِ اليَهودِ والنّصارى من جهة أخرى.

مفهوم «الإبراهيميّة الدّينية".

لا شك أنّ تحرير المفاهيم في أيِّ بحثٍ يُعتَبرُ من أهمّ مُقَوّمات نجاحه وشرطًا يُعينُ على الخروج بأحكام دقيقةٍ ونتائج موضوعية، فإنّ ضبابيّة المفهوم باندراج ما ليس مِنه فيه وخروجِ ما يصدق عليه منه: يفضي إلى أحكام مغلوطة. ولذلك كان من أبرز تحدّيات البحثِ: التأطيرُ لمفهومٍ عامٍ دقيقٍ للإبراهيمية، تندرج فيه صورها وتمظهراتها قديما وحديثا. ولذلك شرعتُ في تحريرٍ مفاهيميٍّ للإبراهيمية كفكرة بتجريدها من خلال تتبع مصاديقها تاريخيّا، وذلك لاستشعار الباحث عند النظر فيها وجود خيط معنوي ناظم لها.

و"**الإبراهيميّة**" في اللغة: اسمٌ ومَصدرٌ صِناعِيٌّ مُصاغٌ من اسم العلم «إبراهيم». وأما عُرفًا فيمكن تعريف "**الإبراهيميّة** الدّينية» - بعد تتبّعِ صُوَرِها وتمظهُراتِها - بأنّها: فكرةٌ قائِمَةٌ على الحُكمِ بنجاةِ وخلاصِ أتباع الأديان الثلاثة -الإسلام واليهوديّة والنّصرانيّة- في الآخرة بعد البعثة المُحمَّديّة، وما يستتبع ذلك من خطوات إجرائية للتقريب بينها وتحييد ما يضادُّ ذلك.

و**الإبراهيميّة** بهذا التعريف تستلزم بجميع صورها الطَّعنَ في عالميّة الرِّسالة المُحمَّديّة، ونفي نسخ شريعته لشرائع التَّوراة والإنجيل، كما تقتضي صوابيّة التَّعبد بأيٍّ من الأديان الثلاثة بعد البعثة المُحمَّديّة.

وقد تضمّن التَّعريفُ نجاةَ أتباع الأديان الثلاثة – الإسلام واليهوديّة والنّصرانيّة – في الآخرة حصرًا، لأنّ نجاة أتباع عموم الأديان يدخل تحت مفهوم «وحدة الأديان»، وهو أعمّ من **الإبراهيميّة**، فبينهما عموم وخصوص مطلق.

وأما قولنا: (بعد البعثة المُحمَّديّة)، فيخرج به اليهود والنّصارى قبل الإسلام، فمن اتّبع الحقّ منهم قبل البعثة كان ناجيا عند الله، ولا يدخل تحت مسمى «**الإبراهيميّة**".

ويدخل في التعريف **الإبراهيميّة** التوحيدية وغيرُ التوحيدية كما سيأتي.

منهج التقريب بين الأديان الثلاثة لتحقيق فكرة الإبراهيميّة الدّينيّة.

من المتقَرِّر عند دارسي علم الأديان المقارن أنَّ الأديانَ الثلاثة -الإسلام واليهوديّة والنّصرانيّة- تشتركُ اليومَ في عدد من العقائد والأحكام العمليّة وتختلف في أخرى. [١] ولذلك سلكَ مُنَظِّرو **الإبراهيميّة** للتقريب بينها طريقين:

الأول، البناء على المشترك بينها -ويسمى المشترك الإبراهيمي-، سواء تعلّق بالعقائد أو بالأحكام العملية.

والثاني، تحييد ما يضادّ فكرة الإبراهيميّة مِن المختَلَف فيه.

ليُعلم أولاً أنّه لا يُتَصَوَّرُ اختلافُ الأديان الثلاثة في العقائد قبل تحريف التَّوراة والإنجيل، وإنّما المتصوّر هو اختلافها في الأحكام العمليّة، ودليله أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التَّوراة، وكذا القرآن نسخ بعض أحكامهما. وأما بعد تحريف هذه الكتب فيتصور اختلافها بل وتناقضها في العقائد وفي الأحكام.

---

(١) والمقصود بالأحكام العملية: العبادات، والمعاملات المالية، والأحوال الشخصية، والمنظومة القضائية، والعلاقات الدولية (السِّيَر)، وما يتعلق بالآداب ومحاسن الأخلاق ... الخ.

ومـن المسـائل المتناقضـة بينهـا والّتـي لا يتـأتّى معهـا التّأطـير للإبراهيميـة واقعًـا: التناقـضُ بـين التّوحيـد في الإسـلام واليهوديّـة مـن جهـة، وتثليـث النّصـارى مـن جهـة أخـرى. وقـد تعامـل دعـاة **الإبراهيميّـة** مـع هـذا التناقـض بمقاربتـين:

أولاهمـا، عـن طريـق تأويـل نصـوص التثليـث النّصرانيّـة وحملها عـلى معـان عرفانية باطنيـة كـما صنـع جـمال الدّيـن الأفغـاني، لتجتمع الأديـان الثلاثـة عـلى التوحيد.

والثانيـة، عـن طريـق عـدم اعتبـار التوحيـد في **الإبراهيميّـة**، والاكتفـاء بوجـوب إثبـات خالـقٍ مـع قبـول عقائـد الموحديـن كـما صنـع المسـتشرق الفرنـسي ماسـينيون.

ومـن أهـم مـا يناقـض فكـرة **الإبراهيميّـة** مـن الاعتقـادات كذلـك: عقيـدة عمـومُ الرِّسـالة المُحمَّديّـة ونسـخها للشرائـع السَّـابقة. وقـد تعامـل دعـاة **الإبراهيميّـة** معهـا بمقاربتـين:

الأولى، عـبر تأويـل النّصـوص الدّالـة عـلى عمـوم الرِّسـالة، ومحاولـة تخصيصهـا بجماعـة دون أخـرى، ولا يتـأتّى لهـم ذلـك إلا مـن خـلال إبطـال التّواتر كمصـدر يقيني مـن مصـادر المعرفـة، ومـن خـلال النظـر في النصـوص القرآنيـة بمنظومـة فاسـدة لا تقـوم عـلى لغـة ولا تشـهد لهـا أصـول شرعيـة، وهـذا مـا سـيبينه الكتـاب في فصولـه اللاحقـة.

والثانيـة، عـبر ردّ النصـوص الدالـة عـلى عمـوم الرِّسـالة رأسـا -وهـو الأقـل- كـما هـو الحـال مـع كثـير مـن الأحاديـث النبويـة.

الإبراهيميّة الدّينية لا تستلزم التّماهي التّام بين الأديان الثلاثة.

يدنـدنُ كثـيرٌ مـن دعـاة **الإبراهيميّـة** والمتحمِّسـون لهـا حـول عبـارة: «**الإبراهيميّـة** ليسـت دَمجًـا بـين الأديـان الثلاثـة في ديـن واحـد»، كـما يقولـه «وسـيم يوسـف» وغـيره[1]

(١) ينظر: وسيم يوسف. وسيم يوسف يرد على عثمان الخميس ومهاجمته «البيت الإبراهيمي»، مقابلة على قناة سي إن إن عربية، على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=nQHnN-hxXnU&ab_channel=CNNArabic

فيقال لهؤلاء: أين وجدتم في السردية التاريخية للإبراهيمية من ادعى ذلك؟ فلا يلزم من التّأطيرِ للإبراهيميّة التّماهي التّام بين الأديان الثلاثة، بل قد يكون لكلِّ دين خصوصيّاته من ناحية استقلال دور عبادته وتمايز كتبه وشرائعه، في ضوء اعتبار كلٍّ منها طريقا موصلا إلى الله تعالى، فهي كالمذاهب المختلفة للدّين الواحد.

وقد ذهب بعض المنظرين للإبراهيمية إلى أنّه يمكن التَّعبد بمجموع الكتب الثلاثة القرآن والتَّوراة والإنجيل مع إبقائها على حالها، ويجمع بينها بتأويل ما يضاد **الإبراهيميّة** منها. ومن مصاديق ذلك فلسفة «دين الحق» الّتي ابتدعها جمال الدّين الأفغاني وتبعه عليها محمّد عبده. وحاصل هذه الفلسفة أنّ الله تعالى أرسل موسى بالتَّوراة فوقع فيها بعض الخلل في ألفاظها ومعانيها، فبعث الله تعالى عيسى بالإنجيل ليصحح بعض مفاهيم التَّوراة وأكمل ما نقص منها، ثم جاء القرآن مصدقا للكتابين، بمعنى أنّ التَّوراة والإنجيل تفهم في ضوء محكمات القرآن، لتكون الكتب الثلاثة متفقة. ويُسلَكِ في سبيل تحقيق ذلك طريقُ تأويلِ نصوص الكتب الثلاثة، فتُأَوَّلُ نصوص الشرك في التَّوراة والإنجيل تأويلا صوفيا عِرفانيا لتتوافق مع عقيدة التوحيد الّتي قررها القرآن، وتأوّلُ نصوصُ القرآن الّتي تتضمن نسخ شرائع أهل الكتاب، وبهذا تتكامل الأديان الثلاثة وتتوافق مضامين كتبها.

وليعلم أنَّ «**الإبراهيميّة الدّينية**» اليوم قد لا تكون إلّا توطئةً لمشروع أكبر يقوم على صهر الأديان الثّلاثة في دينٍ جديد واحد يجمعها يسمى «الدّين الإبراهيمي»، يُسلَكُ فيه طريق التّوليف بين نصوص الكتب الثلاثة للخروج بكتاب يستمدُّ مادَّتَه من المشترك بينها، مع توحيد دور العبادة بتحويل المساجد والكُنُس إلى دور عبادة إبراهيمية، وهذا مما لم أقف له على مصداق إلى يوم هذا، والأيامُ حُبْلى. على أنّه قد سبق مزج الإسلام بالهندوسية في الهند فيما يعرف اليوم بالديانة السِّيخيّة.

تمظهرات «الإبراهيميّة الدّينية».

ليس للإبراهيمية الدّينية صورةٌ واحدة، بل تتمظهر بصُوَرٍ شَتّى، إذ هي أضغاث أفكار، لا ينتظمها منهج ولا صَدَرَت عن فِكرٍ قويم. ويمكن إرجاع صورها على الجملة إلى تمظهرين اثنين:

التمظهر الأول، وهو «الإبراهيميّة التّوحيديّة»، وتقوم على الأركان التالية:

[١] وجوب اعتقاد وحدانية الإله، فغير الموحّد لا ينجو عند الله.

[٢] وجوب الإيمان باليوم الآخر.

[٣] وجوب التصديق بنبوّة محمّد ﷺ من غير إلزام بشرعه، وبالتالي نفي عالمية رسالته.

[٤] عدم نسخ الشريعة المُحمَّديّة لشرائع التَّوراة والإنجيل.

والقائلون بهذا اللّون من الإبراهيميّة طرائقُ قِدَدا:

(١) فمنهم من زعم أن الأديان الثلاثة صحيحة، وأنّه يجوز للمرء أن يتعبد بأي منها. على أنّ الإنجيل صحح التَّوراة وأكمل ما نقص منها، ثم صدّقهما القرآن ولم ينسخهما. هذا مذهب الأفغاني ومحمّد عبده، ومن تبعهما كجمال البنا وغيرهم. وأما ما يناقض التوحيد من نصوص التَّوراة والإنجيل فحملها الأفغاني على معان صوفية عرفانية. وزعم أنّ "دين الحق" الذي ورد ذكره في قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣]، لا يقتصر على الإسلام بل قد يكون هو اليهوديّة أو النّصرانيّة بشرط موافقة الحق من التّوحيد والإيمان بالأنبياء وكتبهم، ثم العمل بأحكامها.

ومنهم من زعم أنّ الله تعالى أرسل محمّدا ﷺ إلى مشركي العرب

ومشركي أهل الكتاب دون الموحدين منهم، ومن هؤلاء عدنان إبراهيم.

(٢) ومنهم مَن ادَّعى خصوصية الرِّسالة المُحمَّديّة بالعرب دون غيرهم من الأمم، وهم العيسوية من اليهود، إلا أنهم اشترطوا كذلك الإقرار بنبوة عيسى كذلك. [(١)]

(٣) ومنهم من زعم أن محمّدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل لجميع البشر سوى اليهود، وهم الشاركانية من اليهود. [(٢)]

(٤) ومنهم من لم يشترط مع التوحيدِ والإيمانِ باليوم الآخر: الإيمانَ بنبوة محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كإسلام بحيري.

التمظهر الثاني، وهو «الإبراهيميّة غير التوحيدية»، وتقوم على الأركان التالية:

[١] وجوب التصديق بوجود خالق، أيا كان هذا الخالق، ولا يوجبون توحيد الله.

[٢] وجوب التصديق باليوم الآخر.

[٣] لا يوجبون التّصديق بنبوة محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد نحا إلى هذا القول مثلثة النّصارى ومنهم بولص الأنطاكيّ وأحد المستشرقين القبارصة الّذي هَذَّب رسالته، وبه قال المستشرق واللاهوتي الفرنسي لويس ماسينيون ودعا إليه، وهو الذي تبنّته الكنيسة الكاثوليكية تبعا لماسينيون.

---

(١) ينظر: ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد القرطبي الظاهري. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص٨٢.، مكتبة الخانجي، القاهرة. وقال ابن حزم في أبي عيسى الأصبهاني: « وبلغني أن اسمه كان محمّد بن عيسى »

وقال الشهرستاني: « العيسوية: نسبوا إلى أبي عيسى إسحق بن يعقوب الأصفهاني، وقيل: إن اسمه عوفيد الوهيم أي عابد الله ». ينظر: الشهرستاني، الملل والنّحل، مصدر سابق، ج ١ ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) ينظر: عبد القاهر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر التميمي الأسفراييني، أبو منصور (١٩٧٧م). الفرق بين الفرق، ص ١٠، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

وهــؤلاء النّصــارى يدعــون حلــول اللــه في عيــسى واســتحقاقه للعبــادة، إلا أنهــم يحكمــون بنجــاة مــن لم يعبــد عيــسى إذا عبــد اللــه وآمــن باليــوم الآخــر.

وممــن ذهــب إلى أنَّ الإيمــان بالخالــق -أيــا كان هــذا الخالــق- والتصديــق باليــوم الآخــر كاف في النجــاة والخــلاص في الآخــرة: محمّــد شــحرور، وكلامــه يقتــضي نجــاة مــن كفــر بنبــوة محمّــد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وبالقــرآن إن التــزم بالشرطــين السَّــابقين.[١]

وحدة الأديان ونسبة الإبراهيميّة الدّينية منها.

يخلــط كثــير مــن الدارســين للإبراهيميــة بــين مفهومــي «**الإبراهيميّــة**" و "وحــدة الأديــان"، والتحقيــق أنّ بينهــما عمــوم وخصــوص مطلــق، إذ تعتــبر **الإبراهيميّــة** لونــا مــن ألــوان وحــدة الأديــان - بمعنــى وحدتهــا في صحّــة التَّعبــد بهــا أو وحــدة مــآل معتنقيهــا-، إلاّ أنَّ **الإبراهيميّــة** قــاصرةٌ عــلى نجــاة أتبــاع الأديــان الثلاثــة: الإســلام واليهوديّــة والنّصرانيّــة، بخــلاف وحــدة الأديــان الّتــي تــؤول إلى نجــاة جميــع البــشر بصــورة أو بأخــرى. ولــذا ســأتطرق في المبحثــين التاليــين إلى تحريــر المــراد بوحــدة الأديــان وبيــان أقســامها مــن حيــث مــآل معتنقيهــا.

أولًا، تحرير المراد بوحدة الأديان.

كثــيرة هــي الكتــب الّتــي تناولــت مصطلــح وحــدة الأديــان، وقليلــة هــي الّتــي حرّرتــه، ولذلــك ســأمهد لهــذا المطلــب بتحريــر المصطلــح. فيقــال بدايــة، «وحــدة الأديــان" تطلــق ويــراد بهــا أحــد ثلاثــة أمــور:

الأول، توحيــد الأديــان إجرائيــا وصهرهــا في ديــن واحــد، عــبر توحيــد كتبهــا ودور

---

(١) نظر: شحرور، محمّد، الإسلام والإيمان، الرابط:

https://shahrour.org/?p=4219 .

وينظر: بحيري، إسلام، البوصلة، الرابط:

https://twitter.com/elbosla/status/1315774243817353216?lang=ar

العبـادة فيهـا. وهـذا الدّيـن الجديـد يَجُـبُّ كل الأديـان السَّـابقة وينسـخها.

والثـاني، توحيـد الأديـان بمعنـى الحكـم بصوابيـة عقائدهـا وصحّـة التَّعبـد بهـا وبالتـالي نجـاة معتنقيهـا، دون أن يكـون ثمـة صهـرٌ لهـا في ديـن واحـد. ويسـتتبع ذلـك تأويـل النصـوص الدالـة عـلى حصريـة هـذا الدّيـن تأويـلا باطنيـا، مـع تأويـل النصـوص الّتـي تبطـل الأديـان الأخـرى أيـا كانـت. وهـذا المعنـى لوحـدة الأديـان هـو الأكـثر تـداولاً.

والثالـث، توحيـد الأديـان بمعنـى الحكـم بنجـاة معتنقيهـا دون أن يحكـم بصوابيـة عقائدهـا وصحّـة التَّعبـد بهـا. ولا يلـزم هنـا تأويـل النصـوص الدالـة عـلى حصريـة هـذا الدّيـن، إنمـا يكتفـى بتأويـل النصـوص الدالـة عـلى خلـود الكفـار في النـار.

ثانيا، أقسام وحدة الأديان من حيث وحدة مآل معتنقيها.

قـد تقـدم في المطلـب السَّـابق تحريـر مصطلـح وحـدة الأديـان، وسـنقتصر في هـذا المطلـب عـلى بسـط القولـين الثـاني والثالـث. فيقـال: القائلـون بوحـدة الأديـان - بمعنـى وحـدة مـآل معتنقيهـا- طائفتـان:

أولاهـما: المصوّبـة القائلـون بتصويـب كلّ الأديـان، وأنّ للمـرء أن يتعبَّـد بمـا شـاء مـن دينٍ أو أن يعتقـد مـا يشـاء، وهـؤلاء هـم أهـل التصـوف الفلسـفي القائلـون بعقيـدة الاتحـاد والحلـول وعقيـدة وحـدة الوجـود.

فهـؤلاء المصوِّبـة يعـذرون الكفـار في عبادتهـم غـير اللـه، لأن المعبـودات أيًّـا كانـت هـي عـينُ اللـه، فمـن عَبَـدَ الحجـر فقـد عَبَـدَ اللـه، ومـن عَبَـدَ الشـجر فقـد عبـد اللـه، ومـن عبـد الكواكـب فقـد عبـد اللـه. بـل إنَّ مـن أهـل وحـدة الوجـود مـن حكـم بنجـاة مـن أنكـر وجـود اللـه رأسًـا، وذلـك أنّـه يـرى نفسـه عـينَ اللـه، واللـهُ لا يعبـدُ

غيره، لأنّه لا خالق له ولا إله! فيكون قد أصاب كبد الحقيقة بترك عبادة غيره لأنّه الله؛ يقول عبد الكريم الجيلي: «لأنّه لمّا كان الحقّ سبحانه وتعالى حقيقةَ الوُجودِ بِأسرِه، والكفار من جملة الوُجودِ، وهو حقيقَتُهم، فكفروا أن يكون لهم ربٌّ، لأنّه تعالى حقيقَتُهم ولا ربَّ له، بل هو الرَّبُّ المطلق، فعبدوه من حيث ما تقتضيه ذواتهم الّتي هو عينُها".[1]

ويقول الحسين بن منصور الحلاج (٣٠٩ هـ): "واعلم أن اليهوديّة والنّصرانيّة والإسلام، وغير ذلك من الأديان، هي ألقاب مختلفة وأسماء متغايرة، والمقصود منها لا يتغيّر، ولا يختلف».[2] وقد انتهى إلى هذه الزندقة لقوله بعقيدة حلول الخالق في الخلوق واتحاده به. وسنقف في المطالب التالية على تأثر المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون بفكر حسين بن منصور الحلاج في عقيدة الحلول، وأثر ذلك في قرارات المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني. ويقرر محيي الدّين بن عربي الحاتمي الطائي (ت: ٦٣٨ هـ) عقيدة وحدة الأديان في كتابه "فصوص الحكم" بقوله: "إياك أن تتقيَّدَ بعِقدٍ مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خيرٌ كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه، فكن في نفسك صورةَ هيولى لصورِ المعتقدات كلها، فإن الله تعالى أعظم من أن يحصَره عِقدٌ دون عقد".[3] وهذا صريح - إن ثبت عنه – بقوله بوحدة الأديان، بمعنى صحّة التَّعبد بأي منها أنّى كانت، وإلا فقد كان الشعراني يبرّؤه ممّا نُسِبَ إليه، وأنّه قد دُسَّ عليه.

وفي ذات الصدد يقول جلال الدّين الرومي (ت: ٦٧٢ هـ) في "المثنوي": "مسلم أنا، لكن نصراني، وبرهمي وزرادشتي، توكلت عليك أيها الحق الأعلى،

---

(١) فتاح، عرفان عبد الحميد (١٩٩٣م). نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، مصدر سابق، ص ٩٨. نقله عن الإنسان الكامل، للجيلي، ص ٧٧-٧٩.

(٢) فتاح، عرفان عبد الحميد (١٩٩٣م). نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ط١، ص ٩٧، دار الجيل، بيروت.

(٣) خان أفندي، سيد يعقوب (٢٠١٥). شرح فصوص الحكم (تحقيق عاصم الكيالي)، ص ٢٥٤، كتاب-ناشرون.

فلا تنأ عني، ليس لي سوى معبدٍ واحِدٍ مسجدًا أو كنيسةً أو بيتَ أصنام". [١]

ويقول عبد الكريم الجيلي أو الجيلاني (ت:٨٣٢ هـ) موجّها أثر عقيدة وحدة الوجود في وحدة الأديان: «فكل هذه الطوائف عابدون لله تعالى كما ينبغي أن يعبد لأنه خلقهم لنفسه لا لهم، فهم له كما يستحق، ثم إنه سبحانه وتعالى أظهر في هذه الملل حقائق أسمائه وصفاته فتجلّى في جميعها بذاته فَعَبَدَتهُ جميعُ الطوائف. فأمّا الكفارُ فإنّهم عَبَدوه بالذات، لأنّه لمّا كان الحقّ سبحانه وتعالى حقيقةَ الوُجودِ بِأسرِهِ والكفار من جملة الوُجودِ وهو حقيقَتُهم فكفروا أن يكون لهم ربٌ، لأنّه تعالى حقيقَتُهم ولا ربَّ له، بل هو الرَّبُّ المطلق، فعبدوه من حيث ما تقتضيه ذواتهم الّتي هو عينُها". [٢]

وقد تبنّى هذا اللّون من وحدة الأديان الفرنسي روجيه جارودي، الذي كان متأثرًا بابن عربي الحاتمي، فقد كان يدعو إلى احترام التجارب الدّينيّة المختلفة، «وعدم الطلب من المسيحيّ أن يصبح بوذيًا، أو من المسلم أن يصبح مسيحيًا، بل مساعدة البوذي على أن يصبح بوذيًا أفضل، والمسيحي مسيحيًا أفضل، والمسلم مسلمًا أفضل، والأفضل يعني: القادر على تعميق إيمانه وإدراكه لله من خلال عقيدته». [٣] ثم استدلّ بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨]، ويذكر جارودي أنّ تعدد الأديان هو نوع من الغنى، «لأنّه يتيح لنا فرصة تعميق

(١) فتاح، عرفان عبد الحميد (١٩٩٣م). نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، مصدر سابق، ص ٩٧.

(٢) فتاح، عرفان عبد الحميد (١٩٩٣م). نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، مصدر سابق، ص ٩٨. نقله عن الإنسان الكامل، للجيلي، ص ٧٧-٧٩.

(٣) جارودي، روجيه (١٩٨١م). نداء إلى الأحياء (ترجمة: ذوقان قرقوط) دار دمشق، سوريا، ص٢٢٠ -٢٢١، وينظر: مسعودي عبير، وقرفي، فاطمة الزهراء. التعددية الدّينية في فكر روجيه جارودي، جامعة الشهيد حمه الأخضر، ص ٦١.

إيماننا وإدراك تميزه، ويتيح لنا فرصة التخلص من وهمنا القائم على اعتبار ديانتنا الديانة الحقيقيّة الوحيدة لأننا نجهل الديانات الأخرى». [(١)] ويقول:» إنني عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأني أتخلى عن مسيحيتي ولا عن ماركسيتي، ولا أهتم بأن يبدو هذا متناقضًا أو مُبتدَعًا». [(٢)] ويذكر جارودي: «أن الهدف الكبير آيل إلى تحقيق جماعة عالمية موحدة بعقيدة واحدة، تستوعب عقيدة وثقافة الجميع، سواءٌ كانت عقيدة السلسلة **الإبراهيميّة**، من عظام الأنبياء موسى ويسوع ومحمّد، أو حكم الهندوس وبوذا والمزديين». [(٣)] على أن بعض الباحثين حاول تبرئته من كل ذلك ونقل عذره فيه لكونه كان جاهلاً بأحكام الإسلام. [(٤)]

وثاني الطّائفتين هم القائلون بانقلاب عذاب الكفّار في النّار عذوبةً ونعيما. وهذه الطائفة تشترط توحيد الله تعالى والتزام الشريعة المُحمَّديّة، بل ويحكمون بالكفر على من لم يلتزم ذلك، إلا أنّهم يزعمون انقلاب عذابَ الكفّار في النّار عذوبةً ونَعيما. وعليه، فمآل الجميع المؤمن والكافر هو النعيم المقيم.

ومن القائلين بذلك عبد الغني النابلسي، وقد نسبه لمحيي الدّين بن عربي الحاتمي الطائي. ففي مقالته «حلقاتٌ ثلاث أو منتحلون ثلاثة» المنشورة في كتاب «دليل أكسفورد للأديان **الإبراهيميّة**" ينقل د. ستروما: عن عبد الغني بن إسماعيل النابلسيّ الحنفيّ (ت:١١٤٣ هـ)، من رسالته: "رسالة في الجواب عن قول بعض أهل الذمة" [(٥)]: قولَه بإمكان نجاة اليهود والنّصارى في الآخرة دون

---

(١) جارودي، روجيه. حفارو القبور (ترجمة: عزة صبحي) دار الشروق، القاهرة، ص ١٥٩. وينظر: مسعودي، وقرفي. التعددية الدّينية في فكر روجيه جارودي، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٢) كلاوي، رامي. روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان، دار قتيبة، دمشق، ص ٢٠٠. وينظر: مسعودي، وقرفي. التعددية الدّينية في فكر روجيه جارودي، مصدر سابق، ص ٥٨.

(٣) جارودي، روجيه (١٩٥٨م). وعود الإسلام (ترجمة: ذوقان قرقوط)، ط٢، دار الرقي، بيروت، ص ١٧٨. وينظر: مسعودي، وقرفي. التعددية الدّينية في فكر روجيه جارودي، مصدر سابق، ص ٥٨.

(٤) ينظر: قادري، محمّد الحافظ (٢٠٢٠). وحدة الأديان في فكر روجيه جارودي، جامعة الجزائر.

(٥) لا يزال مخطوطا.

اشتراط التحول إلى الإسلام، وأنهم يكفيهم الإيمان الذي في قلوبهم، [1] علمًا بأنّ الرِّسالة لا تزال في عِداد المخطوط، وينفي النابلسي في رسالته «الرّد المتين على منتقد العارف محيي الدّين" دوام عذاب الكفار في النار، ويذكر أنّ عذابهم فيها يستحيل بعد مدّة إلى عذوبةٍ ومُتعَة، وهم في نعيم مقيم في النار، بل إنهم لو عُرِضُوا على الجنة لتألموا. وقد نسب النابلسي عقيدته تلك لمحيي الدّين بن عربي. [2] ويقترب من هذه الفلسفة ما يسمى اليوم بـ«عقيدة الخلاص العالميّ"، وهي في تقريرها النصرانيّ تُخطِّئ غيرَ النّصارى، إلا أنّها تدعي الغفران للجميع في نهاية المطاف وأنّ النار ليست أبدية.

وينتحلُ عبد الغني النابلسي عقيدةَ وحدة الوجود كما بين في رسالته «إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود»، إلا أنّه يُعرِّفُ «الوجود» بأنّه «ما صار به الموجود الحادث موجودًا» أو «ما به كل موجودٍ موجودٌ في القديم والحادث»، فكلّ موجود راجع في وجوده إلى وجود الله تعالى، ويفرق بين الوجود وبين «عين ذات الموجودات». [3] ووحدة الوجود عنده هي: الوجود الواحد للقديم. [4] وقد نَسب هذا المعنى من وحدة الوجود إلى محيي الدّين بن عربي، وشرف الدّين ابن الفارض (ت:٦٣٢ هـ)، والعفيف التلمساني (ت:٦٩٠ هـ)، وعبد الكريم الجيلي، وذَكر أنّ خلافهم مع المتكلّمين لفظيٌّ، وأنهم لم يخالفوا عقيدة أهل السنة. [5]

---

(1) Adam J. Silverstein, Guy G. Stroumsa, Moshe Blidstein (2015), The Oxford Handbook of the Abrahamic Religions, first edition, p.65, Oxford university press.

(٢) النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل. الرّد المتين على منتقص العارف محي الدّين، اسطنبول - مكتبة ملت - علي أميري 995 Arabi E.A، اللوحة:٧-١٠. المعلومة مستفادة من قناة محمود الصرفندي على الرابط:

https://t.me/abo7eean/1914

(٣) النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (٢٠٠٨). إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود (تحقيق: رائد الطائي ووليد العبيدي)، مجلة التربية والعلم، المجلد (١٥)، العدد (٤)، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٤) النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل. إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود، مصدر سابق، ص ٢٦٤.

(٥) النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل. إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود، مصدر سابق، ص ٢٦٢.

ولـئن بـرئ هـؤلاء مـن اعتقـاد «وحـدة الوجـود» عـلى المعنـى الكفـري فإنهـم لا يـبرؤون مـن تجويزهـم التَّعبـد بـكل الأديـان، والحكـم بدخـول الكفـار الجنـة أو باسـتحالة عذابهـم عذوبـة، فـمآل الجميـع عندهـم النعيـم المقيـم، وهـذا قـادح في عمـوم الرِّسـالة المُحمَّديّـة وخاتميتهـا، واللـه أعلـم.

مفاهيم ومصطلحات متعلقة بـ «الإبراهيميّة الدّينيّة".

يتعلـق بـ**الإبراهيميّة** مصطلحـات مختلفـة، سـنقف مـع تاريـخ ظهورهـا ودلالاتهـا. ومـن هـذه المصطلحـات: لفـظ «الإبراهيمـي» (Abrahamic)، وهـو وصـف (اسـم منسـوب يوصـف بـه)، وقـد اسـتعمل أولاً عـام ١٧٣٠م كوصـف للقسـيس. وقـد اسـتعمل كجـزء مـن مصطلحـي "العائلـة **الإبراهيميّـة**" و" الميثـاق الإبراهيمـي» مـع الإنكليـزي تومـاس مورغـان (ت:١٧٤٣م) في كتابـه (The Moral Philosopher)؛ وقـد عنـى بــ"الميثـاق الإبراهيمـي" مـا هـو ملـزم لجميـع البـشر بخـلاف الميثاق الموسـوي الملـزم لبنـي إسرائيـل فقـط. [١]

وأمـا أول ظهـور لمصطلـح «الأديـان **الإبراهيميّـة**" للتعبـير عـن الأديـان الثلاثـة فـكان مـع كتـاب (The Faith that has come to me) (١٩٣٢م) للكتـاب الأمريـكي ودني (J.P. Widney) كـما اسـتعمله لاحقـا الكاتـب الأمريـكي هارتيـل (J. E. Hartill) في كتابـه مبـادئ التأويـل الكتـابي (Principles of Biblical Hermeneutics) (١٩٦٠م) للتعبـير عـن مجموعـة الأديـان التوحيديـة والّتـي تشـمل اليهـود والمحمّديـين والمسـيحيين المعـترف بهـم. [٢]

وجديـرٌ بالذِّكـر أنّ مصطلـح «الميثـاق الإبراهيمي» كان حـاضرًا في الكتـب اليهوديّة،

(1) Adam J. Silverstein, Guy G. Stroumsa, Moshe Blidstein (2015), The Oxford Handbook of the Abrahamic Religions, first edition, p.68-69, Oxford university press.

(2) Adam J. Silverstein, Guy G. Stroumsa, Moshe Blidstein (2015), The Oxford Handbook of the Abrahamic Religions, first edition, p.76-77, Oxford university press.

إلا أنه لم يُعْنَ به ما كان يدعو إليه ماسينيون من التّقريب بين الأديان الثلاثة، لكن عني به ميثاقُ الله وعهدُه إلى إبراهيم -ﷺ- المذكور في التَّوراة. فقد استعمل الكاتب الأمريكي دانيال دو (Daniel Dow) ١٧٧٢م-١٨٤٩م مصطلح "الميثاق الإبراهيمي" بهذا المعنى المذكور في التَّوراة، في كتابه الذي نشره عام ١٨١١م بعنوان: «أطروحة في المواثيق السينائية و**الإبراهيميّة**. إظهار الأول على أنه مؤقت؛ الأخير الى الابد"، حيث قارن فيه بين المواثيق السينائية والمواثيق **الإبراهيميّة**.[١] ولا علاقة للميثاق الإبراهيمي بهذا المعنى بالمواثيق الّتي تكون بين أبناء الأديان الثلاثة والّتي تهدف إلى التقريب بينها، خلافًا لما ذكره د. فتحي المسكيني في مقاله: «الإبراهيميون والعدم؛ السيرة الخفية للاستخلاف" من أنّ المراد ب"الميثاق الإبراهيمي" عند دانيال دو: الجمع بين المؤمنين في الغرب، أي: اليهود والنّصارى، وهو غلط عليه.[٢]

وحريٌّ بأن يقال في هذا المقام أنّه لا يجوز إطلاق مصطلح «الأديان **الإبراهيميّة**" على اليهوديّة والنّصرانيّة بعد البعثة المُحمَّديّة لما نالها من تحريف وتبديل في التّوحيد وغيره، ولعدم إقرارهم بعالميّة الرِّسالة المُحمَّديّة وخاتميتها ونسخها للأديان السَّابقة، فإنّه تعالى قد أخذَ الميثاقَ على جميع الأنبياءِ -ومنهم إبراهيم عليه السلام- بالإيمان بمحمّد ونصرته، وشهد تعالى بنفسه على ذلك. فمن لم يتبع إبراهيم فيما عُهِدَ إليه فليس من **الإبراهيميّة** في شيء؛ قال تعالى

(1) Dow, Timothy, DIFFERENCES BETWEEN THE SINAITIC AND ABRAHAMIC COVENANTS, from: https://tinyurl.com/39ezvdpx and: Daniel Dow, A Dissertation On The Sinaitic and Abrahamic Covenants: Shewing the Former to be only Temporary; the Latter Everlasting. Hartford: Peter B. Gleason and Co, 1811, pages 69-71.

(٢) ينظر: المسكيني، فتحي (٢٠١٨م). الإبراهيميون والعدم؛ السيرة الخفية للاستخلاف، مقالات، قسم الفلسفة والعلوم الإسلامية، موقع مؤمنون بلا حدود:

https://tinyurl.com/yujxc9sp

لأنبيائه عليهم السلام: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

بين الإبراهيميّة وحوار أتباع الأديان الثلاثة.

لا ينبغي الخلط بين مبدأ الحوار بين أتباع الأديان الثلاثة -الإسلام والنّصرانيّة واليهوديّة- بما يخدم مصالح أتباعها ويؤسس للسّلم المجتمعي خاصّة في المجتمعات المختلطة، وبين فكرة التقريب بين الأديان والّتي تقوم عليها **الإبراهيميّة**.

فالحوار بين أتباع الأديان الثلاثة في المجتمعات المختلطة أقرته الشّريعة الغرّاء وجرى عليه نهج الخلفاء الراشدين، ومن شواهد ذلك من سيرة النبي محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهودُهُ لحلف الفضول في الجاهلية وهو في العشرين من عمره، وبيانُه أنّ رؤوسًا من قريش اجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، "فتعاقدوا وتعهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمتُه فسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول". [١] وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد البعثة مُقِرًّا حلق الفضول: «شهدت حلف المطيَّبين مع عمومتي - وأنا غلام - فما أحب أن لي حمر النعم وأنّي أنكثه». [٢]

(١) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (١٤١١ ه). السيرة النبوية (تحقيق: طه عبد الرءوف سعد)، ج١، ص ٢٦٤-٢٦٥، دارا الجيل، بيروت.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند برقم ١٦٥٥وابن حبان في صحيحه برقم ٤٣٧٣. وصححه الألباني. ينظر: الألباني، محمّد ناصر الدّين، السلسلة الصَّحيحة، ج ٤، ص ٣٣٩، رقم الحديث: ١٩٠٠. وسمي حلف المطيبين لأنهم جعلوا طِيبًا في جفنةٍ وغمسوا أيديهم فيه وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، فسموا المطيبين.

ومن شواهده التاريخية «العهدة العمرية» الّتي أبرمها الخليفة العادل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مع نصارى بيت المقدس بعد الفتح الإسلامي، والّتي ضمن فيها لأهل بيت المقدس من النّصارى حرية ممارسة شعائرهم الدّينية والحفاظ على دور عبادتهم، على أن يعطوا الجزية بما يطيقون في مقابل أن يكونوا في ذمّة المؤمنين؛ يحفظون عليهم أمنهم الشّخصي والمالي.

وأما فكرة التقريب بين الأديان الّتي ترتكز عليها **الإبراهيميّة**، فقضية أخرى وشأن آخر، وذلك أنها تسعى إلى التقريب بين عقائد الأديان المختلفة وثوابتها، من خلال تحييد النصوص الّتي يرون أنها تؤجج الصراعات إما بردّها رأسًا أو عبر إعمالِ مبضع التأويل فيها، ثم التقاء أصحاب الأديان الثلاثة حول المشترك بينها، وهو ما يسمى: المشترك الإبراهيمي.

فصلٌ: في برّ أهلِ الكِتابِ والإحسانِ إليهم.

أَمَرَ اللهُ تعالى بالعدل والقِسط مع أهل الكتاب وعدمِ التّعرض لإيذائهم ما لم يقاتلوا المسلمين على دينهم؛ قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨-٩].

وها هو نبيّنا محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا بمعاملة النّاس عامّةً بحُسنِ الخُلق؛ فقال: "اتّق الله حيثما كنت، وأَتْبِعِ السَّيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ

حسـنٍ". [(١)] وقـد نهانـا عـن إيـذاء المعاهَديـن مـن أهـل الكتـاب بقولـه: « مَـن قَتَـلَ نَفسًـا مُعاهَـدًا لم يَـرِحْ رائِحَـةَ الجَنَّـة، وإنَّ رِيحَهـا لَيُوجَـدُ مِـن مَسِـيرَةِ أربَعِـينَ عامًـا". [(٢)]

وفي بـرّ الوالـد المـشرك أخـرج البخـاري في صحيحـه عـن أسـماء -رضي اللـه عنهـا- أنهـا قالـت: أتتنـي أمـي راغبـة في عهـد رسـول اللـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسـألت النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أصِلُهـا؟ قـال: "نعـم". قـال سـفيان بـن عيينـة: فأنـزل اللـه تعـالى فيهـا: ﴿لاَ يَنْهَاكُـمُ اللَّـهُ عَـنِ الَّذِيـنَ لَـمْ يُقَاتِلُوكُـمْ فِي الدِّيـنِ﴾. [(٣)] وهـذا عـام في كلِّ مـشرك سـواء كان كتابيـا أو غـير كتـابي. وقـد بـوّب عليـه البخـاري في صحيحـه: «بـاب صلـة الوالـد المـشرك».

وفي صلـة الأخ المـشرك أخـرج البخـاري عـن عمـر بـن الخطـاب -رضي اللـه عنـه- أنّـه أهـدى أخـًا لـه مـشركًا حُلَّـةً؛ "فأرسـل بهـا (أي: بالحلّـة) عمـرُ إلى أخ لـه مـن أهـل مكـة قبـل أن يسـلم". [(٤)] وقـد بـوّب عليـه البخـاري: «بـاب صلـة الأخ المـشرك».

ومـا ذكـر في بِرِّهِـم والإحسـان إليهـم لا يوجـب الحكـم بنجاتهـم في الآخـرة مـا لم يلتزمـوا الشريعـة المُحمَّديّـة.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

ينظـر: الترمـذي، محمّـد بـن سـورة (٢٠٠٩م). سـنن الترمـذي (تحقيـق: شـعيب الأرنـؤوط - عبـد اللطيـف حـرز اللـه)، الرِّسـالة العالميـة، بـيروت، رقـم ١٩٨٧، ج ٤، ص ٩٣.

(٢) البخـاري، محمّـد بـن إسـماعيل الجعفـي (١٩٨٧م). صحيـح البخـاري (تحقيـق: مصطفـى ديـب البغـا)، ط ٣، رقـم: ٦٥١٦، دار ابـن كثـير، بـيروت.

(٣) البخـاري، محمّـد بـن إسـماعيل الجعفـي (١٩٨٧م). صحيـح البخـاري (تحقيـق: مصطفـى ديـب البغـا)، ط ٣، رقـم: ٥٦٣٣، دار ابـن كثـير، بـيروت.

(٤) البخاري، محمّد بن إسماعيل الجعفي. صحيح البخاري، رقم: ٥٦٣٦.

المَسرَدُ التّاريخيّ للإبراهيميّة

1. العهد المدني (1هـ-11 هـ) (610م – 632 م)

- ظهور الفكرة مع ابن صياد في العهد المدني.

2. القرن 2 الهجري

- ظهور الفكرة مع العيسوية إحدى طوائف اليهود.

3. أواخر القرن 3 الهجري وبدايات 4 الهجري

- الحلاج (ت:309 هـ): صاحب نظرية اتحاد الخالق بالمخلوق، كان له أثر في الإبراهيمية، وممن تأثر بها لاحقا المستشرق ماسينيون.
- تبنتها الشاركانية إحدى طوائف اليهود.

4. القرن 7 الهجري

- ابن عربي الحاتمي (ت:638 هـ): رمي بوحدة الوجود وقال بانقلاب عذاب النار عذوبة، كان له أثر في وحدة الأديان عموما.

5. أوائل القرن 13 للميلاد

- ظهور الفكرة مع بولص الأنطاقي.
- ردّ عليه الإمام القرافي في "الأجوبة الفاخرة عن الأجوبة الفاجرة".

6. القرن 14 للميلاد

- ظهور الفكرة مع أحد مستشرقي قبرص، وصنف فيها رسالة.
- ردّ عليه ابن تيمية في "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح."

7. القرن 15 للميلاد

- ظهور الفكرة في بدايات عصور الحداثة في أوروبا.

8. نهاية القرن 19 وبداية 20

- ظهور الفكرة مع جمال الدين الأفغاني الذي قال بفلسفة "دين الحق" وتبعه محمد عبده الذي أسس جمعية "التأليف والتقريب بين المسلمين والكتابيين" السّرية في بيروت.

9. منتصف القرن 20

- ظهور الفكرة مع المستشرق لويس ماسينيون (ت:1962م) في كتاب نشره عام: 1949م: "الصلوات الثلاث لإبراهيم، أب كلّ المؤمنين"، متأثرا بفكر الحلاج.

10. 1962-1965 م

- تأثر الكنسية الكاثوليكية بأفكار ماسينيون، حيث أقرت بنجاة من آمن بالخالق واليوم الآخر، ومنهم اليهود والمسلمون.

11. نهايات القرن 20

- تبنى عدد من حداثيي العرب للإبراهيمية منهم: حسن الترابي وجمال البنا، متأثرين بالأفغاني وعبده.

12. القرن 21 (التوظيف الصهيوني للإبراهيمية)

- الإبراهيمية السياسية: مؤسسة راند، مبادرة الدبلوماسية الروحية، منتدى تعزيز السلم (ابن بيه)، بيت العائلة الإبراهيمي، مركز دراسات الإخاء الإنساني (حبش).
- التطبيع الإعلامي، والأكاديمي، والسياحي (مسار الحج الإبراهيمي)، والاقتصادي، والثقافي والفني، والأمني والعسكري.
- تبني عدد من العلماء للإبراهيمية ومنهم: ابن بيّه، ومحمد حبش.
- والدعاة الحداثيين ومنهم : محمد شحرور، وعدنان إبراهيم، ووسيم يوسف، وإسلام بحيري، وغيرهم.
- والإعلاميين وصناع المحتوى، ومنهم:، إبراهيم عيسى، وإسلام بحيري، ولؤي الشريف ... وغيرهم

الفصلُ الثاني، الإبراهيميّة السّياسيّة.

منذُ منتصف الثمانينيّاتِ منَ القرنِ الماضي واستخدامِ مصطلحِ «الأديان **الإبراهيميّة**" في ازديادٍ، وقد تمّ توظيفُه بصورةٍ أكبر بعد أحداثِ ١١ سبتمبر من قبل الممثلين الدّينيّين لدولِ أوروبا الغربيةِ والولاياتِ المتّحدة، بُغيةَ تقليلِ التوتراتِ بينَ "مجتمعاتِ المؤمنينَ"- على حدّ زعمهم، فدَعَوا إلى دراسةِ «الأديان **الإبراهيميّة**" كمجالٍ دينيٍّ لنشر التّسامح في المجتمعات مُتعددةِ الثّقّافات.[١]

ومن هنا بدأَ يأخذُ مشروعُ "**الإبراهيميّة** السّياسيّة» أو «الاتفاقيات **الإبراهيمية** "Abraham Accords" التّطبيعيِّ زَخَمًا أكبرَ في دوائرِ صُنعِ القَرار والمؤسسات البحثيَّة في الغرب، وهذا المشروعُ «الصهيو-تطبيعيّ" عبارةٌ عن فكرة سياسيّة تَأمَلُ الولاياتُ المتحدة وحليفتُها إسرائيل من خلال إملائها على الدُّوَلِ الإسلاميّة على المستويين الحكوميِّ والشعبيِّ: إلى تَصفيةِ القضيّة الفلسطينيّة عبرَ عزلِ فلسطينَ عن محيطها الإسلاميّ تمهيدًا لتهويدِ ما تبقى منها وتوطئةً لبناءِ الهيكل المزعوم على أنقاضِ المسجد الأقصى، وتقومُ "**الإبراهيميّة** السّياسيّة" على توظيفِ مُخرجات «**الإبراهيميّة** الدّينيّة» بقسميها الحداثيّ والصوفيّ الفلسفي في غيرها من أدوات، والتّمكينِ لمُنظِّريها ودُعاتها في وسائلِ الإعلام ومنصّاتِ التواصلِ الاجتماعيّ، مع الإيعازِ بإقصاءِ ما يُقابِلُها من تياراتٍ إسلاميّة ملتزمةٍ بعقيدةِ الولاءِ والبراء.

وتَهدفُ «إتفاقيّاتُ إبراهيم» إلى كَسرِ الحاجز النفسيِّ بينَ الأُمّةِ وأعدائها تمهيدًا لتطبيعٍ كاملٍ للعلاقاتِ على مستوى الشعوبِ العربيَّة والصهاينة، كما تَتَغيَّا التأثيرَ على بوصلةِ قرارات الشعوب الإسلاميّة المنحازةِ بوجدانِها للقضيَّة الفلسطينيَّة

(1) Uehlinger, Christoph (2020). The Oxford Handbook of the Abrahamic Religions, edited by Adam J.Silverstein, Guy G. Stroumsa, and Moshe Blidstein. Numen: International Review for the History of Religions, 67(4):403-409, p. 1-2, Zurich Open Repository and Archive, University of Zurich.
DOI: https://doi.org/10.1163/15685276-12341589

بِحَرْفِ وِجهتِهَا نحوَ موقفٍ سلبيٍّ محايد، ليُتركُ أهلُنا في فلسطين كالأيتام على موائد اللِّئام، مع الحرصِ على وَأدِ أيِّ محاولةٍ لبَعثِ رُوحِ الإسلام في الأمّة من جديد، لتتولى الريادةَ الحضاريّة كما كانت، بِدحضِ ما يُسمونه بالأصوليّة الدّينيَّةِ، وقد وَظَّفت "**الإبراهيميّة** السّياسيّة" العديدَ من الأدوات والمبادراتِ الّتي تعمل على ترسيخ التطبيع الصهيونيّ-العربيّ في سبعةِ مجالاتٍ، هي: المجال الدّينيّ، والأكاديميّ، والإعلاميّ، والاقتصاديّ، والسياحة الدّينيّة، والثقافيّ والفنيّ، والأمنيّ والعسكريّ.

أولًا، الإبراهيميّة والتطبيع الدّيني.

يُعتَبَرُ التَّطبيعُ الدّينيُّ الأداةَ الأكثرَ خطورةً على قضيَّة فلسطين والمسجد الأقصى لما فيه من إسباغٍ للشَّرعِيَّة الدّينيّة على الصهيونيّة ومخطّطاتِها، وتَنشَطُ في خدمة هذا المجال "الصهيو-تطبيعيّ" عددٌ من المنظماتِ والمنتدياتِ والمبادراتِ، من أهمها:

[١] منظمة "راند" البحثيّة الأمريكيّة.

[٢] مبادرة "الدبلوماسيّة الرّوحيّة".

[٣] "منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة» الذي يرأسه الشيخ عبد الله بن بيه.

[٤] بيت العائلة الإبراهيميّ.

[١] منظمة راند البحثيّة الأمريكيّة والدعوة للتمكين للحداثيّين والصوفيّة.

تُعتبر منظمة راند البحثيّة الأمريكيّة (RAND) مركزَ أبحاث ودراسات سياسيّ عالميّ، وهي منظمة غير ربحيّة تتلقى دعما ماليّا مباشرًا من مؤسساتٍ أمريكيّة عديدة على رأسها: وزارة الأمن الداخليّ، ومكتب وزير الدفاع، والجيش الأمريكيّ،

وغيرها من وكالات الأمن القوميّ، وقد تأسست عام ١٩٤٨م لتكونَ إحدى أهمّ "خلايا التّفكير" (Think Tanks) الّتي تقدّم تقاريرها واستشاراتِها لصانع القرار الأميركيّ، بل تُعتبر الذراعَ البحثيّ شبه الرسميّ للإدارةِ الأمريكيّة والبنتاغون، والأكثر تأثيراً عليها.[١]

وفي دراسةٍ صَدرت عن «راند» بعنوان «الإسلام الديموقراطيّ المدنيّ" أوصت كاتبة التقرير ومديرة راند "شيريل بينارد" الولاياتَ المتّحِدَةَ والغَربَ عدّة توصياتٍ تهدف إلى ترسيخ قيم الحداثة الغربيّة في العالم الإسلاميّ، والدفع نحو الخروج بنسخة حداثيّة للإسلام، وكان على رأس هذه التوصيات دعمُ الحداثيّين المنتسبين للإسلام أولاً، "وتكريس رؤيتهم لإزاحةِ رؤيةِ التقليديين، وذلك من خلال تزويدهم بمنبر للتّعبير عن أفكارِهم ونشرِها، فهؤلاء الحداثيون هم الذين ينبغي تثقيفهم وتقديمهم للجماهير؛ كواجهةٍ للإسلام المعاصر». وكان من جملة الوسائل الّتي اقترحتها الكاتبة لتحقيق ذلك ما يلي:

"اختيارُ العلماء الحداثيين المناسبين لإدارة موقع إلكترونيّ يُجيب عن الأسئلة المتعلّقة بالحياة اليوميّة، ويعرض الآراء الفقهيّة الحداثيّة".

"تشجيع العلماء الحداثيين على كتابةِ النصوص الأكاديميّة والاشتراك في تطوير المناهج".

"نشر الكتب الأوليّة والتمهيديّة بأسعارٍ مدعومة، بحيث تكون في متناول الجميع ...».

"استخدام وسائل الإعلام المحليّة واسعة الانتشار، كالمذياع؛ لإبراز أفكار الحداثيين المسلمين وممارساتِهم، ونشر رؤيتهم وتفسيرهم للإسلام عالميًّا وعلى

(١) ينظر: موقع منظمة راند الالكتروني:

https://www.rand.org/ar/about.html

أوسع نطاق". [١]

وقد دَعَت الغرب أيضًا للتعامل مع الصوفيّة وألحقتهم بالحداثيين، ورأت في التّصوّفِ التَّفسير الفكريّ المنفتح للإسلام، وقالت: «وينبغي دعم التّأثير الصوفيّ في المدارس والمقررات التعليميّة والمعايير الاجتماعيّة والأخلاقيّة والحياة الثقافيّة". [٢]

وكاتبةُ التقرير «شيريل بينارد" (Cheryl Benard) يهوديّة أمريكيّة من أصل نمساوي، تَشْغَلُ حاليًا منصبَ رئيس منظمة راند، علمًا بأنها زوجةُ «زلماي خليل زاد» السّياسيّ الجمهوريّ الأمريكيّ.

من آثارِ توصياتِ تقرير راند على المشهد الإسلاميّ.

الُمتابعُ للشأنِ الإعلاميّ العربيّ لا يفوته التّمكين الهائلُ للحداثيّين في وسائلِ الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعيّ بتمويل برامجهم والتسويق لأفكارهم، ومن جملتهم:

(١)"محمّد شحرور» الذي ذكره تقرير «راند» باسمه مُقترِحًا دَعمَه، ومنهم الإعلاميّ المصري «إبراهيم عيسى» الذي فُتِحَت له أبواب وسائل الإعلام العربية والغربية على مصراعيها، بل إنّ تأثيره يتعدى البرامج الحواريّة (talk shows) إلى كتابة المسلسلات والأفلام الّتي تسوق للإبراهيميّة ووحدةِ الأديان.

(٢) ومنهم "عدنان إبراهيم" أحد المنظرين للإبراهيميّة الدّينيّة والإنسانويّة، ومستشار مدير جامعة محمّد بن زايد للعلوم الإنسانية الّتي تمارس التطبيع

(١) بينارد، شيريل (٢٠١٣م). الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والموارد والاستراتيجيات (ترجمة: إبراهيم عوض)، ط١، دار تنوير للنشر والإعلام، بالتعاون مع مركز نماء للبحوث والدراسات، القاهرة، ص ٩١-٩٣.

(٢) بينارد، شيريل (٢٠١٣م). الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والموارد والاستراتيجيات (ترجمة: إبراهيم عوض)، ط١، دار تنوير للنشر والإعلام، بالتعاون مع مركز نماء للبحوث والدراسات، القاهرة، ص ٧٦.

الأكاديمـــيّ مـــع جامعـــة يشـــيفا الأمريكيّـــة اليهوديّـــة (Yeshiva University) -كـــما ســيأتي-، علــمًا أنّــه فلســطينيّ مــن غــزّة.

(٣) ومنهــم «وســيم يوســف» الــذي فُتِحَــت لــه المنابــر الدعويــة عــلى شاشــاتِ التلفــاز، وهــو المدافــع الإعلامــيّ عــن «بيــت العائلــة **الإبراهيميّــة**" التطبيعــيّ.

(٤) ومنهــم الإعلامــيّ والكاتــب "إبراهيــم عيــسى" الُمصــدَّرُ في الإعــلام العــربيّ الممــول أمريكيًّــا، ولــه عــدةُ برامــج تلفزيونيّــة، تطــرق فيهــا للإبراهيميّــة الدّينيّــة ووحــدة الأديــان -وقــد تقــدم ذكــر مَخازِيــه-.

(٥) ومــن هــؤلاء كذلــك الإعلامــيّ "إســلام بحــيري" ولــه عــدة برامــج تلفزيونيــة، تطــرق فيهــا للإبراهيميّــة الدّينيّــة.

(٦) ومنهــم المتصهيــن "لــؤي الشريــف" الــذي بــات ظهــوره متكــررًا عــلى القنــواتِ العربيّــة والإسرائيليّــة، وهــو المســؤول عــن اســتقبالِ الإسرائيليّــين في "بيــت العائلــة **الإبراهيميّــة**".

[٢] مبادرةُ "الدبلوماسيّة الرّوحيّة".

اقــترح تقريــرٌ للبنــكِ الــدوليّ بعنــوان «التنميــة والدّيــن" لعــام ٢٠٠٧م، مبــادرةً للسّــلام الدّينــيّ العالمــيّ كمدخــلٍ لمحاربــة الفقــر الكــوني عــبر "الدبلوماســيّة الرّوحيّــة" عوضًــا عــن المســار السّــياسيّ التّقليــديّ. وقــد نَصُّــوا فيــه عــلى أنّــه «لا ســلامَ مــن دونِ ســلامٍ بــين الأديــان **الإبراهيميّــة**".[١] فنجــدُ أنّ "المركــز الــدولي للدّيانــة والدبلوماسـيّة في واشـنطن» (International Center for Religion & Diplomacy) [٢] يعتــبرُ مفهــوم «الدبلوماســيّة الرّوحيّــة" الحــلّ الأمثــل للصّراعــات الّتــي تتخطــى حــدود

(١) ينظر: العزب، هبة جمال الدّين محمّد (٢٠٢١م). الدبلوماسية الرّوحيّة والمشترك الإبراهيمي: المخطط الاستعماري للقرن الجديد، العدد ٥٠٤، مج ٤٣، ص ٣٥، مركز دراسات الوحدة العربية.
(٢) الموقع الرسمي:
https://icrd.org /

قــدرة الدبلوماســيّة الرســميّة. [١]

وتُعتــبر «الدبلوماســيّة الرّوحيّــة“ بمثابــة دبلوماســيّةِ المســار الثــاني -عوضًــا عــن المســار التقليــديّ – في حــلّ الصّراعــاتِ الّتــي لهــا جــذورٌ دينيّــة بُغيــة «إقامــةِ علاقــاتٍ طبيعيّــة في المســتقبل» و«دحــض الأصوليّــة في الأديــان الثلاثــة». [٢]

وقــد أَزاحَ تقريــرُ الدّيــن والسّياســة - الصــادرُ عــن «مركــز بروكنجــز الدوحــة“ (Brookings Doha Center) لعــام ٢٠١٣م - الســتارَ عــن أدوات الترغيــب والـترويــج للدبلوماسـيّة الرّوحيّة، ”مــن أجــلِ اســتقطــابِ الأتبــاع والـمـريـديــن عبــر خلقِ المنفعـة والعائـد المجتمعـيّ لربطـه في إطـارٍ مقبـولٍ روحانيًـا». ومـما يتميـز بـه مسـارُ الدبلوماسـيّة الرّوحيّـة عـن المسـار التقليـديّ هـو اشـتباكه المبـاشر مـع القواعـدِ الشـعبيّة. وتوظـف الإدارة الأمريكيّـة مفهـومَ **الإبراهيميّـة** والدبلوماسـيّة الرّوحيّة في خدمةِ الصهيونيّـة، مـن خـلال تشـكيلِ رأيٍ عـامٍ شـعبيٍّ داعـم. وامتـدادًا لهـذا النّهـج جـاءَ اهتـمامُ ”الأمـم المتحـدة“ بمفهومـي الدبلوماسـيّة الرّوحيّـة، والمشـترك الإبراهيمـيّ. [٣]

[٣] ”منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة» الذي يرأسه الشيخ عبد الله بن بيه.

يقــوم «منتــدى تعزيــز السّــلم“ في أبــو ظبــي (Abu Dhabi Forum for Peace) بالترويــج للإبراهيميّــة عــلى المســتوى الدّينــيّ عــبر توظيــف بعــض الشــخصياتِ الحداثيّـة والصوفيّـة، ويعتـبر ”منتـدى تعزيـز السّـلم في المجتمعـات المسـلمة» والـذي يّرأســه الشــيخ عبــد اللــه بــن بيــه أحــد أذرع هــذا المنتــدى، وتــدورُ جهــود المنتــدى حــول ثلاثــةِ محــاور هــي:

---

(١) الموقع:

https://icrd.org/our-approach-2/#

(٢) العزب، هبة جمال الدّين محمّد. الدبلوماسية الرّوحيّة والمشترك الإبراهيمي: المخطط الاستعماري للقرن الجديد، مصدر سابق، ص ٣٨.

(٣) ينظر: العزب، هبة جمال الدّين محمّد (٢٠٢١). الرؤية الصهونية للقومية العربية بين الفكر والمخطط، مج ٦، عدد: ١٢، ص ١٦٤-١٦٧ و١٩١، المقالة ٥، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والسّياسيّة، جامعة الاسكندرية.

الأول، وهو ما يسميه ابن بيّه بـ "حلف الفضول الجديد"، بين أبناء الأديان **"الإبراهيميّة"**، والذي أصدرته «العائلة **الإبراهيميّة**" في أبو ظبي.

والثاني، هو حفظ حقوق الأقليّات الدّينيّة في العالم الإسلاميّ (كما في إعلان مراكش ٢٠١٦م)، ويهدف المنتدى إلى: « ضرورةِ تأسيس تيارٍ مجتمعيٍّ عريضٍ لإنصافِ الأقليّات الدّينيّة في المجتمعاتِ المسلمة ونشر الوعي بحقوقِها".[١]

والثالث، ترسيخُ فكرةِ "ميثاقِ المواطنة الشّاملة". ويعرّفه بأنّه: "رابطةٌ اختياريّة معقودة في أفق وطني يحكمه الدستور» أو» علاقة متبادلة بين أفراد مجموعة بشريّة تقيم على أرض واحدة». والمواطنة عنده قد ارتقت في زماننا «إلى مرتبة كُلّي الزّمان حيث غَدَتْ تتمثّل في ميثاقين يحكمان الواقع، ميثاق داخليٌّ، وهو دستور البلاد الذي يمثل عقدًا بين كل المواطنين، وميثاق عالمي وهو ميثاق الأمم المتحدة ولواحقه، كإعلان حقوق الإنسان والمعاهدات الدولية". ولا ترتكز المواطنة عنده على «العرق أو الدّين أو التاريخ المشترك أو على عنصر نقاء النسب الذي يؤدي إلى تقسيم المواطنين إلى درجات كما كان عند الرومان أو العرب في عصر الجاهلية». وأنها "تتسامى على الفئوية لكنها لا تُلغيها».[٢] وقد سبق أن تناولنا الشق الدّيني لإبراهيميّة ابن بيّه وسنتناول فيما يلي الشق السّياسيّ.

(١) ينظر: إعلان مراكش لحقوق الأقليات الدّينية في العالم الإسلامي، على الرابط:

https://binbayyah.net/arabic/archives/3928

(٢) ينظر: ابن بيّه، المواطنة الشاملة، على الرابط:

https://binbayyah.net/arabic/archives/4081

ابن بيّه وفصامُ الموقف من القضيّة الفلسطينيّة.

الـذي يَتتبـع جهـود ابـن بيّـه اليـوم يلفتـه صمتُـهُ المريـب فيـما يتعلـق بالتّدنيـس الـذي يمارسـه الصّهاينـة في حـقّ المسـجدِ الأقـصى والإجـرام الـذي يمارسـه شركاؤه الصهاينـة في حـقّ أهـل فلسـطين، بيـد أنّـه كان في السَّـابق رافضًـا للحـوار مـع اليهـود الغاصبـين؛ فنقـرأ لـه فُتيـا قديمـةً يقـول فيهـا: " عـلى المسـلمين أنْ يفرقـوا بين الحـوار مع اليهـود المعتديـن عـلى أرضنـا ومقدسـاتنا واليهـود المناهضـين لهـذا الاحتـلال فهنـاكَ طائفـة مـن اليهـود في العـالم وإن كانـوا قلـة لديهـم هـذا التوجـه الإنسـاني ويقفـون بقـوة ضـد الاحتـلال الإسرائيـلي والمـشروع الصهيـونيّ في المنطقـة فهـؤلاء لا حـرجَ في فتـحِ حـوارٍ بنـاء هـدّاف معهـم تتحقـق فيـه مصلحـة المسـلمين ونفـس الـكلام ينطبـق في حـوار الأقليّـات المسـلمةِ في الغـرب مـع يهـود دولهـم فهـذه حـواراتٌ لا حـرجَ فيهـا أيضـاً، أمـا فتـحُ حـوارٍ مبـاشرٍ مـع اليهـود المعتديـن عـلى أرضنـا فهـذا يعـود لتقديـرِ ولاة الأمـر والعلـماء في الـدول الإسـلامية ومـا يـرون فيـه مصلحـة الإسـلام والمسـلمين وقضيّـة فلسـطين بعيـداً عـن كل المصالـح الشـخصيّة»[1] وهنـا يُسـأَلُ الشّـيخُ: مـا هـي المصلحـة مـن إقامـةِ علاقـات تطبيـعٍ كاملـة يسـتفيدُ منهـا الكيـان الصهيـوني وتـضر أهلنـا في فلسـطين بعزلهـم عـن محيطهـم الإسـلاميّ والعـربيّ؟

وكان الشـيخُ قديمـّا يمتـدح "قافلـة الحريـة" الّتـي تحركـت نـصرةً لأهلنـا في غـزة، بـل لـه حلقـة عـلى اليوتيـوب يقـول فيهـا: « قافلـة الحريـة كشـفت إفـلاسَ الكيـان الصهيـوني أخلاقيّـا وقانونيّـا وسياسـيًّا"، علـمًا بـأنّ المسـؤولين عـن صفحتـه قـد حذفوا الفيديوهـات، بينـما أبقـوا بعضًـا مـن مضمونهـا عـلى صفحـة الشـيخ.[2]

---

(١) ينظر: ابن بيه، عبد الله. لا يمكن تعميم حكم واحد في الحوار مع اليهود، على الرابط:
https://binbayyah.net/arabic/archives/254

(٢) ينظر: ابن بيه، عبد الله. قافلة الحرية كشفت افلاس الكيان الصهيوني اخلاقيا وقانونيا وسياسيا. على الرابط:
https://binbayyah.net/arabic/archives/465

ابن بيّه ولقاءاتُه بالصّهاينة.

لا يمانعُ فضيلة الشّيخ ابن بيّه اللقاء والتحاور مع شخصيات صهيونيّة بُغيةَ تحقيق السلام العالميّ، بعد أنْ كان يُحرِّمُ ذلك فيما سبق، حيث نجده يجتمع بالحاخام الصهيوني إيلي عبادي في حلقةٍ نقاشيَّةٍ بعنوان: « دورُ الأديانِ في تعزيزِ السَّلامِ العالميّ"، علمًا بأنّ إيلي عبادي (Elie Abadie) هو حاخام صهيونيٌّ يَشغلُ منصبَ رئيسِ JJAC (تآلفِ العدالة لليهود من الدول العربية) وهو كذلك عضوُ مجلسِ إدارة المنظمة الصّهيونيّة العالميّة (WZO) -كما ذكر على صفحته الشّخصيّة.[١]

وقد أكدّ ابنُ بيّه في المؤتمر -والذي حضره إيلي عبادي الصهيونيّ- ضرورةَ التّعاون على البر والتّقوى! ذلك «أنّ البشرية جميعاً مثلُ ركّاب السّفينة، تَجمعها وحدةُ المصير والمسار، ولا منجى للإنسانيّة إلا بالتضامن، والتعاون، بذلك أَمَرَتْنَا النصوصُ المقدّسة وإلى ذلك دعتْنَا العقولُ المُسْتَنيرةُ، ففي القرآنِ الكريم، خطابٌ لجميعِ النّاس، على اختلافِ أديانهم وأعراقهم: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان».[٢] بل هو يا فضيلة الشيخِ تعاونٌ مع الصهاينة على إثمِ وعُدوانِ التّطبيع، وعونٌ لهم على تغطية جرائمهم، بما يزيد في عزلة المرابطين في أكناف بيت المقدس.

---

(١) ينظر: الصفحة الشخصية للحاخام إيلي عبادي، على الرابط:

https://www.ravmd.com/

(٢) ينظر: الحلقة النقاشية: دور الأديان في تعزيز السلام العالمي، على الرابط: https://www.aletihad.ae/amp/news/ ثقافة/4290112/حلقة-نقاشية-لـ-تريندز--في--أبوظبي-للكتاب----دور-الأديان-في-ت

ابن بيّه وتكريم الصّهاينة له.

منحـت اللجنـة اليهوديّـة الأمريكيّـة (AJC)، إحـدى المنظـماتِ الصهيونيّـة، مؤخـرًا "جائـزةَ الكرامـةِ الإنسـانيّة" للشـيخ عبـد اللـه بـن بيـه في حفـل أقيـم في مدينـة نيويـورك بتاريـخ ٢٠ / ٩ / ٢٠٢٣م. وهـي جائـزةٌ قـد حصـلَ عليهـا سـابقًا الملحـد سـلمان رشـدي صاحـب كتـاب «آيـات شـيطانية».

وتُعتـبر اللجنـة اليهوديّـة الأمريكيّـة مـن أهـم المنظمات الداعمـة للكيـان الصهيوني، بـل هـي أقـدم اللجـان الصهيونيّـة في الولايـاتِ المتّحـدة، وتعمل عـلى تقويـة العلاقات بـين إسرائيـل والـدّول الكـبرى، وقـد أعلنَـت موقِفَهـا مؤخـرًا مـن اعتـداءِ الكيـان الصهوينـيّ عـلى غـزة والـذي قُتِـل فيـه عـشرات الآلاف مـن الفلسـطينيين، ووصفتـه بأنّـه مـن حـق إسرائيـل في الدفـاع عـن نفسـها.[١]

[٤] بيتُ العائلةِ الإبراهيميّة.

مـن أهـمّ أدواتِ التّطبيـع الروحـي اليوم إنشـاءُ ما يُسـمى «بيـتَ العائلـة **الإبراهيميّة**"، وهـو مجمـع متعـدد الأديـان يقـع في جزيـرة السـعديات في أبـو ظبـي. ويهـدف إلى أن يكـون بمثابـة مُجتمـع للحـوار بـين الأديـان، ويضـمّ المـشروعُ مسـجداً وكنيسـةً وكنيسـاً يهوديـاً ومركـزاً تعليمياً.[٢]

---

(١) موقع اللجنة الأمريكية اليهوديّة:

https://www.ajc.org/issues/israel

(٢) ينظر: بيت العائلة **الإبراهيميّة** على الموقع:

https://www.abrahamicfamilyhouse.ae/ar

ويستقبلُ بيت العائلة **الإبراهيميّة** الزوار من إسرائيل، ويَتَولّى التَّرويجَ للتطبيع فيه الإعلامي: «لؤي الشريف».[١] ولؤي هذا يصرّح بحق اليهود في بناء الهيكل المزعوم في موضع المسجد الأقصى، وحجّتُه أنّه أقدسُ بيوتِ اليهود وليس لهم غيره، بيد أنه يمكن للمسلمين الاستغناء عن الأقصى والاكتفاء بالحرمين الشريفين، وبالتّالي فلا سلامَ عنده بين المسلمين واليهود إلا بإعطائهم حقَّهم من المسجد الأقصى[٢] فهو لا يمُانع من بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى[٣]، ويقول لؤي: «كل المراجع الاسلامية تؤكد أن المسجد الأقصى هو هيكل سليمان أو مسجده (بيت همقداش)"[٤] ويتبجَّحُ لؤي باقتناء مجسّم لهيكل سليمان! علمًا بأنّ الشريف متزوجٌ من يهوديّة. بل إنه بات يصرّح مؤخرا أنّه يجب على كل مسلم أن يكون صهيونيا، فالصهيونية هي حق الشعب اليهودي في تقرير المصير في أرض أجدادهم، ولا ينبغي لمن كان يؤمن بالله والأنبياء أن يستشكل ذلك بتاتا[٥]، وأن القضية الفلسطينية كذبة كبيرة[٦].

هذا هو لؤي "الوضيع" الذي يتولى منصب الترويج الإعلامي للإبراهيمية في بيت العائلة الإبراهيمية في أبو ظبي.

ويقول الحاخامُ الصهيونيُّ كبيرُ حاخامات "المجلس اليهوديّ الإماراتيّ" إيلي عبادي (Elie Abadie) أنه «لا يوجد اختلاف بين الأديان السماويّة الثلاثة"

---

(١) انظر:

https://eldorar.com/node/164633

(٢) ينظر: البيت الإبراهيمي والعلاقات الإسلامية اليهوديّة وحركة حماس والقضية الفلسطينية مع لؤي الشريف، الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=I5x9VFelEmY

(٣) وينظر الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=TwKG1Ks9qwc

(٤) ينظر بتاريخ: ٢٠٢١/١٠/٢١:

https://twitter.com/lalshareef/status/896254289697439744?lang=ar

(5) https://www.youtube.com/shorts/lUKp1IQG8Gw

(6) https://www.youtube.com/watch?v=5PwScd_Ok0U

... وإنّ "اليهـود والمسـيحيين والمسـلمين يعبـدون الإلـه عَيْنَـهُ، لكـنّ طريقـةَ العبـادةِ تختلـف حسـبَ الدّيـن، لذلـكَ يَجِـبُ أنْ يظـل كل إنسـان في دينـه، وأنْ يحـترم الدّيـن الآخـر لأنّنـا نَعبـد الإلـه عينَـه"... وإنّ «القيّمـين عـلى البيـت الإبراهيمـيّ لا يبتدعـون دينًـا جديـدًا، بـل هـو مـكانٌ تجتمـعُ فيـه الديانـات **الإبراهيميّـة** الثلاثـة».[١] علـمًا بـأنّ إيـلي عبـادي صهيـوني يشـغل منصـب رئيـس JJAC (تآلـفِ العدالـة لليهـود مـن الـدول العربيـة) وهــو كذلــك عضــوُ مجلــسِ إدارة المنظمــة الصهيونيــة العالميــة (WZO) -كـما ذُكـرَ عـلى صفحتِـه الشـخصيّة.[٢] كـما يـرأسُ عبـادي مـا يسـمى ب: «رابطـة المجتمعــات اليهوديّــة الخليجيّــة» (AGJC).[٣]

[٥] "مركز دراسات الإخاء الإنساني» الذي يرأسه محمد حبش.

أسـس الحـداثي السـوري «محمـد حبـش» في الإمـارات: «مركـز دراسـات الإخـاء الإنسـاني»، الـذي يقـوم فيـه بمحاولـة التقريـب بـين الأديـان، ويـصرح عـلى موقـع المركـز بوحـدة الأديـان بقولـه: «اللـه واحـد ولكـن أسـماءه كثـيرة، الحقيقـة واحـدة ولكـن الـدروب إليهـا كثـير، الإشراق واحـد ولكـن الأديـان كثـيرة، الإنسـانية واحـدة

(١) ينظر: مقال: البيت الإبراهيمي في الإمارات.. هل يهدف لابتداع دين جديد؟، على الموقع الحرة:
https://www.alhurra.com/uae/2023/03/01/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D9%8A%D9%87%D8%AF%D9%81-%D9%84%D8%A7%D8%A8%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D8%B9-%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%9F

(٢) ينظر: الصفحة الشخصية للحاخام إيلي عبادي، على الرابط:
https://www.ravmd.com/

(٣) ينظر: مقال: تأسيس» بيت دين شبه الجزيرة العربية» كأول منظمة للشؤون الإجتماعية لليهود في الخليج العربي، على الرابط:
https://ar.timesofisrael.com/%D8%AA%D8%A3%D8%B3%D9%8A%D8%B3%D8%A8%D9%8A%D8%AA-%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%B4%D8%A8%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%83%D8%A3%D9%88/

ولكن الناس كثر، الحب واحد ولكن القلوب كثيرة". ويقول: "نعمل للإخاء الإنساني ضد: احتكار الحقيقة واحتكار الجنة واحتكار الغيب واحتكار السماء". ويقول: "أمة بين الأمم لا فوق الأمم، دين بين الأديان لا فوق الأديان، نبي بين الأنبياء لا فوق الأنبياء".(١)

كما أسست "أسماء محمود كفتارو" زوجة محمد حبش وحفيدة مفيدة سوريا السابق أحمد كفتارو والتي تشغل «عضوية المجلس السوري النسائي الاستشاري للمبعوث الأممي ستيفان دي مستورا"، «مؤسسة كفتارو لبحوث التسامح والإخاء" في الإمارات.(٢)

(١) ينظر: موقع مركز دراسات الإخاء الإنساني، على الرابط:

https://human-fraternity.org/

(٢) ينظر: إعلان افتتاح مؤسسة كفتارو للتسامح الديني على الرابط:

https://human-fraternity.org/?p=2076

ثانيًا، الإبراهيميّة والتطبيعُ الأكاديميّ.

[١] الإبراهيميّة ومناهجُ التّعليمِ العربيّة.

يقومُ "معهد مراقبة السلام والتّسامح الثقافيّ في التعليمِ المدرسي" (IMPACT-se) الإسرائيليّ بتقييم مناهج التعليم في الدول العربيّة والإسلاميّة، ويرصد التعديلات المهمة في مناهج عدد من الدول العربية. ويصدر المعهد في كل عام تقريرًا عن كل دولة فيما يتعلق بتغيير المناهج الدراسيّة بما يخدم التطبيع وخفض العداء مع الصهيونيّة ودولة إسرائيل، وستجد على موقع المعهد أدناه تقارير متعلقة بكل دولةٍ على حدة. [١]

ومن المبادراتِ التطبيعيّة الأكاديميّة: "مبادرةُ التوعية البيئيّة للسّلام» (المدعومة من USAID)، والّتي تستهدفُ طلبة المدارس الإسرائيليّة والفلسطينيّة بهدف إنشاءِ علاقات صداقة بينهم، كما يقول أحد القائمين على المبادرة.[٢]

ومن مظاهر العبث في المناهجِ الدراسيّة: ما قامت به منظمةُ الأمم المتحدة لغوث اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا»[٣] (UNRWA) من تغييرِ المناهجِ الدّراسية لكتبِ أطفال اللاجئين من الصف الأول إلى الرابع ابتدائي بمحو كلمةِ "القدس عاصمة الدّولة الفلسطينيّة"، واستبدالها بـ"القدس هي مدينة مقدّسة لكلِ الأديان **الإبراهيميّة**"، بُغْيَة بناء جيل جديد مؤمن بهذا الطرح. [٤]

وها هي لجنة الميزانيّة في البرلمان الأوروبيّ توافق على تَعديلٍ لتجريدِ رام

---

(١) انظر: موقع معهد مراقبة السلام والتّسامح الثقافيّ في التعليمِ المدرسي:

https://www.impact-se.org/reports-2

(٢) ينظر: موقع: مبادرةُ التوعية البيئيّة للسّلام، على الرابط:

http://arava.org/alumni/yeepi

(٣) وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (UNRWA)

(٤) ينظر: العزب، هبة جمال الدّين محمّد (٢٠٢١). الرؤية الصهونية للقومية العربية بين الفكر والمخطط، مصدر سابق مج ٦، عدد: ١٢، ص ١٦٧.

الله من (٢٠) مليون دولار إذا لم يتم إجراء تغييرات فوريّة لتعزيز التّعايش مع إسرائيل، بتغيير الكتب المدرسية التابعة للسّلطة الفلسطينيّة.[١]

ومن وسائلِ الترويجِ للإبراهيميّة أكاديميا التسويق لها ضمن أسئلة اختبارات مادة التربية الإسلاميّة في مدينة مراكش المغربية.[٢]

[٢] التطبيعُ بين الجامعات الصهيونيّة والعربيّة.

تقوم كُبرياتُ الجامعات الإسرائيليّة بتوقيع اتّفاقيّات مع جامعات عربيّة لاختراق النخب الأكاديميّة للسّيطرة على صناعةِ القرارِ مستقبلاً، فيقومون بتبادلِ الطّلاب والهيئات التّدريسيّة وبالمشاريع البحثيّة المشتركة، ومن ذلك "الاتفاق بين جامعة بار إيلان الإسرائيليّة وجامعة جولف ميديكل الإماراتيّة لِتبادلِ الطلاب، أو الاتّفاق بين الكليّة الوطنية لإدارة الأعمال في كازبلانكا (الدار البيضاء) المغربيّة وجامعة تل أبيب من أجل التعاون العلميّ وتبادل الطّلاب وخلق فرص العمل، أو الاتفاق بين جامعة بن غوريون في النّقب وجامعة المغرب الدوليّة في الرباط للتّعاون الأكاديميّ في مجالات البحث المشترك وتبادل الطواقمِ التّدريسيّة والطلاب".[٣]

وتحاولُ بعضُ البرامجِ العلمية التّطبيعيّة جذب الشّباب المتميز من طلبة

(١) ينظر: مقال على israel of times على الرابط:

https://ar.timesofisrael.com/%d8%a7%d9%84%d8%a8%d8%b1%d9%84%d9%85%d8%a7%d9%86-%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%88%d8%b1%d9%88%d8%a8%d9%8a-%d9%8a%d8%b4%d8%aa%d8%b1%d8%b7-%d8%a5%d8%b3%d8%aa%d9%85%d8%b1%d8%a7%d8%b1-%d8%aa%d9%85%d9%88%d9%8a/

(٢) ينظر: فيديو: الديانة **الإبراهيمية** في امتحانات الباكالوريا، على الرابط:

https://youtu.be/MmEOcNCMfGM?feature=shared

(٣) ينظر: مقال: كيف تعزّز التطبيع مع إسرائيل في إطار «اتفاقيات أبراهام» خلال العام ٢٠٢١؟، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رابط الموقع:

https://www.madarcenter.org

المدارس الفلسطينيّين إلى العمل والانخراط مع طلبةٍ إسرائيليّين، مثل برنامج المنظمة غير الحكومية MEET الذي يُنظمه معهد ماساتشوستس للتّكنولوجيا الأميركيّ (MIT) في الجامعة العبريّة بمدينة القدس وفي النّاصرة، حيث يقوم البرنامج بإعطاءِ منح وتنظيم برامج صيفيّة لمدةِ ثلاث سنوات للطلبة الفلسطينيّين والإسرائيليّين بهدف «تهيئة قادة المستقبل - من فلسطينيين وإسرائيليين - وقد عملوا جنباً إلى جنب، من أجل إحداث تغيير إيجابي في مستقبل الشرق الأوسط".(١)

ثالثًا، الإبراهيميّة والتّطبيع الإعلاميّ.

[١] الإبراهيميّة ووسائل الإعلام المرئيّ.

تعتبر قناةُ «الحرّة" الأمريكيّة الناطقة بالعربية إحدى مؤسسات «شبكات البث في الشرق الأوسط" (Middle East Broadcasting Networks, Inc. (MBN))، الّتي تشكل منفذًا إعلاميًا غيرَ ربحيّ تمُوله الحكومة الأمريكيّة من خلال منحة من الوكالة الأمريكيّة للإعلام العالميّ (USAGM)، وهي وكالة فيدراليّة مستقلة.(٢) وتستضيفُ القناة الإعلامي المصريّ إبراهيم عيسى في برنامج حواري بعنوان «مُخْتَلَفٌ عليه» على قناةِ «الحرّة» الأمريكيّة، ويجتهد إبراهيم عيسى في الترويج للإبراهيميّة ووحدة الأديان عبر برامجه الحواريّة ورواياته والأفلام والمسلسلات الّتي كتبها، وقدّم كذلك الإعلاميّ إسلام بحيري على قناةِ الحّرة برنامجَ «إسلامٍ حرّ"، وروَّج فيه للإبراهيميّة، وقد بسطتُ الكلامَ على خدمتِهما للإبراهيميّة الدّينيّة سابقًا.

---

(١) ينظر:

https://www.meet.mit.edu/

وينظر:

https://www.palestine-studies.org/ar/node/1649810

(٢) ينظر: موقع «الوكالة الأمريكية للإعلام العالمي» (Media Global for Agency .S.U) التابع لحكومة الولايات المتحدة على الموقع:

https://www.usagm.gov/2022/10/21/debatable-hosts-a-special-series-from-across-the-region/

ومن المؤسّسات المُروِّجة للإبراهيميّة إعلاميًا قناة أبو ظبي التّابعة لشبكة أبو ظبي للإعلام الّتي يُديرها علي بن تميم، وقدّمت برنامجًا بعنوان «لعلهم يعقلون" استضافوا فيه أحدَ دعاة **الإبراهيميّة** "محمّد شحرور».

[٢] الإبراهيميّة ودور النّشر.

ومن الأذرعِ الإعلاميّة الداعيةِ للتطبيع "مركز الإمارات للدراسات والنشر" والذي أصدر كتابًا للإعلاميّ الصهيونيّ: عميت سيجال (Amit Segal) بعنوان: « قصة السّياسة الإسرائيليّة"، علمًا بأنّ سيجال من المواطِنين على التحريضِ ضدَ الفلسطينيّين، وضد جهات إسرائيليّة تحاول تسوية الصراع بالمفاوضات معهم. [١]

[٣] الإبراهيميّة ووسائلُ التواصلِ الاجتماعيّ.

تُعتبر وسائلُ التّواصل الاجتماعيّ مرتعًا لدعاةُ **الإبراهيميّة**، من أهمّ قنوات وسائل التّواصل التّطبيعيّة: قناةُ «ناس ديلي» (Nas Daily) الّتي يُديرها الإسرائيليّ-العربيّ: "نصير ياسين"، والإسرائيليّ اليهوديّ: أليكس دوك (Alex Dwek).

ولك أن تَعلم أنّ من هؤلاء الإسرائيليّين الذين تَناولت «ناس ديلي» قصّتَهم وروجتها عربيًا: المليونير الاسرائيليّ ورجل الأعمال المبرمج آدم بيسموت صاحب شركة sightbit، والذي كان جنديًّا إسرائيليًّا: قَاتَلَ وقُتِلَ في مخيم المغازي في غزة بعدَ معركةِ «طوفان الأقصى». وقد حققت حلقته أكثر من (٥) ملايين مشاهدة على اليوتيوب. [٢]

---

(١) مقال بعنوان: "مركز الإمارات للدراسات" يصدر كتاباً لمحلل صهيوني متطرف والده ضالع في عملية إرهابية. موقع القدس العربي

https://www.alquds.co.uk/مركز-الإمارات-للدراسـات-يصدر-كتاباً/#:~:text=ويتكوَّن٪٢٠الكتاب٪٢٠من٪٢٠ ١٢٪٢٠فصلاً,حكومـة٪٢٠

(٢) ينظر:

https://www.youtube.com/watch?v=_P474K0ZMZQ&ab_channel=NasDaily

رابعًا، الإبراهيميّة والتّطبيع الاقتصاديّ.

يُعتبرَ معهد اتفاقيّات إبراهيم للسّلام (Abraham Accords Peace Institute) من المعاهد العاملة على التّرويج للتّطبيع العربيّ الإسرائيليّ عبرَ إغراءِ الدّول الموقِّعَةِ على الاتفاقيّة بالازدهار الاقتصاديّ، ويَرَوْنَ أنَّ أفضلَ طريقةٍ لمواجهةِ التّحديات السّياسيّة والثّقافية هي تنميةُ العلاقات التّجارية والتّعاون الاقتصاديّ بين أبناء الدّيانات **الإبراهيميّة** الثلاث؛ يقول المعهد على صفحته الرسميّة: «ومع نمو العلاقات التّجارية، تزداد قوّة الرّوابط بين الدول وشعوبها. ومع فرص لا حدود لها، يمكن لاتفاقيات إبراهيم أن تخلق ما يصل إلى ٤ ملايين فرصة عمل جديدة وتريليون دولار من النّشاط الاقتصاديّ الجديد في العقد المقبل وعلى المدى القريب لمساعدة المنطقة على التعافي من الرّكود الاقتصاديّ العالميّ، ومساعدة المنطقة على طي صفحة جيل من الصّراع وعدم الاستقرار نحو عصر جديد من التّعاون".[١] ويذكر المعهد أن صادرات إسرائيل نحو الدّول المطبِّعة بلغت حوالي ٤٧٠ مليون دولار خلال العام ٢٠٢٢م[٢]، وكان حجم التّبادل التّجاريّ بين إسرائيل وهذه الدّولة حوالي ٧٥٠ مليون دولار عام ٢٠٢٠،[٣] كما يذكر أنّه تمّ تدشين ١٧ خطّ ملاحة جوي بين هذه الدول في نفس العام.[٤]

ويضاف إلى ذلك مشروعات ريادة الأعمال، والمشروعات التّعاونية النّسائيّة، والحملات الإغاثيّة.[٥]

---

(١) ينظر:
https://www.aapeaceinstitute.org/

(٢) ينظر:
https://www.aapeaceinstitute.org/

(٣) ينظر: على الرابط:
2021 ABRAHAM ACCORDS PROGRESS REPORT: A YEAR IN REVIEW
https://www.aapeaceinstitute.org/latest/abraham-accords-progress-report-2021-a-year-in-review

(٤) ينظر:
https://www.aapeaceinstitute.org/

(٥) ينظر: العزب، هبة جمال الدّين محمّد. الدبلوماسية الرّوحيّة والمشترك الإبراهيمي: المخطط الاستعماري للقرن الجديد، مصدر سابق، ص ٣٨.

ومن صور هذا التطبيع الاقتصادي: هو الاتفاق على جسر بري لنقل البضائع بين الإمارات وإسرائيل؛ فبحسب صحيفة «معاريف» الإسرائيلية « فإن شركة «تراكنت» الإسرائيلية وقعت الاتفاقية مع شركة «بيورترانز» الإماراتية للخدمات اللوجستية ليبدأ تسيير الشاحنات المحملة بالبضائع من ميناء دبي مروراً بالأراضي السعودية ثم الأردنية وصولاً إلى ميناء حيفا في إسرائيل. وقال المدير التنفيذي لشركة «تراكنت» إن الخط الجديد سيوفر أكثر من ٨٠٪ من تكلفة نقل البضائع عبر الطريق البحري". [١]

وقد تم تفعيل الجسر البري في الحرب على غزة مع أوائل عام ٢٠٢٤ بعد أن أُغلِقَ البحر الأحمر في وجه خطوط التجارة الإسرائيلية القادمة من آسيا. وقد نشرت القناة ١٣ العبرية، تقريرا مثيرا عن الجسر التجاري البري، ووصفت هذا الأمر بأنه «مهم ومغيّر للمعادلة، ويقوم على تغيير الواقع». ويقول الصحافي الإسرائيلي أمير شوعان: إن «مشهد الشاحنات هذا بلوحات إماراتية على أرض إسرائيل، هو تنفيذ للاتفاقية الإبراهيمية». ويأتي تدشين هذا الخط التجاري في ظل الحصار الخانق الذي تفرضه إسرائيل على قطاع غزة، وإغلاق معبر رفح من جهة مصر، بما يمنع مرور المساعدات الإنسانية إلى الفلسطينيين الذي يتعرضون لحرب إبادة جماعية.[٢]

---

(١) ينظر: جسر بري بين الإمارات وإسرائيل، على الرابط:

https://www.bbc.com/arabic/tv-and-radio-67641778

(٢) ينظر: القدس العربي، على الرابط:

https://www.alquds.co.uk/%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A7-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D8%AB%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%86/

خامسًا، الإبراهيميّة والسّياحة الدّينيّة:

مسارات الحجِّ المشترك (مسار إبراهيم).

من أهم أدوات السّياحة الدّينيّة في خدمة **الإبراهيميّة** السّياسيّة مسارات الحج المشترك وعلى رأسها: مسار إبراهيم (Abraham Path).[١] وتقومُ فكرته على إعادةِ إحياء مسار إبراهيم المذكور في التَّوراة عند اليهود والنّصارى بُغيةَ تشجيع السّياحة الدّينيّة المشتركة، ثم أضافوا إليه لاحقًا مسار رحلة إبراهيم من الخليل إلى مكة المكرمة، بناء على ما ذكر في القرآن الكريم.

ويبدأ «مسار إبراهيم» بحسب السردية التّوراتية من "أور" في العراق حيث ولد إبراهيم إلى حرّان في تركيا حيث عاش إبراهيم أولاً، ثمّ إلى دمشق الّتي حكمها -مرورًا بحلب- إلى القدسِ حيث ادّعَوا أنّه أرادَ ذبح ابنه إسحاقَ فيها، وانتهاءً بالخليل حيث توفيّ بالإضافةِ إلى زيارته لمصر، وأضيفت إلى المسار لاحقًا إيران، كما جعلوا له مسربا في لبنان، ويتضمن المشروع زيارة المقدّسات الدّينيّة لدول المسار بما في ذلك الكيان الصهيوني، كما ألحقوا بالمسار لاحقًا وبحسب السّردية الإسلاميّة رحلةَ إبراهيم إلى مكة مرورًا بالأُردن.

وقد طُرِحت فِكرة «مسار إبراهيم» أولاً في جامعة هارفرد - كبرى جامعات العالم - بقيادة «وليام أوري» الذي كان مستشارًا لكارتر في مفاوضات سلام الشرق الأوسط، وتهدف الفكرة إلى حلِّ الصّراعات الكامنة على دول المسار، وظاهر هذه المبادرات تنشيط السّياحة على «مسار إبراهيم» وباطنها الترويج للتّطبيع على مستوى شعوبِ المنطقة خاصة مع الكيان الصهيوني، فإنّ النّشاطات تتضمن بالإضافة إلى المشي على المسار -بما في ذلك فتحه أمام الإسرائيليين- ممارسة النشاطات التّراثية بالإضافة إلى التنسيق مع العديد من الجمعيّات المدنية على

(١) الموقع الرسمي لمسار إبراهيم
https://www.abrahampath.org

طـول دول المسـار لتأمـين السـائرين وإعـداد النشـاطات، ولم تنجـح مخططـات المسـار بشـكل كامـل بالرغـم مـن تمويلـه عـلى أنّ المـشروع لا يـزال قائمًـا، وقـد تعـددت الجهـات المانحـة، ومنهـا: الوكالـة الأمريكيّـة للتنميّـة الدوليّـة (U.S. Agency for International Development - USAID)، ومؤسسـةُ الوليـد بـن طـلال للأعـمال الإنسـانيّة، وغيرهـا. [1]

سادسًا، الإبراهيميّة والتّطبيعُ الثّقافيّ والفنيّ.

قامـت مؤسسـة «يـاد فاشـيم» (المركـز العالمـيّ التّوثيقـيّ والبحثـيّ والتّعليمـيّ لتخليـد ذكـرى الهولوكوسـت) الإسرائيليّـة بالمسـاعدةِ عـلى إنشـاءِ "معـرضِ الهولوكوسـت" الأول والوحيـدِ في العـالم العـربي في «متحـف معـبر الحضـارات» في دبي. [2]

ومـن مظاهـر التّطبيـعِ الثّقـافيّ والفنـيّ قيـامُ القنـاةِ المغربيّـة الرسـميّة الثانيّـة 2M ليلـةَ عيـد الفطـر "بعـرضِ سـهرةٍ طويلـة يقودهـا طـوم كوهـين الصّهيـونيّ «الإسرائيـليّ» رئيـس أوركسـترا فرقـة القـدس، بحضـور المغنيـة الصهيونيّـة الإسرائيليّـة الجنسـيّة نطـع لخيـام، بمشـاركة تطبيعيّـة مدانـة معهـما لثلّـة مـن العازفـين والمغنـين المغـارب، كـما

(١) ينظر: العزب، هبة (٢٠٢٢). الدبلوماسية الرّوحيّة والمشترك الإبراهيمي، ص ١١٤-١١٩، ط ٢، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢) ينظر:

https://www.i24news.tv/ar/%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1/middle-east/1673155969-%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84-%D9%85%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%B9%D9%86-%D8%A5%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%AC-%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%84%D9%88%D9%83%D9%88%D8%B3%D8%AA-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%87%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D9%85%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D9%87%D8%A7

قـام المركـز السـينمائيّ المغـربي في الفـترة نفسـها بعـرض مطـول للنّسـخة الكاملـة للفيلـم الدعـائيّ الصهيـونيّ المعـروف (تنغـير جيروزاليـم أصـداء المـلاح) الـذي يُـروجُ لدعايـةِ التّطبيـع مـع احتـلال فلسـطين وطمـس حقيقـة الكيـان الصهيـونيّ الإرهابيّـة، تحـت عنـوان «الجاليـة المغربيّـة الأمازيغيّـة في إسرائيـل»، وهـو الفيلـم الـذي ثبـت للمرصـد أنـه فيلـم «إسرائيـليّ» صنعًـا ورعايـةً وإخراجًـا بعدمـا سـبق عرضُـه في مهرجانـات السـينما الإسرائيليّـة قبـل أن تقـوم القنـاةِ الثانيـة ٢M بعرضـه عـلى المغاربـة قبـل سـنوات، في خطـوة تتجـاوز جريمـة التّطبيـع إلى ممارسـة الصهينـة الإعلاميّـة والثقافيّـة الخطـيرة الّتـي ترمـي إلى صهينـة مفهـوم المكـون العـبريّ في الدّسـتور المغـربيّ و تمريـر قرابـة مليـون صهيـونيّ إلى النّسـيج الاجتماعـيّ المغـربيّ والمؤسسـاتيّ في مختلـف بنيـات الدولـة، مـما يجعـل مـن المغـرب جـزءًا مـن عصابـةِ الاحتـلال الصهيـونيّ عـبرَ مـا تُسـمى «الجاليـة»، بـل ويصبـح معـه المغـرب مخترقًـا بشـكلٍ خطـير جـدًا يهـدد بنيتـه واسـتقرارَه واسـتمراره".[١]

---

(١) ينظر: مقالة: المغرب: ناشطون يسجلون «اختراقات خطيرة» تكرّس التطبيع الثقافي والفني مع العدو الإسرائيلي.
https://www.alquds.co.uk/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D9%86%D8%A7%D8%B4%D8%B7%D9%88%D9%86-%D9%8A%D8%B3%D8%AC%D9%84%D9%88%D9%86-%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%AE%D8%B7%D9%8A%D8%B1%D8%A9/

سابعًا، الإبراهيميّة والتّطبيع الأمنيّ والعسكريّ.

قامت كلٌّ من الإمارات والبحرين وإسرائيل، والولايات المتّحدة بمناوراتٍ عسكريّة في البحر الأحمر عام ٢٠٢١، بحسب قناة BBC.[١]

وبحسب وكالة رويترز: فقد وقّعت شركة أبو ظبي G٤٢ اتفاقاً مع شركة «رفائيل» للصّناعات العسكريّة الإسرائيليّة لإقامة مشروع مشترك لتسويق تكنولوجيات المعلومات عام ٢٠٢١م. [٢] كما وَقَّعَت شركةُ أنظمة إلبيت (Elbit systems) للمقاولات العسكريّة في إسرائيل اتفاقاً مع الإمارات، إلى غير ذلك من اتفاقيّات يمكن الاطلاع عليها من على موقع: «معهد اتفاقيّات إبراهيم للسّلام» (AAPI).[٣]

(١) ينظر: مقال: التطبيع: أول مناورة عسكرية بين دول خليجية وإسرائيل تثير قلق إيران، على الرابط:

https://www.bbc.com/arabic/middleeast-59290647

(٢) ينظر: مقال: على الرابط:

Abu Dhabi's G42 forms big data JV with Israeli defence company Rafael ،

https://www.reuters.com/world/middle-east/abu-dhabis-g42-forms-big-data-jv-with-israeli-defence-company-rafael-2021-04-19/

(٣) ينظر: على الرابط:

2021 ABRAHAM ACCORDS PROGRESS REPORT: A YEAR IN REVIEW

https://www.aapeaceinstitute.org/latest/abraham-accords-progress-report-2021-a-year-in-review

البابُ الثّاني: الدّلالة على عموم الرِّسالة وردّ مطاعن الإبراهيميّة الدّينيّة عنها.

اتّسمت طُعونُ دعاةِ **الإبراهيميّة** في عالميّة الرِّسالة المُحمَّديّة بالقصور المعرفيّ من جهة، وبمخالفة منهج النّظر الصَّحيح في النّصوص القرآن من جهة أخرى، فأنكروا ما تواتر من عموم رسالته لجميع الأمم والشعوب، كما أغفلوا منظومة النّظر الأصوليّ المستقاة من نصوص الوحي ولغة العرب، فركبوا متن عمياء وخبطوا خبط عشواء فأبطلوا قواطع القرآن ويقينيّاته.

وهذه الطعون الّتي تمخضت عنها عقولُ هؤلاء ونزعاتهم النفسيّة قامت على فهمٍ مُنحَرِفٍ لنصوص القرآن، ولعلَّ أوّلها صدورًا كان رسالة الراهب بولص الأنطاكيّ الّتي هذّبها المستشرق القبرصي والّتي انتهضَ لنقدها الشهاب القرافي وتقي الدّين ابن تيمية -كما تقدم-.

واللافت أنّ جلَّ الطُّعونِ في عموم الرِّسالة الّتي ذَكَرَها بولص والمستشرق القبرصي، تبعهما عليها حداثيّو العرب ممن يُنَظِّرُ للإبراهيميّة، ولا يُستَبعَدُ تلقّفهم لها منهما، فإنهم لطالما كانوا للمستشرقين أبواقًا تكرر أحقادهم وطعونهم في الدّين، وسيتطرّق الكتابُ في هذا الفصل لمبحثين:

الأول، إقامة الدّلالة على عموم الرِّسالة.

والثّاني، رد مطاعن دعاة **الإبراهيميّة** في عموم الرِّسالة المُحمَّديّة.

الفصل الأول، إقامة الدّلالة على عموم الرِّسالة.

المُسْتقرئ لمدوّنات الفِرَق والعقائد الإسلاميّة وكتب التَّفسير يستوقفه كثرةُ النّقول فيها على ما تواتر من دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعموم البشر، وما تواتر كذلك من ادعائه لذلك قولاً كما في حديث: "بعثت إلى النّاس كافّة» وما روي في معناه، وقد عضَّدَ ذلك الإجماعُ وأيّدتهُ قَواطِعُ القرآن الكريم وما تواردت عليه ظواهره، وهذا كلّه يقتضي عدم نجاة اليهود والنّصارى الذين أدركوا البعثة المُحمَّديّة وقامت عليهم الحجّة الرِّساليَّة إلاّ بالتزامهم الشّريعةَ المُحمَّديّة.

وقد بُنِيَت إقامةُ الدّلالة على عموم الرِّسالة على أمرين:

الأوّل، بيان تواتر دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعموم البشر قولاً وفعلاً وانعقاد الإجماع عليه.

والثاني، قواطع القرآن الدّالة على عموم الرِّسالة ونسخها للشرائع السَّابقة.

أولاً، بيان تواترِ دَعوَةِ النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمومِ البَشرِ قَولاً وفِعلاً، وانعقاد الإجماع عليه.

مِن المتقرِّر معرفيّاً عند الأصوليّين والفقهاء والمتكلّمين والمناطقة أنّ التّواتر يفيد العلم،[1] وجمهورُهم على أنّه يفيد العلم الضروريّ -الّذي لا يفتقر إلى نظر أو استدلال-، وهو في كلا الحالين حجّةٌ قاطعة يكفر منكرها بعد قيام الحجّةِ عليه، بل لا تكادُ توجد أمّة من الأمم تنكر إفادة التّواتر للعلم والقطع باستثناء السُّمَنِيّة، وهم قومٌ من الهند ينكرون النبوة، وقيل: أنكروا التّواتر في الماضيات دون الحاضرات الّتي يمكن إدراكها اليوم بالحِسّ.[2]

والتّواتر اصطلاحًا: روايةُ جمعٍ عن جمعٍ تُحيل العادةُ تواطؤهم على الكذب،

(١) والعلم في اصطلاح الأصوليين: الإدراك الجازم المطابق للواقع عند دليل.

(٢) ينظر: الآمدي، أبو الحسن سيف الدّين علي بن أبي علي. الإحكام في أصول الأحكام، المكتب الإسلامي، ج٢، ص ١٥، بيروت- دمشق.

وينظر: فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت ٢٣٤/٣، وشرح جمع الجوامع ١٥٠/٢.

ويكون مستند خبرهم الحس. كعلمنا بوجود بغداد ومراكش، وعلمنا بوجود الدولة العباسية، ومن المتواتر: إيجابُ التزام الشريعة المُحمَّديّة على عموم البشر من جهات لا يُحتَمَلُ معها تأويل أو تخصيص.[١]

والمتواترات -كالمُجَرَّبات والحَدسِيّات - وإن كانت حجة للشخص مع نفسه، إلا أنّها تكون حجة على غيره، إذا شاركه في الأمور المقتضية لها،[٢] خاصةً إذا كان العِلمُ الحاصلُ من التّواتُرِ لكثرة العَدَدِ، فإنّه ينبغي أن يكون مُتَّفِقًا للسّامعين، لأنّ القرائنَ في مثل ذلك ظاهرةٌ لا تخفى على أحدٍ منهم.[٣]

وتواترُ عمومِ الرّسالة مُتَحَقِّقٌ من جهتين:

الجهة الأولى، تواتَرَ تَواتُراً معنويًا ولفظيًا ادّعاءُ نبيّنا محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ الله تعالى أرسله للناسِ كافّة.

ومعنى كونه متواترا تواترا معنويا: أنّ الصّحابةَ رَووا عنه بألفاظٍ مختلفة: من كونه عليه السلام كان يذكر لهم أنّه أرسل للنّاس كافّة، وتواتر هذا المعنى إلينا؛ قال أبو المعالي الجويني (ت ٤٧٨ هـ): «وقد علمنا ضرورة أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادّعى كونَه مبعوثًا إلى الثَّقلين» ... «وهذا ممّا نُقِلَ تَواتُرًا منه كما نُقِلَ أنّه كان يأمرُ بالصَّلواتِ الخمس»[٤]

---

(١) ينظر: التفتازاني، سعد الدّين مسعود بن عمر (١٩٨١م). شرح المقاصد في علم الكلام، ج ٢، ص ١٩١، دار المعارف النعمانية، باكستان.

(٢) ينظر: الجرجاني، شرح المواقف، ٤٢/٢.

(٣) المحلي، شرح جمع الجوامع ١٥٠/٢.

(٤) نقله تقي الدّين السبكي عن الجويني في الإرشاد. ينظر: تقي الدّين السبكي، أبو الحسن علي بن عبد الكافي (٢٠٠٥م). الدّلالة على عموم الرِّسالة (تحقيق: علي أسعد رباجي)، ط ١، ص ٥٧-٥٨، دار الكتب العلمية.

وأما تواتر ادعائه أنه أرسل للناس كافة تواترا لفظيا: فهو تواتر حديث «بعثت إلى النّاس كافّةً »[(١)] تواتراً لفظيا؛ فقد أحصى السيوطيّ في كتابه «الأزهارَ المُتناثرة في الأخبارِ المتواترة» عشرة من رواة الحديث من الصحابة، وحكم بتواتره لفظًا[(٢)]

وقد استفاض النّقل عن علماء الأمّة بمختلف توجهاتهم ومدارسهم ومناهجهم أنّ النّبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد ادّعى وذكر في حضرة أصحابه أنّه مرسل إلى جميع البشر، وأنّ رسالته عامةٌ، لم يخصصها بقبيلةٍ أو قومٍ أو أتباع دين معين. وقد أوردت ثبتا في آخر الكتاب بنقول العلماء فيما يتصل بذلك.

وجِهة التّواتر الثانية، هي ما تواتر بالوقائع المتعددة في كون نبيّنا محمّد صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يخاطب جميع الأمم بمختلف أديانها.

تواتر تواترًا معنويًا من فعل النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في وقائع مختلفة أنّه كان يخاطب جميع الأمم بمختلف أديانها، وأنّه لم يخصص الدعوة بقوم دون قوم، وأنه كان يُقاتل من عانده ويُنازل من جاحده؛ قال عماد الدّين ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤ هـ) في تفسير قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩]: «وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته، صَلوات الله وسلامه عليه، إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة، وكما دلّ عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث ... وفي الصَّحيحين وغيرهما، مما ثبت تواتره بالوقائع المتعدّدة، أنّه صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعثَ كُتُبَه يدعو إلى الله ملوك الآفاق، وطوائفَ بني آدم من عربهم وعجمهم، كتابيِّهم وأمِّيِّهم، امتثالاً لأمر الله له بذلك».[(٣)] وقد أوردت ثبتا في آخر الكتاب بنقول العلماء فيما يتصل بذلك.

(١) البخاري، محمّد بن إسماعيل الجعفي (١٩٨٧م). صحيح البخاري (تحقيق: مصطفى ديب البغا)، ط ٣، رقم: ٤٣٨، دار ابن كثير، بيروت.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. صحيح مسلم (تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، رقم ٥٢٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، ص ٩٩، دار الفكر.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (١٩٩٩م). تفسير القرآن العظيم، ط٢، ج ٢، ص ٢٦، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ثانيًا، قواطعُ القرآن الدّالة على عموم الرِّسالة المُحمَّديّة ونسخها للشّرائع السَّابقة.

كتابُ الله تعالى مَشحُونٌ بالآيات الدّالّة على وجوب التزامِ أهل الكتابَيْن وغيرهم بعد البعثة للرّسالة المحمَّديّة، وعالميّة الرِّسالة المُحمَّديّة وخاتميّتها تستلزم نسخ شرائعهم، ومن أدلة عالميّة الرِّسالة:

[١] الدليلُ الأول، قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨].

تَدُلُّ الآية بعمومِها على شمولِ الرِّسالة المُحمَّديّة لجميع البشر -موحدِّهم ومُشرِكهم وملحدِهم- ممن يتأتى منه فهم الخِطاب. فمن المتقرّر أن لفظ (الناس) المعرف بلام الاستغراق يفيد العموم بحسب الظاهر، إلا أن توكيد عموم (الناس) بـ(جميعًا) صيرّه نصًّا فيه.[١]

وبيانُ ذلك أنّ (جميعًا): إذا تعقبت لفظًا عامًا كما في قولك: (جاء الناس جميعًا): فإنّها لا تَرِدُ إلا لأحد أمرين: الأول، لتأكيد العموم لرفع توهّم المجاز، وهو أظهر معانيها. والثاني، لمجموع الناس، والمعنى: (جاء الناس مجموعين معًا)، فلا تكون مؤكدة لعموم الناس لكنها تدل على مجيئهم في وقت واحد.[٢] والمتأمّلُ في قوله تعالى ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، يدرك أن الأول هو المراد قطعًا، أي: توكيد عموم (النّاس)، لا بيان حال كونهم مجموعين، فإن الرِّسالة بالقطع لا يخاطَبُ بها الناس والحالُ أنّهم مجموعون معًا على صعيد واحد وفي وقت واحد. والقِسمة كما لا يخفاك حاصِرة، فتَعَيَّنَ حملُ (جميعا) على توكيد العموم، فلزم عن ذلك أن يكون (الناس) بضميمة (جميعا) نَصًا في العموم لا يحتمل التخصيص إلا بمخصص مقارنٍ

(١) فإن قيل: ال للعهد الذكري، فهي ترجع بالقطع إلى اليهود والنصارى المذكورين في السباق، بيد أنّه لا قائل بذلك.

(٢) العلائي، الحافظ صلاح الدّين أبو سعيد (١٩٩٧ م). تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم (تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود)، درا الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ص ٢٩٩-٣٠٠.

للخطاب. ولذلك قال ابن عاشور:» وتأكيد ضمير المخاطبين بوصف (جميعًا) الدّال نصًّا على العموم، لرفع احتمال تخصيص رسالته بغير بني إسرائيل، فإنّ من اليهود فريقًا كانوا يزعمون أن محمّدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيء، ويزعمون أنه نبيء العرب خاصة".[(١)]

ويؤيّد كونَ الآية نصًّا في العموم لا يجوز تخصيصه إلا بمخصص مقارن له وقت الخطاب: ما تواتر وأجمعت عليه الأمّة من قطعية عمومها. كما يَتَعَيَّنّ القطع بالعموم لأن حمله على خلاف مدلوله بعد تأكيده فيه قدحٌ في بيان الرسل وإضلالٌ للناس في أصل من أصول الدّين، والقرآن ينزه عن ذلك

فإذا قِيل: (أل) في الناس للعهد وترجع إلى أهل الكتاب المخاطبين في السّباق.

أُجيب: لئن سلّمنا جدلاّ في كونها للعهد الذكري لمن خوطب في سباق الآية من اليهود والنّصارى باتباع النّبيِّ الأميّ الّذي يجدونَه مكتوبًا عندهم في التَّوراة والإنجيل، نقول: قد حصل مطلوبُنا في كونها تخاطب مشركهم وموحدهم، إذْ المعهودُ الذّكري عام في مشركهم وموحدهم.

[٢] الدّليل الثّاني، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[سبأ:٢٨]. والمعنى: إنّا أرسلناك يا محمّد للنّاس جميعًا، ولم نخصِّص إرسالَك بأهل مكة أو بالعرب أو بقوم دون غيرهم، وقد وُكِّد العموم لرفع توهّم المجاز أو تخصيص العموم بدليل غير مقارن لوقت الخطاب.

وأفادَ تركيبُ (وما أرسلناك إلا كافَّةً للناس) قصرَ حالة عموم الرِّسالة على (كاف الخطاب) الّتي ترجع على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله (أرسلناك) وهو قصر إضافي، أي: أرسلناك لعموم الناس دون تخصيص إرسالك بأهل مكة أو بالعرب أو بمن يجيئك يطلب الإيمان والإرشاد. وقال ابن عاشور: «ويقتضي ذلك إثبات

(١) ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج ٩، ص ١٣٩.

رسالته بدلالة الاقتضاء إذ لا يصدق ذلك القصر إلا إذا ثبت أصلُ رسالته، فاقتضى ذلك الرّد على المنكرين كلِّهم سواء من أنكرَ رِسالَته من أصلها ومن أنكر عمومها وزعم تخصيصها».[(١)]

[٣] الدّليل الثّالث، أنّ الله تعالى خاطب اليهود والنّصارى بقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوراة وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

وجهُ الدّلالة من الآية أنّ الله تعالى أمر اليهود والنّصارى الذي يجدون اسم النبيِّ الأميِّ مكتوبًا عندهم في التّوراة والإنجيل، أنْ يؤمنوا به وأنْ يعزّروه وأنْ يَنصروه وأنْ يتّبعوا كتابَهُ رجاءَ أن يُفلحوا، ولا يُرتَابُ هنا في أنّ القرآنَ نقل لنا ما شرعه الله تعالى لأهل الكتابين في التّوراة والإنجيل، وبالتالي فهم كُلِّفُوا بذلك في كتبهم، والقرآن إنما ذكّرهم به ونبّههم عليه، لا أنّ القرآن هو الذي أنشأ هذا الحكم لهم. والله تعالى إنما خاطب في التّوراة والإنجيل عموم أهل الكتاب، فلم يخصّ بالخطاب المشركين منهم دون الموحدين. وأهل الكتاب الذين خوطبوا باتباع النبي الأمي في التّوراة والإنجيل على قسمين:

القسم الأول، وهم الذين ماتوا قبل البعثة المُحمَّديّة ولم يدركوها، وهؤلاء لم يُكَلَّفُوا إلا التّصديق بنبيّنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإيمان به دون التزام شرعه، فإنه لم يكن قد بعث بعدُ.

والقسم الثاني، وهم الذين أدركوا البعثة، وهؤلاء قد كُلِّفوا مع التصديقِ بنبيّنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإيمانِ به التزامَ شرعه.

(١) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج ٢٢، ص٦٤.

الفلاح مقصور على اتّباع كتاب النّبيّ الأمّي.

ثم إنه تعالى قد قَصَرَ في الآية الفلاحَ على من آمَنَ به وعزره ونصره واتبع قرآنه (النّور الذي أنزل معه)، فإن تعريف المسند إليه والمسند في قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يفيد قصر من فعل ذلك على الفلاح دون غيره. وقد أُكّد هذا القصر بضمير الفصل (هم).

اتّباع النّبيّ الأمّيّ علّة اهتداءِ أهل الكتاب.

ثم إنّه -جلَّ ذكرُه- خاطب اليهود والنّصارى الذين أدركوا البِعثة بقوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨]، ولم يخصّ الخطاب طائفة منهم، وقال أبو حيّان: «ومعنى الاتّباع الاقتداء فيما جاء به اعتقادًا وقولاً وفعلاً". [(١)]

ووجه الدّلالة من الآية أن الله تعالى رَتَّبَ وصفَ الهِداية على الإيمان بالله ورسوله واتّباعه فيما أرسل به. قال البيضاويّ في تفسير قوله: " ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ جعل رجاء الاهتداء إثر الأمرين تنبيهًا على أنَّ من صَدَّقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعدّ في خطط الضّلالة".[(٢)] وقال الرازي: «بيّن تعالى أنّ من شرط حصول الرّحمة لأولئك المتّقين، كونهم متّبعين للرّسول النّبيّ الأمّيّ، حقّق في هذه الآية رسالتَه إلى الخلقِ بالكلّيّة".[(٣)]

وما ذكر في هذه الآيات كاف في نقض ضلالة **الإبراهيميّة** الحاكمة بنجاة أهل الكتابين الذين أدركوا البعثة.

---

(١) أبو حيان. البحر المحيط، مصدر سابق، ج ٥، ص ١٩٤ . ٤
(٢) البيضاوي، ناصر الدّين أبو سعيد عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٣، ص ٦٥، دار الفكر، بيروت.
(٣) الرازي. مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج ١٥، ص ٢٣.

إيرادٌ وانفصال:

فإذا قيل: استدلاّلُكم بالآيات على عدم نجاة اليهود والنّصارى الذين أدركوا البعثة لا يفيد إلا غلبة الظن، ومطلوبكم أن يفيد اليقين، وذلك أنّ العموم في (الذين يتبعون) و(الذين آمنوا) لا يفيد إلا ظَنِّيَّة استغراقه لجميع أفراد اليهود والنّصارى، إذ يحتمل أن تكون هذه العمومات مخصوصة بالموحدين من أهل الكتابين، وأنها خاصة بمشركي أهل الكتاب، وأما مؤمنوهم فغير مخاطبين بها، وذلك أنّ صيغ العموم عند الجمهور ظاهرة في العموم لاحتمال تخصيصها، فلا يُفيد دليلكم على جهة القطع واليقين إيجاب إلزام موحديهم بالشريعة المُحمَّديّة.

يُجاب: ننفصل عن إيرادكم من وجهين:

أوّلها، أنّ هذا العموم صحبه قرينةُ تواتر عموم الدّعوة وتواتر ادّعاء نبيّنا محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمومها لفظًا كما ذكر سابقًا، فالعموم هنا قطعي في استغراقه لجميع من اندرج تحت عموم أهل الكتابين ممن أتى بعد البعثة ويتأتّى منه فهم الخطاب، وهذا يستلزم أن يكون موحدوهم كمشركيهم مخاطبين بالآيات على جهة القطع.

والثاني، أنّ القرآن الكريم في هذه الآيات إنما صاغ لنا ما خاطب به اليهود والنّصارى في التَّوراة والإنجيل باللّغة العربيّة، وذكر فيه خطابه تعالى لعموم اليهود والنّصارى، ولو كان هذا الخطاب قد دخله التّخصيص في التَّوراة والإنجيل لعبرّ عنه القرآن بدقّة متناهية، فإنّ القرآن الكريم مصدِّقٌ لما بين يديه من التَّوراة والإنجيل من الأخبار الصادقةِ، ورسولُنا كمن سبق من الرُّسُلِ مأمورٌ بالبَلاغِ المبُين؛ قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤]. وعليه، فدلالة العام في الآيات قطعية، وأنها لا يمكن أن تخصص إلا بمخصص مقارنٍ للخطاب، ولا يتأتى تخصيصها بغير مقارِن للخطاب بحال.

وثالثُ الوجوه، أنّ عدم إرادةِ عموم أهل الكتاب الذين أدركوا البعثة يستلزم إغواءهم، والشارع الحكيم منزه عن إضلال الناس مع قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [آل عمران].

[٤] الدليل الرابع، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ... وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وجه الدّلالة من الآية أنه تعالى عهد إلى جميع الأنبياء بما في ذلك موسى وعيسى عليهما السّلام بالإيمان بنبيّنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونصرته إنْ هُم أدركوه، ونُصرته عليه السلام هي نصرة لشريعته، وأمرُه تعالى لهؤلاء الأنبياء شرعٌ لازم لهم، ومَعنى إلزام موسى وعيسى وغيرهم من أنبياء الله -عليهم السّلام- باتّباعه هو إيجاب التزامهم لشريعته، وهذا مستلزم ضرورةً لأنْ ينسَخَ شَرعُه شرائعَهم في بعض الأحكام.

والحجّة العقلية هنا أنَّ إيجابَ اتباعِهِ عليهم يستلزم المغايرة في بعض الأحكام الدّينيّة، وإلا لكان إيراد الآيات عبثًا، والقرآنُ عند المسلمين منزه عن العبث.

وحجّة الاستدلّال العقليّ هنا هي: السَّبر والتقسيم، ولدينا احتمالان لا ثالثَ لهما، فإما أن يلزم الأنبياء باتّباع محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العقائد، وهذا لا يتصور لأنّ أصول الاعتقاد واحدة بلا ريب، فلم يتبقَّ إلا إيجاب التزام الشريعة المُحمَّديّة، وذلك أنّ القسمة هنا حاصِرَةٌ، وفي القسمة الحاصِرة إذا أبطلت كل الاحتمالات إلا أحدها، تعيّن أن يكون حقّا.

وهـذا النمـط مـن الاسـتدلّال يسـميه المناطقـة بالقيـاس الشرطـي المنفصـل، وذلك أن يقـال: إيجـاب اتباعـه إمـا أن يكـون في العقائـد أو أن يكـون في الأحـكام العمليـة (الشريعـة)، والأول باطـل، فوجـب الحَمْـلُ عـلى الثـاني.

دفعُ إيهامٍ:

لا يُقـال: الأمـر في الآيـة خـاصٌ بالأنبيـاءِ دونَ أتباعهـم، فإنّـه تعـالى قـال عَقِـبَ ذلـك: ﴿فَمَـنْ تَـوَلَّى بَعْـدَ ذَلِـكَ فَأُولَـٰئِكَ هُـمُ الْفَاسِـقُونَ۝٨٢﴾، والأنبيـاء معصومـون من نكـث مواثيـق اللـه، والفسـق باتفـاق، فالعهـد الربـانيّ يتنـاول أتباعهـم بـلا أدنى ريـب. ويضـاف إلى ذلـك أنّ أيًّـا مـن الأنبيـاء لـن يـدرك البعثـة المُحمَّديّـة، فـكان هـذا ميثاقًـا لأممهـم مـن بعدهـم[1] ؛ قـال ابـن عاشـور: «وهـذا الميثـاق أخـذه اللـه عـلى جميـع الأنبيـاء، يؤذِنُهُـم فيـه بـأن رسـولًا يجـيء مصدقًـا لمـا معهـم، ويأمرهـم بالإيمـان بـه وبنـصره، والمقصـود مـن ذلـك إعـلام أممهـم بذلـك ليكـون الميثـاق محفوظًـا لـدى سـائرِ الأجيـال".[2]

وقـالَ تعـالى: ﴿وَمَـنْ يَبْتَـغِ غَـيْرَ الْإِسْـلَامِ دِينًـا فَلَـنْ يُقْبَـلَ مِنْـهُ وَهُـوَ فِي الْآخِـرَةِ مِـنَ الْخَاسِرِيـنَ ۝٨٥﴾ [آل عمـران:٧١]. ولا يقـال: الإسـلام محمـول هنـا عـلى صحّـة الاعتقـاد مـن توحيـد ونحـوه، فـإن أنبيـاء اللـه معصومـون مـن الـشرك والعقائـد الكفريـة باتفـاق، ولا شـك أنّهـم كانـوا عـلى شرائـعَ صحيحـة، وقـد تقـدّم أنّ الآيـة تسـتلزم نسـخ شرعـه لشرائعهـم، فـكان المـرادُ بالإسـلام في الآيـة - بالإضافـة إلى العقيـدة الصَّحيحـة - الشريعـةَ الخاتمـة الّتـي نسـخت الشَّرائـع السَّـابقة، وإلا فـلا فائـدةَ مـن الخطـابِ، والقرآنُ منـزهٌ عـنِ اللغـو، وقـال ابـن عاشـور في الآيـة: «وهـذا تأييـس لأهـل الكتـاب مـن النجـاة في الآخـرة، وردٌّ لقولهـم: نحـن عـلى ملّـة إبراهيـم، فنحـن ناجـون عـلى كل حـال".[3]

(١) ينظر: ابن تيمية. الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج٢، ص ١٢٠-١٢٣.
(٢) ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٩٨.
(٣) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٤٧.

[٥] الدليل الخامس، أنّه تعالى قال في يهود المدينة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾ [البقرة]. و"رسول" أي: مُرسَل، والآية نص في كونه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرسَلًا إلى أهل الكتاب برسالة، والرّسول هو محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرّسالة هي الرّسالة المُحمَّديّة: عقيدة وشريعة. فأخبرَ جلَ ثناؤه في الآية أنّ اليهود لمّا جاءهم نبيّنا محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتصديق ما في أيديهم من التَّوراة، بأنّه مرسل من الله إليهم، نبذ فريق منهم التَّوراة وراء ظهورهم حسدًا منهم له وبغيًا عليه.[١]

[٦] الدليل السادس، أنّ الإسلامَ بعد البعثة المُحمَّديّة مشروط بالتزام شريعته واتباعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝١٩ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝٢٠﴾ [آل عمران:١٩-٢٠]. وتدل الآيات على أنّ من لم يتلزم الشريعة المُحمَّديّة لا يسمى مسلمًا بعد البعثة وإن كان مقرًا بالتّوحيد واليوم الآخر، وهي تدلُّ على ذلك من وجوه:

أولها، أنه تعالى أمر نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾. دلت الآية بمنطوقها على أن من اتبعه قد أسلم وجهه لله، ومفهوم المخالفة منها أن من لم يتبعه لم يسلم وجهه لله.

الوجه الثاني، أنّ القرآن حض في الآيات أهل الكتاب وغيرهم على الدخول في الإسلام، فالاستفهام في قوله تعالى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾

(١) ينظر: الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي)، ط١، دار هجر، ج٢، ص ٣١١.

يدل على استبطاء دخولهم فيه، وهذا يستلزم أنهم لا يُسمَّوْن مسلمين بعد البعثة إلا بالتزام الشّريعة المُحمَّديّة. وقولُه عقب ذلك ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ يستلزم أنّهم على غير هدى إنْ لم يُسلموا ويلتزموا شريعته، ثم قال: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ فإنْ تَولوا عن التزام شريعتك فإنما وظيفتك أن تبلغهم وحسابهم علينا، فدل هذا كلُّه على أنّه عليه أن يبلِّغ أهلَ الكتابِ ما أمرهم به من الإسلام كما يبلِّغ الأمّيّين، وأنّ اللهَ يحاسبهم على ترك الإسلام كما يحاسبُ الأمّيّين.(١)

ولكلِّ ما سبق فالإسلام بعد البعثة والمذكور في قوله تعالى في أول الآيات ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ يتضمن الالتزام بالشريعة المُحمَّديّة، ولا يكتفى فيه بالتوحيد والإيمان بنبوة محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واليوم الآخر.

[٧] الدليل السابع، قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة:٥١]. وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١].

وجه الدّلالة من الآيات أنَّ الله سبحانَه وتعالى نهى المؤمنين عن موالاة اليهود والنّصارى، ولا ريبَ أنّ المراد باليهود والنّصارى هنا مَنْ جاء مِنهم بعد البِعثة، إذ لا يُتصور تَولي المسلم المحمّدي لهم قبل البعثة، والمتأمل يجد أنه تعالى قابل بين اليهود والنّصارى من جهة وبين المؤمنين من جهةٍ أُخرى، فاقْتضى ذلك ألّا يكون في زمرة المؤمنين بعد البعثة أحد من اليهود والنّصارى، والآياتُ لم تفرق بين موحدي أهل الكتاب ومشركيهم، ومع ذلك نَهى عن مُوالاتهم، وكيفَ يَنهى اللهُ عن موالاة الناجين الذين ارتضى دينهم! فلو أنّه تعالى قد أقرّهم على دينهم بعد البعثة لما نهانا عن موالاتهم.(٢)

(١) ينظر: ابن تيمية. الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج٢، ص ١٢٧.
(٢) ينظر: ابن تيمية، الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج٢، ص٢٧٨.

[٨] الدّليل الثّامن، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة:٣٣] و[الفتح:٢٨] و[الصف:٩]. والمعنى: ليظهر الإسلام على الأديان كلها.

وجه الدّلالة من الآية ظهور الإسلام على كلِّ الأديان، فـ (الدّين) اسم معرف بأل الّتي للاستغراق فأفادت عموم الأديان، فهي في معنى (كلِّ دين)، (كلّه) هنا مؤكّدة للعموم، فارتفعت دلالته من الظهور إلى القطع، فالعموم هنا لا يحتمل التّخصيص إلا بمخصِّص مقارنٍ للخطاب -كما تقدم-، وليس ثمّ.

فإن قيل (ال) في الدّين للعهد، والمعهود دينٌ معيّن لا عموم الأديان، أجيب: بأنّ الآية في المواضع الثّلاثة من القرآن وردت في سياق الحديث عن اليهود والنّصارى، وأديانهم مختلفة، فلزم عن ذلك الحمل على العموم.

وقد "عبرَّ عن الإسلام ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ "تنويهًا بفضله، وتعريضًا بأنّ ما هم عليه ليس بهدى ولا حق". [١]

[٩] الدّليل التّاسع، قوله تعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة:١٤٥]. يريد تعالى: ولئن جئت أهل الكتابِ بكُلِّ آيةٍ وبيّنةٍ على وجوب اتّباعهم لقبلَتِك ما اتّبعوها.

ووجه الدّلالة من الآية أنّ أهل الكتاب قد خوطبوا باستقبال الكعبة كقبلة جديدة، وترك استقبال بيت المقدِس أو المشرق كما نسب للنّصارى، وهذا نسخٌ لشريعتهم بلا ريب، بل إنّه تعالى قد وصف عدم قبولهم لنسخ القبلة وتحويلها بأنّه اتّباع للهوى، بل وصف مَن أقرّهم على قبلتهم بالظّلم! [٢]

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ١٧٣.
(٢) ينظر: ابن تيمية. الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٦٢-٢٦٣.

فدعواهم قائمة على «وجوب التزام أهل الكتاب لأحكام كتبهم»، وهذه موجبة كلية، وأُمروا في القرآن بترك قبلتهم واستقبال الكعبة، و"وجوب ترك قبلتهم" سالبة جزئية، ومن المتقرر عند العقلاء أنّ الموجبة الكلية تنقضها السالبة الجزئية عند اتحاد الموضوع والمحمول، فسقطت دعواهم.

[١٠] الدّليل العاشر، الآيات الدّالة بظاهرها على عموم الرِّسالة المُحمَّديّة والّتي عضّدها التّواتر.

ومن الآيات الدّالة على عموم الدّعوة بظاهر عمومها قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:١]. قال ابنُ عاشور:» وفي هذه الآية جمع بين التّنويه بشأن القرآن وأنّه منزّلٌ من اللّه وتنويهٌ بشأن النّبيءِ عليه الصّلاة والسّلام ورفعة منزلته عند اللّه وعموم رسالته". [١]
بل استدلّ الرازيّ بهذه الآية على أنّ النبيَّ محمّدا ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل، قال:« لفظ (العالَمين) يتناول جميع المخلوقات، فدَلَّت الآيةُ على أنّه رسولٌ للخلق إلى يوم القيامة، فوجب أن يكون خاتَمَ الأنبياء والرّسل ". [٢]

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝١٠٤﴾ [يوسف:١٠٤]. ومنها: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ [ص:٨٧] و[التكوير:٢٧]. ومنها: وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝٥٢﴾ [القلم:٥٢]. ومنها: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام:٩٠].
وهذه الآيات وإنْ كانت ظاهرة في العموم إلا أن التّواتر وقواطع القرآن قد عضّدتها فصارت نصًّا فيه لا يحتمل التخصيص أو التّأويل إلا بدليل متّصل به حالة الخطاب، وإلا لزم إضلال النّاس. [٣]

---

(١) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج ١٩، ص ٩.
(٢) الرازي. مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج ٢٤، ص ٤٠.
(٣) وينظر: العلائي، تلقيح الفهوم، مصدر سابق، ص ٢٣٠.

الفصل الثاني: نقض أبرز شبهات الإبراهيميّة الدّينيّة.

قد استفرغت جهدي في تتبع أهمَّ الشبهات الّتي طَعَنَ بها المستشرقون والحداثيّون العرب في عالميّة الرِّسالة المُحمَّديّة ونسخها لكل الشَّرائع السَّابقة، واقتصرتُ على ما استنطقوا به القرآن الكريم للتّأطير للإبراهيميّة، فألفيتُ جِماعَها يَرجع إلى الشّبهات التّالية:

أنّ القرآن سَوَّى بَينَ جَميعِ الأديان، فيجوز التَّعبد بأيٍّ منها.

أنّ القرآنَ امتدح بعض من أدرك البعثة من أهل الكتاب، وهذا مستلزمٌ لنجاتهم.

أنّ من أقام التَّوراة والإنجيل من أهل الكتاب بعد البعثة ناجٍ عند الله.

أنّ تصديق القرآن للتّوراة والإنجيل يستلزم عَدَمَ نسخه لها.

أنّ وصف التَّوراة والإنجيل بأنّ فيها هدى ونورًا وذمّ ترك التّحاكم إليها يستلزم عدم نسخها.

أنّ القرآن نزل بالعربية فهو كتاب خاص بالعرب.

أنّ الرِّسالة المُحمَّديّة خاصة بالعرب لكونه أرسل فيهم.

ولذا سأقوم في هذا المبحث بوضع شُبَهِهم على بِساطِ النّظر، ذاكرًا استدلّالاتهم بآي الكتاب، ومبيّنًا وجه الدّلالة منها، ثم سأقوم بنقضها وتوجيه الآيات تفسيريًّا، جاريًا على جادّة أهل العلم وقواعد نظرهم.

نقضُ شبهة: أنّ القرآن سَوَّى بَينَ جَميعِ الأديان، فيجوزُ التَّعبد بأيٍّ منها.

زعم دعاة **الإبراهيميّة** أنَّ اليهود والنّصارى والصّابئة المؤمنين بالله واليوم الآخر ناجون في الآخرة وإن لم يلتزموا بالشَّريعَةِ المحمّدي، وتَمَسَّكُوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنّصارى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢]. وتعتبر هذه الآية من أكثر الآيات مُتَمَسَّكًا عند دعاة **الإبراهيميّة**.

وكان أول من استدلّ بها فيما وصلنا المستشرق القبرصي الذي حرّر رسالةَ بولص الأنطاكي ووسّعها [1]، وتبعه عليها جزئيًا أو كليًا من حداثيّي العَرب: عبد العزيز جاويش في تفسيره «الهداية»، و"علي جمعة" و"عدنان إبراهيم" و "محمّد شحرور» و «محمد حبش» و"إسلام بحيري" وغيرهم.

أولًا، تقريرُ الشُّبهة.

وجه الدّلالة من الآية عندهم: أنّها سوَّت بين الأديان **الإبراهيميّة** الثّلاثة، في كونها حكمت على عموم (الذين هادوا) و(النّصارى) و(الصابئة) الذين آمنوا بالله واليوم الآخر بالنجاة يوم القيامة لمقتضى قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وزعموا أنّ الآية لم تفرّق بين من أدرك البعثة المُحمَّديّة من أهل الكتابين ومن لم يدركها، فكل من صَدَق عليه اسم «يهوديّ" أو "نصرانيّ" أو "صابئ" فهو نَاجٍ عند الله، وذلك أنّ (الذين هادوا) و(النّصارى) و(الصّابئين) صيغٌ تفيدُ العموم، فـ (الذين هادوا) عمومها في الاسم الموصول وصلته، وعموم (النّصارى) و(الصابئين) في (ال) الاستغراقيّة الدّاخلة على الجموع.

ومن دعاة **الإبراهيميّة** من اشترط بالإضافة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر الإيمان بنبوة محمّد ﷺ وإن كان لا يُوجب التزام الشّريعة المُحمَّديّة

(١) ابن تيمية، الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق ج٣، ص ١٢١.

عليهــم، ومنهــم مــن لم يشــترط الإيمــان بنبــوة محمّــد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصــلاً.

ثانيًا، نقضُ الشُّبهة.

ليُعلـم أولاً أنّ هـذه الآيـة إنمّـا سـيقت في سـورة البقـرة كالجملـة المعترضـة في خِضَمّ الـكلام عـلى ضـلالات بنـي إسرائيـل ومخازيهـم (الآيـات: ٥١-١٥٢)، فاقْتـضى المقـامُ إنصافًـا: أن ينبّـه تعـالى إلى إيمـان بعضهـم وحُسـنِ ديانتـه فقـال: ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَالَّذِيـنَ هَـادُوا وَالنّصـارى ... فَلَهُـمْ أَجْرُهُـمْ عِنْـدَ رَبِّهِـمْ وَلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِـمْ وَلَا هُـمْ يَحْزَنُـونَ﴾.

فالمقصـد مـن سَـوْقِ الآيـات (٤٠-١٦٢) -كـما ذكـر دِراز- كان دعـوةَ أهـلِ الكتـاب الّذيـن أدركـوا البعثـة المُحمَّديّـة دعـوةً خاصّـةً إلى تَـركِ باطِلِهـم، والدُّخـولِ في هـذا الدّيـن الحـقّ، وقـد ذكـر في طيـات هـذا المقصـد سَـالِفَةَ اليهـود منـذ بُعِـثَ فيهـم مـوسى -عليهـم السـلام (الآيـات: ٤٩-٧٤) [1]، فـأورد نموذجـين مِـن أهـلِ الكتـاب: نمـوذج مـن آمـن باللـه واليـوم الآخـر وعمـل صالحًـا -وهـم الأسـوة الحسـنة الذيـن ينبغـي أن يسـلك سـبيلهم -، ونمـوذج مـن عـادى أنبيـاءه وجحـد أحكامـه وحـرّف كتابـه ومـا حـاق بهـم مـن النّـكال الموجِـب للامتثـال.

وعليـه، فـلا معنـى هنـا لذِكـرِ إيمـانِ أَسـلافِهم بمحمّـد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنهـم لم يدركـوا البعثـة المُحمَّديّـة أصـلاً، وعليـه فقـصر دعـاة **الإبراهيميّة** لـشروط النجـاة عـلى مـا ذُكِـرَ في منطـوق الآيـة غـير ذي صلـة أصـلاً.

ولا يفوتـك أنّـه يجـب أن يُضـاف إلى جملـة شروط النّجـاة المذكـورة في منطـوق الآيـة شروطٌ مسـتقاةٌ مـن سـباق الآيـة ولحاقهـا، فـإن الـشّروط في الآيـة قطعًـا غـير محصـورة، فقـد ذكـر تعـالى في السِّـباقِ قتـلَ أسـلافهم للنبيّـين بغـير الحـق، والإيمـانُ بالأنبيـاء وتعظيمُهـم شرطٌ في صحّـة الإيمـان، وذكـر في اللحاق (في الآيـة ٧٩) تحريفهم

(١) دراز، محمّد عبد الله (٢٠٠٥م). النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم للنشر والتوزيع، ص ١٧٦ و٢٢٢.

للتّوراة، والإيمانُ بالكتب وتعظيمُها وترْكُ تحريفها شرط في صحّة الإيمان. وكل ذلك لم يذكر في منطوق الآية.

ثم ذكر تعالى: عَقِبَ ذِكرِ سالِفَةِ اليهود حالهم مع الرِّسالة المُحمَّديّة، فقال في يهود المدينة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة]. و"رسول" أي: مُرسَل، والآية نص في كونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرسَلاً إلى أهل الكتاب، فأخبرَ فيها جلَّ ثَناؤه أنّ اليهود لما جاءهم نبيّنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتصديق ما في أيديهم من التَّوراة، بأنّه مرسل من الله إليهم، نبذ فريق منهم التَّوراة وراء ظهورهم حسدًا منهم له وبغيًا عليه.[1]

وقد وضع تعالى معيارًا لاختبار اهتداء أهل الكتاب وهو اتخاذهم الكعبة المشرفة قبلةً لصلاتهم بدلاً من صخرة بيت المقدس في المسجد الأقصى، فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٣]، ثم قال مخاطبًا نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة:١٤٥]، فجعل امتناعهم عن استقبال الكعبة في الصلاة اتباعًا منهم للهوى -وقد تقدّم الكلام على الآية-.

ثانيًا، أنّ ما تواتر من ادّعاء نبيّنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمومِ الرِّسالة وما دلّت عليه قواطع القرآن من عموم الرِّسالة: مستلزمٌ لعدم نجاة اليهود والنّصارى الذين أدركوا البعثة المُحمَّديّة بعد قيام الحجة الرّساليّة عليهم ما لم يؤمنوا به ويلتزموا

(١) ينظر: الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي)، ط١، دار هجر، ج٢، ص ٣١١.

شرعـه. وعليـه، فـإنّ ظاهـر العمـوم الـذي اسـتدلّوا بـه وحكمـوا بمقتضـاه بنجـاة أهـل الكتابـين بعـد البعثـة معـارَضٌ بمـا قُطِـعَ بـه مـن عـدم نجاتهـم.

وبيـانُ ذلـك أصوليًـا: أنّ الحكـم بنجاتهـم وعـدم نجاتهـم قضيتـان متناقضتـان، ومعلـومٌ أنّ صـدقَ إحـدى القضتـين المتناقضتـين يسـتلزم كـذب الأخـرى ضرورة.

فالعمـوم في قولـه (الّذيـن هـادوا) و(النّصـارى) و(الصّابئـين) والمتبـوع بالحكـم بنجـاة مـن أدرك البعثـة مـن أهـل الكتـاب: معـارَضٌ بالحكـم القاطـع بعَـدَمِ نَجاتهـم والمسـتفاد مـما تواتـر ومـن قواطـع القـرآن الّتـي لا تحتمـل التّخصيـص أو التّأويـل، والعـام باتّفـاق أهـل اللغـة والأصـول يحتمـل التّخصيـص بدليـل أخـصّ قطعـيّ[١]، ويحتمـل التّأويـل بالقرينـة، فوجـب معرفيًـا إخـراج مـن أدرك البعثـة منهـم ممـن لم يلتـزم الشريعـة المُحمَّديّـة مـن مدلـول الآيـة عـبر أحـد طريقـين:

الأول، بتخصيـص عمـوم الآيـة وإخـراج مـن أدرك البعثـة ولم يسـلم مـن عمـوم الناجـين.

والثّـاني، بحمـل العمومـات فيهـا عـلى المجـاز بالقرينـة، فـلا يدخلـون في زمـرة الناجـين - كـما سـيأتي -.

وأحـد الطريقـين أو مجموعهـما متعـيّن وإلا لـزم اجتـماع النّقيضـين وهـو محـالٌ كـما تقـدم.

ثالثًا، التَّفسير الصَّحيح للآيات الّتي تمسّك بها دعاةُ الإبراهيميّة.

قـد تقـرر مـما سـبق أن اليهـود والنّصـارى بعـد البعثـة المُحمَّديّـة ملزمـون باتبـاع الشريعـة المُحمَّديّـة. والمفـسرون وإن اتفقـوا عـلى منـع حمـل الآيـة عـلى عمومهـا

(١) الحنفية يشترطون في مخصصات العام أن تكون قطعية لأنّ يرون العام قطعيا في دلالته على أفراده، فإذا خص أول مرة جاز تخصيصه ثانية بالدليل الظني، والجمهور على جواز تخصيص العام بالظني رأسا، لأن الأصل في العام أنّه ظني الدّلالة على أفراده إلا بقرينة.

إلا أنهم اختلفوا في توجيه المراد بـ (الذين هادوا) و(النّصارى) و(الصابئين) على أقوال هي:

القول الأول، أن يحمل عموم (الذين هادوا) على خصوص اليهود الذين لم يدركوا بعثة عيسى عليه السلام، وأن يحمل عموم (النّصارى) على الذين لم يدركوا البعثة المُحمَّديّة، وأن يحمل عموم (الصابئين) على لم يدركوا البعثة المُحمَّديّة. وهذا القول هو الأليق بسياق الآيات وموضوعها المحوري، وهو الذي رجحه ابن تيمية. [١]

القول الثاني، أن يحمل (الذين هادوا) و(النّصارى) و(الصابئين) على من أدرك محمّدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآمن به وأسلم. وهذا اختيار إسماعيل السُّدي.[٢] وتكون تسميتهم بذلك باعتبار ما كان، وهو مجاز مرسل، وهو ضرب من التأويل. وقال ابن عاشور: «ومعنى (مَن آمن باللهِ)، الإيمان الكامل وهو الإيمان برسالة محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقرينة المقام وقرينة قوله وعمل صالحا إذ شرط قبول الأعمال، الإيمان الشرعي لقوله تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد:١٧]. وقد عد عدم الإيمان برسالة محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنزلة عدم الإيمان بالله لأنّ مكابرة المعجزات - القائمة مقام تصديق الله تعالى للرسول - المتحدَّى بها يؤول إلى تكذيب الله تعالى في ذلك التصديق فذلك المكابر غير مؤمن بالله الإيمان الحق". [٣]

القول الثالث، وهو الجمع بين القولين الأول والثاني، وأنّه يراد بهم كلا الفريقين من صالحين: من آمن بالله واليوم الآخر قبل البعثة ومن أدرك البعثة

(١) ابن تيمية، الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق ج٣، ص ١٢١.
(٢) الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي)، ط١، رقم: ١١١٢، دار هجر.
(٣) ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١، ص ٥٢١.

فأسلم، وهو اختيار ابن عاشور.[١]

القول الرابع، أنَّ الآية منسوخة، وعلى ذلك فلا تكون محكمة. وقد ردّه ابن عاشور لأنّ الآية خبر والأخبار لا تنسخ، قال ابن عاشور: «وأما القائلون بأنها منسوخة، فأحسب أن تأويلها عندهم أن الله أمهلهم في أول تلقي دعوة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى أن ينظروا فلما عاندوا نسخها بقوله ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] لئلا يفضي قولهم إلى دعوى نسخ الخبر". [٢]

(١) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١، ص ٥٢١.
(٢) ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١، ص ٥٢١.

نقض شبهة: أنّ القرآن امتدح بعضَ من أدرك البعثة من أهل الكتاب،وهذا مستلزم لنجاتهم.

استدلّ دعاة **الإبراهيميّة** على أنَّ أهل الكتاب المؤمنين بالله واليوم الآخر ناجون في الآخرة وإن لم يلتزموا بالشَّريعَةِ المُحمَّديّة بقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران:١١٣-١١٥] .

وكان أول من استدلّ بها فيما وصلنا المستشرق القبرصي الذي حرّر رسالة بولص الأنطاكيّ ووسعها [(١)]، وتبعه على ذلك عدنان إبراهيم ومحمد حبش وغيرهما.

أولًا، تقرير الشُّبهة.

وجه الدّلالة من الآية عند دعاة **الإبراهيميّة** أنّ الله سبحانَه وتعالى ذكر طائفتَين مِن أهلِ الكِتابِ وخصَّ إحدَى الطّائفتين بالمَدحِ والثّناء وذكر لها صفاتٍ ثمان، ثم قال: ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ وهذا يستلزم أنّ هذه الطّائفة مِن أهلِ الكِتابِ الّتي مَدَحَها اللهُ – سبحانه وتعالى - ناجيةٌ عند الله تعالى طالما كانت مؤمنةً باللهِ واليَومِ الآخرِ وإن لم تلتزم شَرعَ نبيّنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . والآيةُ لم تُفرِّق بَينَ مَن أدرك البِعثَة ومن لم يدركها.

ثانيا، نقض الشُّبهة.

وهو من وجهين:

الأول، قال تعالى في الآية ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ﴾ فالمدح متعلق ببعض أهل الكتاب، ولا ريب أن من لم يلتزم الشريعة المُحمَّديّة بعد البعثة غيرُ داخل

(١) ابن تيمية، الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق ج٢، ص ٢٠١.

فيمن امتدح الله تعالى لأن الحكم بنجاتهم مناقض لما تواتر من ادّعاء نبيّنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعموم الرّسالة وما دلّت عليه قواطع القرآن من عدم نجاة اليهود والنّصارى الذين أدركوا البعثة المُحمَّديّة بعد قيام الحجة الرّساليّة عليهم.

والثاني، أنّ الله تعالى بينّ المراد بأهل الكتاب الذين امتدحهم في ذات السّورة بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران:١٩٩]. فها هو قد ذكر صفة تاسعة لم يذكرها سابقا في الصفات الثمان، فلزم عدم كفاية الصفات الثمان للنجاة إلا مع الإيمان بالقرآن، وعليه فالصفات الثمان ليست علّة تامة للنجاة إلا بضميمة ما ذكر في غيرها من صفات في باقي الآيات. وقد قال تعالى في السّورة عينها: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران:٨٥]، وقد تقدم تفسيرها، فوجب حينئذ إضافة إيجاب التزام الإسلام للصفات التسع السَّابقة كشرط للنجاة.

ثالثًا، التَّفسير الصَّحيح للآيات الّتي تمسّك بها دعاة الإبراهيميّة.

اتفق المفسرون على عدم إدخال غير الملتزم بالشريعة المُحمَّديّة في مدلول الآية، إلا أنهم اختلفوا في توجيه المراد ببعض أهل الكتاب فيها على قولين:

القول الأول: أنّ المراد بهم أهل الكتاب الذين أسلموا بعد البعثة المُحمَّديّة؛ قال ابن عاشور: «وإطلاقُ أهْلِ الكِتابِ عَلَيْهِمْ مَجازٌ بِاعْتِبارِ ما كانَ كَقَوْلِهِ تَعالى ﴿وآتُوا اليَتامى أمْوالَهُمْ﴾ [النساء: ٢] لأنَّهم صارُوا مِنَ المُسْلِمِينَ".[1] وقال ابن كثير: «والمشهور عن كثير من المفسرين -كما ذكره محمّد بن إسحاق وغيره،

(١) ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٣، ص ١٩٥.

ورواه العوفي عن ابن عباس-أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وغيرهم، أي: لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا". [١] ومعنى كونهم ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: يتلوم القرآن الكريم، فهو وصف لهم بعد التزامهم بالإسلام وكتابه وشرائعه.

القول الثاني: أن المراد بأهل الكتاب في الآيات أهل القرآن لأنّهم من أهل كتاب، وأنّهم ليسوا كاليهود، وهو مروي عن ابن مسعود. [٢] وعلى هذا على التأويل تَمّ حمل (أهل الكتاب) على اصطلاح التخاطب اللغوي لا العرفي، فإن (أهل الكتاب) في الحقيقة العرفية يطلق على اليهود والنّصارى أهل التَّوراة والإنجيل. والأصل أن تقدم الحقيقة العرفية على الحقيقة اللغوية، وتأويل ابن مسعود على هذا القول هو حمل للآية على المجاز العرفي.

(١) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٥.

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٩٢.

نقض شبهة: أن من أقام التَّوراة والإنجيل من أهل الكتاب بعد البعثة ناج عند الله.

استدلّ بعض حداثيي العرب كعدنان إبراهيم بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوراة وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة:٦٨]، على أنّ من أقام التَّوراة والإنجيل من أهل الكتاب ليس ملزما بالتزام الشريعة المُحمَّديّة.

أولًا، تقرير الشُّبهة.

وجهُ الدّلالة عندهم مفهوم المخالفة من الآية، وتقريره: أنّه يعتدّ بشريعة أهل الكتاب إن أقاموا التَّوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربّهم، وهذا معنى كونهم: على شيء. وهذا يستلزم أنّه لا يجب عليهم التزام الشريعة المُحمَّديّة، طالما التزموا التَّوراة والإنجيل. وحمل قوله تعالى ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على كتب باقي أنبيائهم.

ثانيا، نقض الشُّبهة.

تقويض الشُّبهة من أوجه ثلاثة:

الأول، أن إخراج القرآنَ الكريم من عموم قوله تعالى ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تحكم محض لا دليل عليه، وسواء قيل إن المراد بما أنزل الله إليهم: القرآن الكريم، أو أن المراد عموم ما أنزل من كتب، فالقرآن لا يخرج من عموم الآية بحال، وعليه فهم ملزمون بشرائعه وأحكامه. وكيف إذا عُلِمَ أنّه تعالى قال في الآية الّتي تسبقها: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧]، وهذا قطعي في كون المنزل في الآية هو القرآن. وهذا يظهر للمنصف كيف يجتزئ عدنان إبراهيم وأمثاله القرآن من

سياقه، ويفسرونه بأهوائهم.

والثاني، أنَّه يلزم من استدلّالهم ألا يكون الإنجيل ناسخا لبعض أحكام التَّوراة، وأن من أقام التَّوراة ليس ملزما بأحكام الإنجيل، وهذا مخالف لما أحكمه الكتاب في قول عيسى -عليه السلام-: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوراة وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران:٥٠]، واللازم باطل فيبطل به الملزوم، فيسقط استدلّالهم رأسا.

والثالث، أنّ مفهوم مخالفة الآية، وهو نجاة اليهود والنّصارى الذين أدركوا البعثة وإن لم يلتزموا شرائع القرآن: مناقض لما يستلزمه ما تواتر من ادّعاء نبيّنا محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعموم الرّسالة، وهو عدم نجاة اليهود والنّصارى الذين وجدوا بعد البعثة المُحمَّديّة بعد قيام الحجة الرّساليّة عليهم، وهو مخالف كذلك لمنطوق قواطع القرآن، والمنطوق يقدم على المفهوم حال التعارض.

ثالثًا، التَّفسير الصَّحيح للآية.

ذهب جمهور المفسّرين إلى أنّ المراد بقوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ القرآنُ الكريم، وذهب البيضاويُّ إلى أنّ المراد به جميع الكتاب السماوية الّتي نزلت عليهم، والحقيقة أنّ القول الثاني يتضمّن القول الأول؛ فإن القرآن من الكتب الّتي أنزلت عليهم.

وقال ابن عاشور: «والمَقْصُودُ مِنَ الآيَةِ إنمّا هو إقامَةُ التَّوراة والإنْجيلِ عِنْدَ مَجيءِ القُرْآنِ بِالِاعْتِرافِ بِما في التَّوراة والإنْجيلِ مِنَ التَّبْشيرِ بمحمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتّى يُؤْمِنُوا بِهِ وبِما أُنْزِلَ عَلَيْهِ".[1] بل في الآية دليل على إيجاب تحكيم اليهود للإنجيل، وهذا يقتضي نسخ بعض أحكام شريعتهم بالإنجيل. فإن الإنجيل مما أنزل على اليهود من ربّهم.

(١) ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج ٥، ص ١٥٩..

نقض شبهة: أن تصديق القرآن للتّوراة والإنجيل يستلزم عدم نسخه لها.

استدلّ المستشرق القبرصي بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة:٤٨] ونحوها من الآيات على نجاة من تمسك بالإنجيل بعد البعثة وأنّه لا يجب عليه التزام شرائع القرآن.[١]

أولًا، تقرير الشُّبهة.

وجه الدّلالة من الآيات عندهم أنّ الإسلام عظم كتب أهل الكتاب الّتي بين أيديهم، فإنه وصف القرآن بأنه مصدّق للتوراة والإنجيل ووصف التَّوراة والإنجيل بأن فيها هدًى ونورًا، وهذا يدل على صحتها، وهذا مستلزم لنجاة أهل الكتاب إن هم تمسكوا بها وتعبدوا بأحكامها.

ثانيا، نقض الشُّبهة.

وتقويض الشُّبهة من وجهين:

الأول، أنَّ التصديق بالكتاب السَّابق لا يستلزم عدم نسخ أحكامه. وبيان ذلك أنّه تعالى قال على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوراة وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران]. والآية نص في أن التصديق بالكتاب السَّابق لا يمنع نسخَ بعض أحكامه، فعيسى - عليه السلام - كان مصدّقا لما بين يديه من التَّوراة، ومع ذلك فقد نسخ إنجيلُه بعض شرائع التَّوراة؛ قال ابن عاشور: «النّسخ لا يُنافي التَّصْدِيقَ . . . وانْحَصَرَتْ شَرِيعَةُ عِيسى في إحْياءِ أحْكامِ التَّوراة وما تَرَكُوهُ فِيها وهو في هذا كَغَيْرِهِ مِن أنبياءِ بني إسرائيلَ، وفي تَحْلِيلِ بَعْضِ ما حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَعْيًا لِحالِهِمْ في أزْمِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وبِهَذا كان رَسُولاً». [٢]

(١) ينظر: ابن تيمية، الجواب الصّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٦٨.
(٢) ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٣، ص ١٠٣.

الثاني، أنّ تمام الآية: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾. ومن هيمنة القرآن على الكتب السَّابقة أنه يقرر ما فيه من صواب، وينسخ بعض شرائعها ويصحح ما حرّف فيها. ونظيره قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح:٢٨]، فالإسلام ظاهر على غيره من الأديان ومنها اليهوديّة والنّصرانيّة.

إيراد وانفصال:

فإذا قيل: ذهب بعض علماء المسلمين إلى القول بعدم تحريف التَّوراة والإنجيل، وأن التّحريف إنما طال معانيها دون ألفاظها، وهذا يستلزم جواز التَّعبد بها.

يجاب: صحّة الكتاب السَّابق لا تستلزم عدم إمكان نسخه، فقد ينسخ الله تعالى بالكتاب المتأخر بعض أحكام الكتاب المتقدم وإن كانت صحيحة. يضاف إلى ذلك أنّ الكتاب المتأخر قد يأتي بأحكامٍ جَديدَةٍ لم تكن في المتقدم، ومثاله ما جاءَ به القرآنُ من إيجابِ عموم الرِّسالة المُحمَّديّة على جميع البشر، وهذا مستلزم لنسخ إيجاب اتباعهم لكتبهم السَّابقة.

ثالثًا، التَّفسير الصَّحيح للآية.

المراد بتصديق القرآن للكتب السَّابقة هو أنَّه يخبر بصدق بعض ما في التَّوراة والإنجيل من الشَّرائع مقررًا لها، وهو كذلك مهيمن عليها ناسخ لبعض شرائعها [١]، وإلا فما معنى كون القرآن مهيمنا على التَّوراة والإنجيل إلا أن ينسخ بعض أحكامها أو يصحح بعض ما حرّف فيها؟!

(١) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٦، ص ٢٢١.

نقضُ شبهة: أنّ وصف التَّوراة والإنجيل بأنّ فيها هدى ونورًا، وذمّ ترك التّحاكم إليها يستلزم عدم نسخها.

استدلّ دعاة **الإبراهيميّة** بأنّ القرآن وصف التَّوراة والإنجيل بأنَّ فيها هدًى ونورًا وأنّه ذمّ ترك تحاكمهم إليها بعد البعثة المُحمَّديّة، وهذا يستلزم عدم نسخها وصحّة التَّعبد بها.

وقد استدلّوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوراة فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٤] وقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوراة وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة:٤٦]. واستدلّوا بأنّ الله تعالى ذم ترك التّحاكم إليها بقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوراة فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة:٤٣]، وقوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة:٤٧].

أولًا، تقرير الشُّبهة.

وجه الدّلالة من الآيات أنّه تعالى وصف التَّوراة والإنجيل بأنّ فيها هدًى ونورًا، وأنّه ذمّ ترك التّحاكم إليها في زمان البعثة المُحمَّديّة، وهذا يستلزم صحتها، وصحّة التَّعبد بها وعدم نسخ القرآن لها، إذ كيف ينسخها وهو يمتدحها بل ويحيل إليها؟!

ثانيا، الرّد على الشُّبهة:

يجاب على الشُّبهة من وجوه:

الأول، أنّ لا يلزم من الأمر بالتّحاكم إليها، الحكم بصحتها بالكامل، فإنّه تعالى قد أثبت في كتابه - بل ومن ذات السّورة الّتي استدلّوا بها - أنّ التحريف قد طال

التَّوراة، ومن ذلك قولُه تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة:١٣]، وقولُه: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة:٤١]. وقد قيل: إنّ يد التّحريف قد طالت بعضَ ألفاظِه، وقيل: يد التّحريف قد طالت بعض النّسخ دون البعض الآخر، والنّسخُ الّتي لم تحرّف هي الّتي أحال عليها القرآن وأَمَرَ أهلَ الكتابِ أن يتحاكموا إليها. وقيل: إنّما حُرِّفَت معانيها ولم تحرَّف ألفاظُها. وعلى كل الأحوال: هذا التحريف ثابتٌ قطعًا سواء حملناه على تحريف المعاني أو تحريف ألفاظ بعض النّسخ أو كلّها.

والّذي ينبغي أن يُقطَعُ به: أنّ المواضع الّتي أمرَ القرآنُ فيها أهلَ الكتابِ بالتّحاكم إلى التَّوراة والإنجيل بل ذم عدم التحاكم إليها فيها: لا بد فيها من شرطين:

الأول، ألاّ تكون قد حرّفت بأي وجه كان، سواء تعلّقت بالتّوحيد ودلائل نبوّة نبيّنا محمّد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والّتي ذكرها القرآن، أو تعلّقت بالأحكامِ العملية. ومما أمرهم به تعالى في القرآن مما لم يحرف: توحيد الله تعالى واتّباعُ النبي الأمي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي يجدونه مكتوبا عنده في التَّوراة والإنجيل.

الثاني، وهو خاص بالأحكام العَمَليّة، وهو ألاّ تكون منسوخةً. ومثال ما أقرته شريعتنا ولم تنسخه: الحكم برجم الزاني المحصن؛ فإنه ثابت بشريعتهم وأقرّته شريعتنا ولم تنسخه، ومما يشهد على صدق إحالة القرآن له وجوده في التَّوراة إلى يومنا هذه؛ جاء في سفر التثنية: « إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعًا مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةِ بَعْل، يُقْتَلُ الاثْنَانِ: الرَّجُلُ الْمُضْطَجِعُ مَعَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ" (سفر التثنية ٢٢:٢٢). ومما نسخه القرآن من شرائعهم استقبال بيت المقدس في الصّلاة -كما مرّ-، فهذا لا يجوز أن يكون القرآن قد أحال إلى كتب أهل الكتاب فيه.

ويقول ابن تيمية: «فإن قيل: فإذا كانت الكتب المتقدمة منسوخة فلماذا ذُمّ أهل الكتاب على ترك الحكم بما أنزل الله منها؟ قيل: النّسخ لم يقع إلا في قليل من الشَّرائع، وإلا فالإخبار عن الله وعن اليوم الآخر وغير ذلك لا نسخ فيه، وكذلك الدّين الجامع والشّرائع الكليّة لا نسخ فيها وهو سبحانه ذمهم على

تـرك اتّبـاع الكتـاب الأول، لأن أهـل الكتـاب كفـروا مـن وجهـين مـن جهـة تبديلهـم الكتـاب الأول، وتـرك الإيمـان والعمـل ببعضـه، ومـن جهـة تكذيبهـم بالكتـاب الثـاني: وهـو القـرآن".[1]

وقـال التّفتـازانيّ: "نقـول هـما هـدًى للنّـاس قبـل نـزول القـرآن"، أي: فيـما لم ينسـخه القـرآن، " أو هـدًى لهـم إلى الإيمـانِ بمحمّـد عليـه السـلام والاتّبـاع لشريعتـه لمـا فيهـما مـن البشـارة ببعثتـه والإنبـاء عـن الاهتـداء بمتابعتـه".[2]

الثـاني، أنّ هـذا التّصديـق لكتـب أهـل الكتـاب خـاصٌ بزمـان النّبـيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمـا بعـد ذلـك: فـلا يُـدرَى مـا حُـرِّفَ مـن هـذه الكتـب ومـا بقـي عـلى أصـل صحّتـه، خاصـة إذا علـم أنّ مـا يسـميه النّصـارى بالإنجيـل اليـوم هـو عبـارة عـن مرويـات عـن أربعـة مـن أتبـاع عيسـى -عليـه السـلام- ومنهـم مـن لم يلقَـهُ أصـلًا، فضـلًا عـن أنّـه لا يوجـد اليـوم نسـخة للإنجيـل باللّغـة الآراميـة، لغـةِ عيسـى -عليـه السـلام-. ويُضاف إلى ذلـك التّناقـضُ الواقـع في نُسـخ التَّـوراة والإنجيـل؛ يقـول ابـنُ تيميّـة: « والقـرآنُ والسّـنة المتواتـرة يـدلان عـلى أن التَّـوراة والإنجيـل الموجوديـن في زمـن النبـيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهـما مـا أنزلـه اللـه عـزّ وجـلّ، والجـزم بتبديـل ذلـك في جميـع النّسـخ الّتـي في العـالم متعـذر ... ولا يمكـن أحـدًا مـن أهـل الكتـاب أن يدعـي أنّ كل نسـخة في العـالم بجميـع الألسـنة مـن الكتـب متفقـةٌ عـلى لفـظ واحـد ... وقـد رأيناهـا مختلفـة في الألفـاظ اختلافًـا بينًـا"، ثـم ذكـر طرفًـا مـن تناقضهـا.[3] وهـذا مـا يثبتـه اليـوم علـماء النقـد النّصيّ الكتـابيّ.

الثّالـث، أنّـه تعـالى قـال عقـب هـذه الآيـات: ﴿وَأَنْزَلْنَـا إِلَيْـكَ الْكِتَـابَ بِالْحَـقِّ مُصَدِّقًـا لِمَـا بَـيْنَ يَدَيْـهِ مِـنَ الْكِتَـابِ وَمُهَيْمِنًـا عَلَيْـهِ﴾ [المائـدة:٤٨]. ومعنـى كونـه مهيمنًـا عليـه، أي: مؤتمنًـا عليـه، ومـن هيمنـة القـرآن عـلى الكتـب السّـابقة أنـه يقـرِّر

(١) ابن تيمية، الجواب الصَّحيح، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٤٩.
(٢) التفتازاني. شرح المقاصد في علم الكلام، مصدر سابق، ج٢، ص ١٩١.
(٣) ابن تيمية، الجواب الصَّحيح، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٤٩.

ما فيها من صواب، وينسخ بعض شرائعها ويصحح ما حرّف فيها -كما تقدّم-.

[فائدة] نقل ابن تيمية أقوال العلماء في تحريف كتب أهل الكتاب، فقال: "ثم من هؤلاء من زعم أن كثيراً مما في التَّوراة أو الإنجيل باطلٌ ليس من كلام الله، ومنهم من قال بل ذلك قليل، وقيل لم يحرِّف أحدٌ شيئًا من حروف الكتب وإنما حرفوا معانيها بالتّأويل، وهذان القولان قال كلا منهما كثير من المسلمين، والصَّحيح القول الثالث: وهو أنّ في الأرض نسخًا صحيحة وبقيت إلى عهد النبي ونسخًا كثيرة محرفة، ومن قال أنّه لم يُحرّف شيء من النّسخ فقد قال ما لا يمكنه نفيه، ومن قال جميع النّسخ بعد النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُرّفت فقد قال ما يعلم أنّه خطأ، والقرآن يأمرهم أنْ يحكموا بما أنزل الله في التَّوراة والإنجيل ويُخبر أنّ فيهما حكمه، وليس في القرآن خبرٌ أنّهم غيروا جميع النّسخ".[1]

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢، ص ٨٩.

نقضُ شبهة: أنّ القرآن نَزَل بالعربيّة فهو خاص بالعرب.

استدلّ بولص الأنطاكيّ ومِن بعدِه المستشرق القبرصي الذي هذّب رسالته على خصوصيّة رسالةِ نبيّنا محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأهلِ اللسان العربيّ دون غيرهم من الأمم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢]، وقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٥] وقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤]. [١]

أولًا، تقريرُ الشُّبهة.

نَزَلَ القرآن باللغةِ العربيّة ونُزوله بها لدليلٌ على أنّه خاص بالعرب، وأنّه لا يلزم غيرهم من الأمم. فإنّ اللهَ عدلٌ، و"ليسَ من عدله أن يُطالب يوم القيامة أمةً باتّباع إنسان لم يأت إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم، ولا من جهة داع من قِبَلِه". [٢]

ثانيًا، نقضُ الشُّبهة.

الرّد على الشُّبهة من وجوه:

أوّلها، أنّ الحكمة في أنّ يبعث اللهُ تعالى رسلَه بألسنة أقوامهم: أن يُفهَمَ عنه كلامُه على أبلغ وجه وأبينه، وليكون هو أيضًا أقربَ ليُفهم عنهم جميع مقاصد كلامهم "في الموافقة والمخالفة وإزاحة الأعذار والعلل والأجوبةِ عن الشبهاتِ المتعارضة وإيضاح البراهين القاطعة"؛ فإن مقصود الرِّسالة إنّما هو البيان والإرشاد، وهو مع اتّحاد الّلغة أقرب؛ قال القرافيّ: "وإنّما أمر جماعةً من

---

(١) ينظر: القرافي، أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي شهاب الدّين أبو العباس (١٩٨٧م). الأجوبة الفاخرة عن الأجوبة الأسئلة الفاجرة (تحقيق: بكر زكي عوض)، ط ٢، ص ٦٩-٧٠، شركة سعيد رأفت للطباعة.
وينظر: ابن تيمية، الجواب الصَّحيح، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٢.

(٢) ينظر: ابن تيمية، الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج١، ص ١٢٣.

الرسل عليهم السلام بالقتالِ بعد اليأس من النّفع بالبيان. فإذا تقررت نبوة النّبيّ في قومه قامت الحجة على غيرهم، فإن أقارب الإنسان ومخالطيه المطّلعين على حاله والعارفين بوجوه الطّعن عليه أكثر من غيرهم إذا سلموا ووافقوا، فغيرهم أولى أن يسلم ويوافق ".[١]

ثانيها، أنّه ثمّة فرق بين قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤] وبين قولك: (وما أرسلنا من رسولٍ إلا لقومه)، فالقول الثاني هو المفيد لاختصاص الرِّسالة بِهِم لا الأوّل.[٢]

ثالثها، أن التَّوراة نزلت باللسان العبرانيّ، وعليه فلا تلزم أحكام التَّوراة النّصارى من غير بني إسرائيل، وهو خلاف المتقرر عندهم، وكذلك الإنجيل فإنه لا يوجد بالعبريّة بل الموجود ترجمته، وعليه فهو غير لازمٍ لأحد، بل وكل من الكتابين لا يلزم النّصارى من غير بني إسرائيل كالأقباط والحبشة، وأهل أوروبا، ... الخ.

ثالثًا، التَّفسير الصَّحيح للآيات.

أما الآيات المتعلقة بنزول القرآن بالعربيّة، فيُقال: إنَّ إنزال القرآن بالعربية لا يدلُّ على خصوص بعثَةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعَرَبِ دون غيرهم من الأمم، فإنَّ العرب مَتَى عَقَلوا القرآن وفَهِمُوه: أمكنهم أن يُفهِمُوه غيرَهم؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢]، فالنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُزكِّي قومَه العَرَبَ ويعلمُهم الكتابَ والحِكمَةَ وهم يَنشرُونَ دَعوَتَه ويَبُثُّونَ حكمتَه في الأمم.

(١) ينظر: القرافي. الأجوبة الفاخرة عن الأجوبة الأسئلة الفاجرة، مصدر سابق، ص ٧١.
(٢) ينظر: القرافي. الأجوبة الفاخرة عن الأجوبة الأسئلة الفاجرة، مصدر سابق، ص ٧١.

نقضُ شبهة: تخصيصِ الرِّسالة المُحمَّديّة بالعرب لكونِه أُرسِلَ فيهم.

استدلّ بولص الأنطاكيّ ومِن بعدِه المستشرقُ القبرصيّ الذي هذب رسالَتَهُ على خصوصية رسالة نبيّنا محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأهل الجاهليّة من العرب دون غيرهم من الأمم بقوله تعالى:﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ [البقرة:١٥١] وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة:١٦٤] وقوله: ﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [السجدة:٣]، وقوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝٦﴾ [يس:٦]، وقوله ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾[النحل: ٣٦].[1]

أولًا، تقريرُ الشُّبهة.

وجه الدّلالة من الآيات أنّها دلّت بمفهوم مخالفتها على أن الله تعالى لم يبعث نبيَّه محمّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهل الكتاب، وإنما بعثه إلى الذين لم يأتهم رسول ولا نذير، فلا يلزمُ أهل الكتاب اتّباعه، قالوا: "لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله، خاطبونا بألسنتنا، وأنذرونا بديننا الّذي نحن متمسكون به يومنا هذا، وسلموا إلينا التَّوراة والإنجيل بلغاتنا، على ما يشهد لهم هذا الكتاب الذي أتى به هذا الرجل" يعنون نبيّنا محمّدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[2]

ثانيا، نقض الشُّبهة.

تُقوّضُ الشُّبهة من وجوه عدّة، منها:

الأوّل، أنّ نتيجة استدلّالهم مناقضةٌ لما عُلم من الدّين بالضّرورة من عموم دعوته بالفعل، وتواترِ ادعائِه لذلك، مع ما ثَبَتَ من قواطع القرآن وما أجمعت

(١) ينظر: القرافي. الأجوبة الفاخرة عن الأجوبة الأسئلة الفاجرة، مصدر سابق، ص ٦٩.
وينظر: ابن تيمية، الجواب الصَّحيح، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢١-١٢٢.

(٢) ينظر: ابن تيمية، الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٦٨.

عليـه الأمـة.

الثّـاني، وهـو حجّـة إلزاميـة، وهـي أنّ اللـه تعـالى قـال لنبيـه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشـعراء:٢١٤]، وهـذا يسـتلزم عـلى وِفـقِ اسـتدلّالاتهم أن تكـون دعـوة النبـي ﷺ خاصَّـةً بقريـش دون غيرهـم مـن قبائـل العـرب. ونظـيره قولـه تعـالى لنبيّـه ﷺ ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعـام:٩٢]، فإنـه مسـتلزم لأنّ تكـون الدعـوةُ خاصَّـةً بأهـل مكـة ومـن حولَهـا مـن العـرب دون عـرب اليمـن وعـرب الشـام وغيرهـم، وهـم لا يلتزمـون ذلـك فسـقط اسـتدلّالهم رأسًـا، وذلـك أنّ بطـلان الـلازم يسـتلزم بطـلان الملـزوم.

الثّـالـث، أنّـه ومـع التَّنَـزُّل الجـدليّ بـأنّ بعـض مـا اسـتدلّوا بـه يفيـد قـصر الرِّسـالة عـلى العـرب، يجـاب: هـو اسـتدلّال بمفهـوم مخالفـة بعـض الآيـات، وهـو مخالـف للمقطـوع عـلى صدقـه مـن منطـوق غيرهـا مـن الآيـات، وإذا خالـف المنطـوق الصّريح القطعـيّ مفهـوم المخالفـة، ردّ مفهـوم المخالفـة باتفـاق.

ثالثًا، التَّفسير الصَّحيح للآيات.

أمـا الآيـات المتعلقـة بإرسـاله للعـرب فهـي مـن قبيـل مرحليّـة الدعـوة وبيـان أولويّاتهـا بمـا يحقـق المصلحـة الدعويـة، إذ أُمِـرَ النبـي ﷺ أولاً بنذارة عشـيرته الأقربـين، ثـم أُمِـرَ بدعـوة أم القـرى ومَـن حولهـا مـن العـرب، ثـم أُمِـرَ بدعـوة النـاس كافّـة. [1] وهـذا تقديـمُ تَراتبيّـةٍ مرحليَّـةٍ وتقديـم أولويّـة لا تقديـم قـصر، عـلى أنّ الأمـر بدعـوة الأخـص لا يسـتلزم نفـي دعـوة الأعـم، قـال ابـن كثـير: «وهـذه النـذارة الخاصـة لا تنـافي العامـة، بـل هـي فـرد مـن أجزائهـا". [2] ومـما هـو متقـرر أصوليـا أنّ ذكـر الفـرد مـن أفـراد العمـوم لا يخصـص.

---

(١) ينظر: ابن تيمية، الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج١، ص ٣٨٣.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج ٦، ص ١٦٦.

فإن قيل: ما معنى تخصيص العرب بالذكر في مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة:١٦٤]، يجاب: تخصيصهم بالذكر غرضُهُ إظهار المنّة على العرب، وعليه فلا مفهوم مخالفة لها. [١] ومن المعلوم أن ضابط العمل بمفهوم المخالفة ألّا يَظهَرَ لتَخصِيصِ المنطوق بالذِّكرِ فائدةٌ غير نفي الحكم عن المسكوت عنه، بخلاف ما إذا ظهرت له فائدة،[٢] والفائدة ظاهرة هنا وهي الامتنان. على أنّ الله تعالى قد خص اليهود والنّصارى بالذكر في كتابه، كما في قوله: ﴿يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٠]، فهل يقول عاقل إن الأمر بذِكرِ نِعَمِ الله خاصٌ بهم؟! لكن يقال: خصهم بالذكر لمعنًى اقتضى ذلك. [٣]

(١) ينظر: القرافي. الأجوبة الفاخرة عن الأجوبة الأسئلة الفاجرة، مصدر سابق، ص ٦٩.
وينظر: ابن تيمية، الجواب الصَّحيح، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢١-١٢٢.
(٢) ينظر: ابن أمير حاج، أبو عبد الله، شمس الدّين محمّد بن محمّد بن محمّد المعروف (١٩٨٢). التقرير والتحبير، ط٢، ج١، ص ١١٦، دار الكتب العلمية، بيروت.
(٣) ينظر: القرافي. الأجوبة الفاخرة عن الأجوبة الأسئلة الفاجرة، مصدر سابق، ص ٧٤-٧٦.
وينظر: ابن تيمية، الجواب الصَّحيح، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢١-١٢٢.

الفصل الثّالث: مثارات الغلط المنهجي عند دعاة الإبراهيميّة الدّينية.

عُنيت هذه الدّراسة في فصلها الثاني بذكر الشُّبَهِ الّتي أثارها دعاة **الإبراهيميّة**. والمتتبعُ لاستدلّالاتهم يجد أنّ مثارات الغلط فيها ترجع لأمرين اثنين: قصورهم المعرفي وخيانتهم العلمية.

أولاً، قد تجلّى قصورهم المعرفيّ ومخالفتهم لمنهج النظر الأصوليّ الصَّحيح في النصوص الشرعية عبرَ النّقاط التّالية:

(١) استبعادهم لأحدِ مصادرِ المعرفة اليقينيّة وهو التّواتر، من خلال إغفالهم لما تواتر من عموم الرِّسالة المُحمَّديّة وادّعاء نبيّنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمومها لفظًا ومعنى، وهم مع ذلك مضطربون معرفيًّا، إذ أعملوا التّواتر في قبولهم ثبوت القرآن أولاً، وردّوا ما تواترَ من عمومِ الرّسالة.

(٢) إهمالهم لحجيّة الإجماع، بردهم لما أجمعت عليه الأمّة.

(٣) تقديمهم لما هو ظنّي الدّلالة على ما هو قطعيّ في دلالته عند التّعارض، كتقديم بعض ما ظاهره العموم على الأدلّة الخاصّة القاطعة، بأنْ تواردَا على محلٍ واحد.

(٤) اتّباعهم للمتشابه من الآيات، دون اعتبارٍ لمُحكمات القرآن الكريم، ومنهجُ الراسخين ردّ المُتشابه إلى المُحكم.

(٥) تقديمهم لدلالة مفهوم المخالفة الظنية على دلالة المنطوق الصّريحة القطعيّة، وهو متّفق على خلافه.

ثانيًا، تجلت خيانتهم العلميّة وعدم الإنصاف اتباعًا للهوى، من خلال ثلاثة أمور:

(١) الانتقائيّة في الأدّلة المستدل بها، حيث أوردوا ما يخدم بظاهره أو بمفهومه دعواهم، وأهملوا عن جهل أو قصد ما هو من قبيل النّص القاطع في دلالته من آي الكتاب.

(٢) بترُ النّصوص كصنيع المستشرق القبرصي الذي بتر آخر الآية، لأنّ فيه ما يهدم مذهبه، حذف قوله تعالى ﴿ومُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ومُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]. ومثله صنيع جمال الدّين الأفغانيّ الّذي ذكر تصديق القرآن للكتابين، وتغافل عن عمد قوله تعالى ﴿ومُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

(٣) إخراج الآيات من سياقاتها، ومحاولة تفسيرها بمعزل عن سباقها ولحاقها، كصنيعهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنّصارى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة:٦٢].

ثبت أقوال العلماء المتصل بتواتر عموم الرسالة المحمدية.

(١) ثَبْتُ أقوال العلماء على تواتر ادّعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه أُرسل للنّاس كافّة تواترًا معنويًا ولفظيًا.

قد استفاض النّقل عن علماء الأمّة بمختلف توجهاتهم ومدارسهم ومناهجهم أنّ النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ادّعى وذكر في حضرة أصحابه أنّه مرسل إلى جميع البشر، وأنّ رسالته عامةٌ، لم يخصصها بقبيلةٍ أو قومٍ أو أتباع دين معين. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر مع ذكر وجه الشاهد نصًا عن أهل العلم:

[١] قال أبو المعالي الجويني (٤٧٨ هـ): "وقد علمنا ضرورةً أنّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادّعى كونَه مبعوثًا إلى الثَّقلين" ... "وهذا ممّا نُقِلَ تَواتُرًا منه كما نُقِلَ أنّه كان يأمرُ بالصَّلواتِ الخمس".(١)

[٢] وقال فخر الدّين الرازيّ (٦٠٦ هـ) في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]: "يُعلَمُ بالتّواتر من دينه أنّه كان يَدّعي أنّه مبعوثٌ إلى كلِّ العالمين".(٢)

[٣] وقال نجم الدّين الطوفيّ (٧١٦ هـ): "وقد تواتر عنه أنّه ادّعى عموم الدعوة".(٣)

[٤] وقال تقيّ الدّين السّبكي (٧٥٦ هـ): "نعلمُ قطعًا بالنقل المتواترِ المفيد للضرورةِ أنّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادّعى الرِّسالة مطلقةً ولم يقيّدها بقبيلة ولا طائفةٍ

---

(١) نقله تقي الدّين السبكي عن الجويني في الإرشاد. ينظر: تقي الدّين السبكي، أبو الحسن علي بن عبد الكافي (٢٠٠٥م). الدّلالة على عموم الرِّسالة (تحقيق: علي أسعد رباجي)، ط ١، ص ٥٧-٥٨، دار الكتب العلمية.

(٢) الرازي، فخر الدّين محمّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (٢٠٠٠). مفاتيح الغيب، ط١، ج ١٥، ٢٣ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) الطوفي، نجم الدّين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (٢٠٠٥). الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (تحقيق: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل)، ط ١، ج ١، ص ٤٨٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

ولا إنس ولا جنٍّ فهي عامّة لكل من هو على بسيط الأرض، وسكان الأرض هم الإنس والجنّ فهم كلّهم في دعوته وعموم رسالته». [١]

[٥] وقال عضد الدّين الإيجيّ (٧٥٦ هـ) في العيسويّة: " وجب عليهم أن يعترفوا بما تواتر عنه من دعواه البعثة إلى الأمم كافة لا إلى العرب خاصة، فإنه قد عُلم ذلك منه كما عُلم وجوده ودعواه الرِّسالة". [٢]

[٦] وقال نظام الدّين النيسابوريّ (بعد ٨٥٠ هـ): "من المعلوم بالتّواتر من دينه أنّه كان يدعي عموم الرِّسالة فإنه كان رسولاً إلى العرب وإلى غيرهم". [٣]

[٧] وقال ابن عادل الحنبلي (٨٨٠ هـ): "وقد ثبت بالتّواتر ... أنّه كان يدّعي كونه مبعوثاً إلى جميع الخلق". [٤]

[٨] وقال علي بن برهان الدّين الحلبيّ (٩٧٥ هـ): "ثبت بالتّواتر عنه ﷺ أنّه رسول الله لكلِّ النّاس". [٥]

[٩] وقال شهاب الدّين الآلوسيّ (١٢٧٠ هـ):" عمومُ رسالته ﷺ وهي عامة للثّقلين كما نطقت به النصوص حتى صرحوا بكفر منكره". [٦]

[١٢] وقال محمّد رشيد رضا (١٣٥٤ هـ): "من المعلوم من الدّين بالضّرورة أن الله قد أكمل الدّين بديننا، وختم النبيين بنبيّنا، وأرسله للنّاس كافّة، وكان

(١) تقي الدّين السبكي، الدّلالة على عموم الرِّسالة، مصدر سابق، ص ٧٤-٧٥.

(٢) الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل (١٩٩٧م). المواقف في علم الكلام (تحقيق: عبد الرحمن عميرة)، ج ٣، ص ٤١٤، دار الجيل، بيروت.

(٣) نظام الدّين النيسابوري، الحسن بن محمّد بن حسين القمي النيسابوري (١٩٩٦). غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تحقيق: الشيخ زكريا عميران)، ط١، ج ٣، ص٣٣٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) ابن عادل الحنبلي، سراج الدّين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (١٩٩٨م). اللباب في علوم الكتاب (تحقيق: عادل معوض)، ج ٩، ص ٣٤٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) نور الدّين الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (١٤٠٠ هـ). السيرة الحلبية، ص ٣٦٥، دار المعرفة، بيروت.

(٦) الآلوسي، شهاب الدّين محمود ابن عبد الله الحسيني (١٤١٥ هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تحقيق: علي عبد الباري عطية)، ج ٥، ص ٧٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

كلُّ نَبِيٍّ يبعث إلى قومِهِ خاصّة، وأنّ جميع الشَّرائع قبله كانت مؤقتة، وشريعته هي الشريعة الدائمة، وحكمة ذلك معروفة بين العلماء، لم تكن محل خلاف بين المذاهب ولا بين الأفراد، وهي أن هذه الشريعة الكاملة السّمحة صالحة لكل زمان وكل مكان، وحكمة نسخ الشَّرائع الماضية عدم صلاحيتها لغير أهلها، وعدم صلاحيّتها للدوام في أهلها". [1]

[١٠] وقال الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣ هـ) في قوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [السجدة:٣]: "ودلائل عموم الرِّسالة متواترةٌ من صريح القرآن والسنة ومن عموم الدعوة". [2]

[١١] وقال عبد العزيز الغماري (١٤١٨ هـ) في أحاديثِ عموم رسالته وأنه بُعث إلى كلّ أحمر وأسود: "ذكر غيرُ واحد أنّها مُتواترة معنًى وعَضَّدَها القرآن والإجماع ونص على ذلك الشُّمُنِّي". [3]

وأما لفظًا فقد نقل جلال الدّين السيوطي (٩١١ هـ) تواتر حديث: «أعطيتُ خمسًا لم يُعطَهنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي ... وكان النّبيّ يبعث إلى قومه خاصّةً، وبعثت إلى النّاس كافّةً » [4] بالتّواتر. [5] ووافقه على ذلك الكتاني في نظم المتواتر [6]

---

(١) رضا، محمّد رشيد (١٩٩٠م). تفسير المنار، مصدر سابق، ج٦، ص ٣٤٤.
(٢) ابن عاشور، محمّد بن الطاهر بن عاشور التونسي (٢٠٠٠ م). التحرير والتنوير، ط١، ج ٢١ ص ١٤٥، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
(٣) عبد العزيز الغماري، عبد العزيز بن محمّد بن الصديق الغماري. إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادات في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة، ص ٢٣٨، دار الفكر.
(٤) البخاري، محمّد بن إسماعيل الجعفي (١٩٨٧م). صحيح البخاري (تحقيق: مصطفى ديب البغا)، ط ٣، رقم: ٤٣٨، دار ابن كثير، بيروت.
مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. صحيح مسلم (تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، رقم ٥٢٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٥) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، ص ٩٩، دار الفكر.
(٦) السيوطي. الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، مصدر سابق، ص ٢٧٢ في الحاشية.

وقد أحصى السيوطيّ في كتابه «الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» عشرةً من رواة الحديث من الصحابة، وهم: جابر بن عبد الله (في الصَّحيحين)، وأبو هريرة (في صحيح مسلم)، وفي غير الصَّحيحين رواه: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وأبو ذر الغفاريّ، وأبو موسى الأشعريّ، وعبد الله بن عمر، والسّائب بن يزيد، وأبو سعيد الخدريّ. وشَرطُ السيوطيُّ في كتابه أن يروى الحديث من عشرة طرق.

وقد ذكره عبد العزيز بن محمّد الصديق الغماريّ ضمن الأحاديث المتواترة.[1] وممن نصّ على تواتره ناصر الدّين الألباني في إرواء الغليل قال « وبالجملة فالحديث صحيح متواتر عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».[2]

وممن أشارَ إلى تواتر الحديث ابن عطيّة الأندلسيّ (٥٤٢ هـ) في تفسير قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، قال: «قوله تعالى: (للعالمين) عامٌّ في كلّ إنسيٍّ وجنّيٍّ، عاصره أو جاء بعده، وهو مُؤيّدٌ من غير ما موضعٍ من الحديث المتواتر وظاهر الآيات".[3] وتبعه على ذلك أبو حيّان الأندلسيّ (٧٤٥ هـ) عند تفسير الآية وقال: "(للعالمين) عامٌّ للإنس والجنّ، ممّن عاصره أو جاء بعده، وهذا معلومٌ من الحديث المتواتر وظواهر الآيات».[4]

(٢) ثَبْتُ أقوالِ العلماء في تواتر الوقائع المختلفة في كونه كان يخاطب جميع الأمم.

---

(١) عبد العزيز الغماري. إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادات في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة، ص ٢٣٨.

(٢) الألباني، محمّد ناصر الدّين الألباني (١٩٨٥م). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط ٢، ج ١، ص ٣١٧، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٣) ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية المحاربي (١٤٢٢هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمّد)، ط١، ج ٤، ص ١٩٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) أبو حيان الأندلسي، محمّد بن يوسف بن حيان أثير الدّين (١٤٢٠ هـ). البحر المحيط (تحقيق: صدقي محمّد جميل)، ج ٦، ص ٣٤٩، دار الفكر، بيروت.

تواتر تواترًا معنويًا من فعل النبي ﷺ في وقائع مختلفة أنّه كان يخاطب جميع الأمم بمختلف أديانها، وأنّه لم يخصص الدعوة بقوم دون قوم، وأنه كان يُقاتل من عانده ويُنازل من جاحده، ومن شواهد ذلك على سبيل المثالِ لا الحصر:

[١] قال أبو حامد الغزالي (٥٠٥ هـ): "وبَعثَ رسوله إلى كسرى وقيصر وسائر ملوك العجم وتواتر ذلك منه".(١)

[٢] وقال سيف الدّين الآمديّ (٦٣١ هـ): "اشتُهِرُ عنه وعُلِمَ بالضّرورةِ والنَّقلِ المتواتر من دعوته إلى كلمته طوائِفَ الجبابرة وغيرهم من الأكاسرة وتنفيذه إلى أقاصي البلاد وملوك العباد، وقتال من عانده، ونزال من جاحده".(٢)

[٣] وقال ابن تيميّة (٧٢٨ هـ): "العلمُ بعموم دعوته لجميع الخلقِ أهلِ الكتابِ وغيرِهم هو متواترٌ معلومٌ بالاضطرار".(٣)

[٤] وقال عماد الدّين ابنُ كثير (٧٧٤ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩]: "وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدّلالات على عمومِ بِعثته، صَلوات الله وسلامه عليه، إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة، وكما دلّ عليه الكتابُ والسنّة في غير ما آية وحديث ... وفي الصَّحيحين وغيرهما، مما ثَبتَ تواتره بالوقائع المتعدّدة، أنّه بعثَ كتبَه ﷺ يدعو إلى الله ملوكَ الآفاق، وطوائفَ بني آدم من عربِهم وعجمِهم، كتابِيِّهم وأمِّيِّهم، امتثالاً لأمرِ الله له بذلك"(٤)

(١) الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي (٢٠٠٤ م). الاقتصاد في الاعتقاد (تحقيق: عبد الله محمّد الخليلي)، ط١، ص ١٢٧، دار الكتب العلميّة، بيروت.
(٢) الآمدي، أبو الحسن سيف الدّين علي بن أبي علي. غاية المرام في علم الكلام (تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف)، ص ٣٥٩، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
(٣) ابن تيمية. الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح، مصدر سابق، ج١، ص ١٦٢-١٦٤..
(٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم، ط٢، ج ٢، ص ٢٦، دار طيبة للنشر والتوزيع.

[٥] وقال محمّد بن عمر بحرق الحضرميّ الشّافعيّ (٩٣٠ هـ): "وتواتر النقلُ عنه أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا اليهود والنّصارى وغيرهم إلى الإيمان، وأرسل كتبه إلى ملوك الفرس والروم وغيرهم، وألزمهم وجوب طاعته واتّباعه".(١)

(٣) ثَبْتُ أقوالِ العُلماء في الإجماعِ على أنَّ أدلّة عمومِ الرِّسالة من الكتاب والسنة نصوصٌ قاطعة.

أجمع علماء الأمة إجماعًا قطعيًا على أن أدلّة عموم الرِّسالة من الكتاب والسّنة نُصوصٌ قطعيّة في دلالتها لا يعرض لها التّخصيص أو التّأويل، ومن شواهدِ ذلك:

[١] قال القاضي عياض (٥٤٤ هـ): "أخبرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه خاتمُ النّبيّين لا نبيَّ بَعدَه وأخبرَ عنِ الله تعالى أنّه خاتمُ النَّبيّين وأنّه أُرسِلَ كافَّةً للنّاس، وأجمعت الأمَّةُ على حمل هذا الكلام على ظاهره وأنَّ مفهومَه المرادَ به دون تأويلٍ ولا تخصيصٍ، فلا شك في كُفْرِ هؤلاءِ الطوائِفِ كلّها قَطْعًا إجماعًا وسَمْعًا".(٢)

[٢] وقال سعد الدّين التفتازانيَ (٧٩٢ هـ): "والدَّليلُ على عمومِ بِعثتِهِ وكونه خاتمَ النَّبيّين لا نبيَّ بعده ولا نَسخَ لشريعتِهِ هو أنَّه ادَّعى ذلك بحيث لا يحتملُ التَّأويلَ وأظهَرَ المُعجزَةَ على وِفقِهِ وأنَّ كتابَه المعجِزَ قد شهدَ بذلك قَطْعًا ". (٣)

[٣] وقال الطّاهر بن عاشور في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾: "تأكيد ضمير المخاطبين بوصف (جميعًا)

---

(١) بَحْرَق، محمّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي (١٤١٩ هـ). حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، ط١، ص ١٣٢، دار المنهاج، جدة.

(٢) القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي. الشفا بتعريف حقوق المصطفى (تحقيق: عبده علي كوشك)، ج ٢، ص ٢٨٥-٢٨٦، حكومة دبي.

(٣) التفتازاني، سعد الدّين مسعود بن عمر (١٩٨١م). شرح المقاصد في علم الكلام، ج ٢، ص ١٩١، دار المعارف النعمانية، باكستان.

الدّالّ نصًّا على العموم، لرفع احتمال تخصيص رسالته بغير بني إسرائيل، فإن من اليهود فريقًا كانوا يزعمون أن محمّدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيء، ويزعمون أنه نبيء العرب خاصةً» ... و»اليهود فريقان: فريق يزعمون أن شريعة موسى لا تُنسخ بغيرها. وفريق يزعمون أنها لا تُنسخ عن بني إسرائيل، ويجوز أن يُبعث رسول لغير بني إسرائيل".[1]

(٤) ثَبت تكفير علماء المسلمين لمن أنكر تواتر عموم الرِّسالة.

قد استفاضَ النّقل عن كثيرٍ ممن نَقَلَ تَواتُرَ عمومِ الدعوَةِ من فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله تكفيرُ من أنكرها لكونه قد أنكر معلومًا من الدّين بالضرورة، ومن هذه النقول:

[١] قال الشّهرستانيّ (٥٤٨ هـ): "العيسويّة من يهود أصبهان فإنهم يُقرُّون بنبوّة نبيّنا محمّد وبأنّ كلَّ ما جاء به حقّ ولكنّهم زعموا أنّه بعث إلى العَرب لا إلى بني إسرائيل وقالوا أيضًا محمّد رسول الله، وما هم معدودين في فِرق الإسلام. وقوم من شاركانية اليهود حَكَوا عن زعيمهم المعروف بشاركان أنه قال إن محمّدا رسول الله إلى العرب وإلى سائر الناس ما خلا اليهود وأنّه قال إنّ القرآن حقّ وكلّ الأذان والإقامة والصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحجّ الكعبة كلّ ذلك حقّ غير أنّه مشروعٌ للمسلمين دونَ اليَهود ورُبَّما فعل ذلك بعض الشّاركانية قد أقرّوا بشهادتي أن لا إله إلا الله وأن محمّدا رسول الله وأقروا بأنَّ دينَه حقٌّ، وما هم مع ذلك من أمّة الإسلام لقولهم بأنّ شريعة الإسلام لا تلزمهم".[2]

---

(١) ابن عاشور. التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج ٨، ص٣٢٠.

(٢) عبد القاهر البغدادي. الفرق بين الفرق، مصدر سابق، ص ١٠.

[٢] وقال شرف الدّين النووي (٦٧٦ هـ): «وأن من لم يُكَفِّر من دان بغير الإسلام كالنّصارى أو شك في تكفيرهم أو صحح مذهبهم: فهو كافر وإنْ أظهر مع ذلك الإسلام واعتقد". [١]

[٣] وجعله تقي الدّين السبكي (٧٥٦ هـ): ضمن القسم الذي من أنكره من العوام فقد كفر، قال: "لأنّه مكذّبٌ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خبره، ومن هذا القسم إنكار وجوب الصلاة والزكاة والصّوم والحجّ ونحوها، وتخصيص رسالته ببعض الإنس، فمن قال ذلك فلا شكّ في كفره وإن اعترف بأنّه رسولٌ إليه؛ لأنّ عموم رسالته إلى جميع الإنس مما يعلمه الخواصّ والعوامّ بالضرورة من الدّين». [٢]

---

(١) النووي، محيي الدّين يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمّد معوض)، ج ١٠، ص ٧٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) تقي الدّين السبكي. الدّلالة على عموم الرِّسالة، مصدر سابق، ص ٧٤-٧٥.

مُلخص الدِّراسة

تَنَاولـت الدّراسـةُ، "الإبراهيميَّـةَ" مـن الجانـب الفكـريّ والتّأريخـيّ والتّأصيـليّ، وقسَّـمَتهَا إلى إبراهيميّـةٍ دينيّـة وأخـرى سياسـيّة، وحاولـت الدّراسـةُ تحريـرَ مفهـومِ **الإبراهيميّـة**، وبيـان تمظهراتهـا، وبيـان علاقتهـا بوحـدة الأديـان، والتّفريـق بينهـا وبـين حـوار أتبـاع الأديـان، واسـتنباط دوافـع تبنيهـا، وبيّنـت أثرَهـا العقـديّ وخطورتهـا عـلى مقدّسـات المسـلمين، كـما تناولـت الدراسـةُ **الإبراهيميّـةَ** السّياسـيّة وكشـفَتْ عـن أدواتهـا ومجالاتِهـا وبيّنَـت خطورتَهـا عـلى القضيّـة الفلسـطينيّة والمسـجد الأقـصى المبـارك.

وتناولـت الدراسـةُ في بابهـا الثّـاني، إقامـةَ الدّلالـة القاطعـة عـلى عمـوم الرِّسـالة المُحمَّديّـة ونَسْـخِهَا للشّرائعِ السَّـابقة، وانتهـت بـردّ مَطاعـن شـبهات **الإبراهيميّـة** عنهـا، ثـم بيّنـت مثـارات الغلـط عنـد دُعاتهـا.

وخَلُصت الدّراسة إلى النّتائجِ التّالية:

[١] الإبراهيميّـة الدّينيـة: فكـرةٌ قائِمَـةٌ عـلى الحُكـمِ بنجـاةِ وخـلاصِ أتبـاع الأديـان الثلاثـة -الإسـلام واليهوديّـة والنّصرانيّـة- في الآخـرة بعـد البعثـة المُحمَّديّـة.

[٢] الإبراهيميّـة الدّينيـة تسـتلزم بجميـع صورهـا الطَّعـنَ في عالميّـة الرِّسـالة المُحمَّديّـة، ونفـي نسـخ شريعتـه لشرائعِ التَّـوراة والإنجيـل، وتقتـضي كذلـك صوابيّـة التَّعبـد بـأيٍّ مـن الأديـان الثلاثـة بعـد البعثـة المُحمَّديّـة.

[٣] الإبراهيميّـة الدّينيـة لهـا مراحـل وامتـداد وتأثـير، ظهـرت في العصـور المتأخرةمـع: أولًا، التّيـار الحـداثيّ، وترجـع جذورهـا إلى جـمال الدّيـن الأفغـاني ومحمّـد عبـده وامتـدت إلى زماننـا هـذا، وثانيًـا، مـع إبراهيميّـة التّصـوف الفلسـفيّ الّتي نشـأت مـع ماسـينيون وتأثـرت بعقيـدة الحـلاج، والّتـي وصـلَ تأثيرهَـا إلى الكنيسـة الكاثوليكيّـة.

[٤] الإبراهيميّة السّياسيّة أو الاتفاقيّات الإبراهيميّة "Abraham Accords" هي مشروعٌ سياسيٌّ يَهدف إلى تصفيةِ القضيّة الفلسطينيّة عبر التّرويج لتطبيع العلاقات بين إسرائيل من جهة، والدول العربيّة والإسلاميّة من جهة أخرى، على مستوى الحكومات والشعوب، بُغيةَ عزلِ فلسطينَ وأهلِها عن محيطِها العربيّ والإسلاميّ، تمهيدًا لتهويدِ ما تَبَقَّى مِنها وتوطئةً لبناءِ هيكلِ سليمان على أنقاضِ المسجدِ الأقصى.

[٥] لا تَستلزم الإبراهيميّة الدّينية التّماهي التّام بين الأديان الثّلاثة، بل قد يكون لكلٍّ دين خصوصيّاته من ناحية استقلال دور عبادته وتمايز كتبه وشرائعه، في ضوء اعتبار كلٍّ منها طريقًا موصلًا إلى الله تعالى، فهي كالمذاهب المختلفة للدّين الواحد.

[٦] لا يجوزُ إطلاقُ مصطلح «الأديان الإبراهيميّة" على اليهوديّة والنّصرانيّة بعد البعثة المُحمَّديّة لما نَالَها من تحريفٍ وتبديلٍ في التَّوحيدِ وغيرِه، ولعدمِ إقرارهم بعالميّة الرِّسالة المُحمَّديّة وخاتميّتها ونسخها للأديان السَّابقة، مخالفين بذلك ما عَهِدَ اللهُ تعالى لأنبيائه.

[٧] بَينَ الإبراهيميّة الدّينية ووحدة الأديان عموم وخصوص مطلق، إذ تعتبر الإبراهيميّة لونًا من ألوانِ وحدة الأديان إلا أنّها قاصرةٌ على نجاةِ أتباع الأديان الثّلاثة الإسلام واليهوديّة والنّصرانيّة.

[٨] قد يُرادُ بوحدةِ الأديان أحد ثلاثة أمور:

الأول، توحيدها إجرائيًا في دينٍ واحد، عبر توحيد كتبها ودور العبادة فيها، وهذا الدّين الجديد يَجُبُّ كلَّ الأديان السَّابقة وينسخُها.

والثّاني، توحيدُ الأديان بمعنى الحكم بصحتها وبالتالي نجاة معتنقيها، دون أن يكون ثمة صهرٌ لها في دينٍ واحد، ويستتبع ذلك تأويل النّصوص الدّالة على حصرية هذا الدّين تأويلًا باطنيًا، مع تأويل النّصوص الّتي تبطل الأديان

الأخـرى أيًـا كانـت، وهـذا القسـم مـن معـاني توحيـد الأديـان هـو الأكـثر تـداولاً. ويتبنّـى هـذا القـول: المصوّبـة القائلـون بتصويـب كلّ الأديـان مـن أصحـاب عقيـدة الاتّحـادِ ووحـدةِ الوجـود.

والثّالـث، توحيـدُ الأديـان بمعنـى الحكـم بنجـاةِ معتنقيهـا دونَ أنْ يُحكَـمَ بصحتهـا جميعًـا، ولا يَلـزم هنـا تأويـل النّصـوص الدّالـة عـلى حصريّـة هـذا الدّيـن، إنـمّـا يُكتفـى بتأويـلِ النّصـوص الدّالـة عـلى خلـودِ الكفّـار في النّـار، ويتبنـى هـذا اللـونَ: القائلـون بانقـلابِ عـذابِ النّـار عذوبـة ونعيـمًا.

[٩] منهـجُ التّقريـب بـين الأديـان الثّلاثـة لتحقيـق فكـرة الإبراهيميّـة الدّينيـة يقـوم عـلى ركنـين هـما:

الأوّل، البنـاء عـلى المشـترك بينهـا -ويسـمى المشـترك الإبراهيمـيّ-، سـواء تعلّـق بالعقائـد أو بالأحـكام العمليّـة.

والثّـاني، تحييـد مـا يضـادّ فكـرة الإبراهيميّـة مِـن المختَلِـف بينهـا، وتحييدهـا في الغالـب يكـون عـن طريـق تأويلهـا.

[١٠] يمكنُ إرجاع صور الإبراهيميّة الدّينية على الجملة إلى تمظهرين اثنين:

التّمظهر الأوّل، وهو «الإبراهيميّة التّوحيديّة»، وتقوم على الأركان التّالية:

(١) وجوب اعتقاد وحدانية الإله، فغير الموحّد لا ينجو عند الله.

(٢) وجوب الإيمان باليوم الآخر.

(٣) وجـوب التّصديـق بنبـوّة محمّـد H مـن غـير إلـزامٍ بشرعـه، وبالتـالي نفـي عالميّـة رسـالته.

(٤) عدم نسخ الشريعة المُحمَّديّة لشرائع التَّوراة والإنجيل.

التّمظهر الثّاني، وهو "الإبراهيميّة غير التوحيديّة»، وتقوم على الأركان التّالية:

(١) وجوب التّصديق بوجود خالق، أيًا كان هذا الخالق، ولا يوجبون توحيد الله.

(٢) وجوب التّصديق باليوم الآخر.

(٣) لا يوجبون التّصديق بنبوة محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[١١] الحوار بين أتباع الأديان الثّلاثة في المجتمعات المختلطة قد أقرّتْهُ الشريعةُ الغراء، بما يخدم مصالح أتباعها ويؤسس للسّلم المجتمعي، وأما فكرة التّقريب بين الأديان فتسعى إلى التّقريب بين عقائد الأديان المختلفة وثوابتها، عبر العبث بنصوصها إما لفظيًا أو بإعمال مبضع التّأويل.

[١٢] كان أوّل ظهور لفكرة الإبراهيميّة الدّينية مع يهود المدينة في العهد النبوي، كما تبين من حديث ابن صيّاد اليهوديّ.

[١٣] رُصدت الإبراهيميّة في الجماعات الدّينية أولاً في بدايات القرن الثاني الهجري مع العيسوية إحدى طوائف اليهود ثمّ مع الشاركانية في القرن الرابع الهجريّ.

[١٤] تعتبر رسالة بولص الأنطاكيّ أسقف صيدا من أوليات رسائل الجدل العقديّ المؤسِّسة للإبراهيميّة الدّينيّة، والّتي انْبرى لنَقْضِها الإمامُ شهابُ الدّينِ القرافيّ في كتابه «الأجوبةُ الفاخرةُ على الأسئلة الفاجرة».

[١٥] يُعتبر تهذيب الجدليّ القبرصيّ لرسالة بولص الأنطاكيّ من بواكير الدراسات الاستشراقية المُدوَّنة المتعلقة بالجدل الإسلامي النّصراني الّتي دعت للإبراهيميّة الدّينية، وقد انتهض لنقضها الإمام تقي الدّين ابن تيميّة في كتابه «الجواب الصَّحيح لمن بدل دينَ المسيح».

[١٦] تُعتبر الإبراهيميّة الدّينية لونًا من ألوان وحدة الأديان، والّتي انتشرت في العالم الإسلامي مع أفكار التّصوف الفلسفي كوحدة الوجود الّتي تنسب لابن

عـربي الحاتمـي وعقيـدة الاتّحـاد الّتـي تُنسـب للحـلاّج وعقيـدة انقـلاب عـذاب النّـار عذوبـة.

[١٧] ظَهـرت الإبراهيميّـة الدّينيـة في عصـور الحداثـة الأوروبيـة لأسـبابٍ منهـا دمجُ اليهـود، وأخـرى راجعـةٍ إلى انْحسـارِ النّصرانيّـة أمـامَ الإلحـاد، إلا أنّ هـذه الدّعـوات لم تشـكِّل حالّـة عامّـة، ولا تَبَنَّتهـا المؤسّسـات الدّينيّـة ثَـمَّ.

[١٨] ظهـرت "الإبراهيميّـة" الدّينيـة في الغـرب في القـرن العشريـن مـع المسـتشرق الفرنـسي لويـس ماسـينيون (Louis Massignon) الـذي كان متأثـراً بالحـلاّج وعقيـدة الاتّحـاد بـين الخالـق والمخلـوق.

[١٩] تبنّـت الكنيسـة الكاثوليكيّـة فكـرة الإبراهيميّـة الدّينيـة بـين عامـي ١٩٦٢م و١٩٦٥م تحـت وطـأة ضغـوط الحداثـة، ومتأثـرة بـآراء ماسـينيون.

[٢٠] يُعتـبر جـمال الدّيـن الأفغـاني رائـدَ فكـرةِ الإبراهيميّـة الدّينيـة بـين حداثيـي الـشرق، وتبعـه عـلى فكرتـه محمّـد عبـده، وأسـس جمعيّـةً سريّـةً للتقريـبِ بـين الأديان في بـيروت، وممـن تبناهـا لاحقًـا حسـن الـترابيّ وجـمال البنـا وشـحرور وعدنـان إبراهيـم ومحمـد حبـش وغيرهـم.

[٢١] زادت تداوليّـة الإبراهيميّـة في الثّمانينـات مـن القـرن المـاضي وزاد زخمهـا مـع بدايـات القـرن الحـاليّ في مراكـز الأبحـاث الفكريّـة الغربيّـة والمؤسّسـات الدّوليـة والجهـات الرّسـميّة، ليتـم توظيـف الفكـرة لخدمـة مصالـح هـذه الـدّول الّتـي طالمـا وجـدت في ثوابـت الإسـلام ومبادئه تهديـدًا لمصالحهـا وطموحاتهـا في منطقتنـا خاصةً مـا يتعلـق بالكيـان الصهيـونيّ الغاصـب، ومـن أسـاليبهم لنـشر الإبراهيميّـة السّياسـيّة اتّبـاع مسـار الدبلوماسـيّة الرّوحيّـة الـذي يتميّـز عـن المسـار السّـياسيّ التّقليـدي باشـتباكه المبـاشر مـع القواعـد الشـعبيّة، فدعـوا إلى دعـم الصوفيّـة ونشرهـا.

[٢٢] تُوظِّفُ الإبراهيميّةُ السّياسيّة العديدَ من الأدواتِ والمبادراتِ في خدمة مشروعها بالتّرسيخ للتّطبيع بين إسرائيل والدول العربيّة في سبعة مجالات، هي: [١] المجال الدّينيّ، [٢] والأكاديميّ، [٣] والإعلاميّ، [٤] والاقتصاديّ، [٥] والسّياحة الدّينيّة، [٦] والثقافي والفني [٧] والأمنيّ والعسكريّ.

[٢٣] تقومُ الإبراهيميّة السّياسيّة بتوظيفِ مُخرجاتِ "الإبراهيميّة الدّينية» بقسيمها الحداثي والصوفي الفلسفي في غيرها من أفكار بالتّمكينِ لمُنَظِّرِيها ودعاتها في وسائل الإعلام ومنصّات التّواصل الاجتماعيّ.

[٢٤] تَنْقَسِم دوافعُ تبنّي **الإبراهيميّة** عمومًا إلى: وجوديّةٍ وسياسيّةٍ ونفسيّةٍ وفكريّة ونفعيّة.

أولاً، الدوافعُ الوجوديّة، ومنها:

تحصينُ رعايا اليهود والنّصارى من الدّخول في الإسلام الذي كان متفوقاً حضارياً وفكرياً.

ضغوط الحداثة على الكنيسة الكاثوليكيّة، وخشية خسران الأتباع.

تقوي الأوروبيين بأفكار المسلمين في مواجهة الإلحاد، مع ضعف النّصرانيّة أمام المد الإلحاديّ الغربيّ في عصور الحداثة.

ثانياً، الدّوافع السّياسيّة:

التمكين للأقليات اليهوديّة في أوروبا في عصور الحداثة.

تقديم بعض حداثيّي العرب للمبادئ الوطنيّة والقوميّة على ثوابت الإسلام.

حماية مصالح الدول العظمى في الشرق الأوسط، عن طريق مسار الدبلوماسيّة الرّوحيّة كبديل عن مسار الدبلوماسيّة التقليديّة بغية كسب تأييد الرأي العام المسلم.

ولعل أهم باعث لتبني المؤسّسات الدّوليّة وبعضُ الدُّوَلِ للإبراهيميّة اليوم هو محاولة الاستحواذ على المقدسات الإسلاميّة كالمسجد الأقصى المبارك.

ثالثًا، الدوافع النفسيّة: كالانهزام النفسيٍّ الذي تسبَّبَ به انبهارُ بعض حداثيي الشرق بالتّفوق الحضاريّ للمستعمر.

رابعًا، الدوافع الفكريّة: ومنها تبني فلسفتي وحدة الوجود والاتّحاد.

خامسًا، الدوافع النّفعية: من مال وشهرة ومنصب خاصة عند بعض حداثيي العرب في العصور المتأخرة.

[٢٥] الدّلالة القاطعة على عموم الرسالة المُحمَّديّة ترتكز على أمرين:

الأول، بيان تواترِ دَعوَةِ النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمومِ البَشرِ قَولاً وفِعلاً، وانعقاد الإجماع عليه.

الثاني، قواطع القرآن الدّالة على عموم الرِّسالة المُحمَّديّة ونسخها للشّرائع السَّابقة.

[٢٦] جِماع شبهات **الإبراهيميّة** الطّاعنةِ في عموم الرِّسالة المُحمَّديّة يرجع إلى التّالي:

أنّ القرآن سَوَّى بَينَ جَميعِ الأديان، فيجوز التَّعبد بأيٍّ منها.

أنّ القرآن امتدح بعض من أدرك البعثة من أهل الكتاب، وهذا مستلزم لنجاتهم.

أنّ من أقام التَّوراة والإنجيل من أهل الكتاب بعد البعثة ناج عند الله.

أنّ تصديق القرآن للتّوراة والإنجيل يستلزم عدم نسخه لها.

نقض شبهة: أنّ وصف التَّوراة والإنجيل بأنّ فيهما هدى ونورًا وذمّ ترك التّحاكم إليهما يستلزم عدم نسخها.

أنّ القرآن نزل بالعربية فهو كتاب خاص بالعرب.

أنّ الرِّسالة المُحمَّديّة خاصة بالعرب لكونه أرسل فيهم.

وقد تم نقضها شبهةً شبهة وبيان التَّفسير الصَّحيح للآيات الّتي استدلّوا بها.

[٢٧] وما يُستخلص من الرّد على الشبهات:

أنّ الحكم بنجاة اليهود والنّصارى بعد البعثة المُحمَّديّة والذي دلّت عليه بعض ظواهر القرآن يُناقض ما ثبتَ بالقطع واليقين من عموم الرِّسالة المُحمَّديّة ونسخِها للشرائعِ السَّابقة، فوجب تخصيص ظواهر عمومها أو تأويلها، وإلا لزم اجتماع النقيضين وهو محالٌ عقلاً.

أنّ تصديق القرآن بالكتب السَّابقة ومدحها لا يستلزم عدم نسخ أحكامها، وأنّ التصديق بالكتب السَّابقة لا يستلزم عدم الإضافة عليها.

أنّه لا ينغي النظر إلى بعض آي القرآن الّتي تدل على نجاتهم أو امتداحهم بمعزل عن الآيات الأخرى، فهذه الانتقائية تخرج صورة مشوهة عن مضامين القرآن وأحكامه، وتكمن الانتقائيّة في ترك دعاةِ **الإبراهيميّة** للآيات الدّالة على أنّ التزام اليهود والنّصارى للشّريعة الإسلاميّة شرطٌ للنّجاة في الآخرة.

أنّ إرسال النّبيّ بلسان قومه لا يستلزم أنّه لم يرسل إلا لقومه. فإن لإرساله بلسان قومه حِكَمًا تدور عليها مصلحة الدعوة، ومنها: أن يُفهَمَ عنه كلامُه على أبلغ وجه وأبينه.

أنّ إرسال نبيّنا محمّد للعرب قبل غيرهم هو من قبيل مرحليّة الدعوة وبيان أولويّاتها بما يحقق المصلحة الدعويّة.

أنّ فهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية بمعزل عن منظومة القواعد المستقاة من الوحي واللغة العربية يوقع المستدِل بهما في مزالق منهجيّة لا تحمد عقباها.

[٢٨] مثارات الغلط المنهجيّ عند دعاة **الإبراهيميّة** ترجع إلى أمرين:

الأول، القصور المعرفي ومخالفة منهج النّظر الأصوليّ الصَّحيح في النّصوص الشّرعيّة.

الثّاني، الخيانة العلميّة وعدم الإنصاف بالانتقائيّة في الأدلّة، وبتر بعضها، وإخراجها عن سياقاتها اتّباعًا للهوى.

قائمة المصادر والمراجع.

أولًا، قائمة المصادر والمراجع العربية.

١. القرآن الكريم.

٢. الآلوسي، شهاب الدّين محمود ابن عبد الله الحسيني (١٤١٥ هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تحقيق: علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣. الآمدي، أبو الحسن سيف الدّين علي بن أبي علي. الإحكام في أصول الأحكام، المكتب الإسلامي، ج٢، ص ١٥، بيروت- دمشق.

٤. الآمدي، أبو الحسن سيف الدّين علي بن أبي علي. غاية المرام في علم الكلام (تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.

٥. أبا زيد، صابر عبد. قراءة نقدية لآراء لويس ماسينيون حول الفكر الفلسفي الإسلامي، ص ٣٩٤، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم الفلسفة.

٦. أبو البقاء الهاشمي، صالح بن الحسين الجعفري (١٩٩٨م). تخجيل من حرّف التَّوراة والإنجيل (تحقيق: محمود قدح)، مكتبة العبيكان، السعودية.

٧. أبو حيان الأندلسي، محمّد بن يوسف بن حيان أثير الدّين (١٤٢٠ هـ). البحر المحيط (تحقيق: صدقي محمّد جميل)، دار الفكر، بيروت.

٨. أبو زيد، بكر(١٤١٧ه). الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ط١، دار العاصمة.

٩. أبو الفتوح، خالد (٢٠١٦م). نظرة عامة على دعوة وحدة الأديان، الألوكة.

١٠. الاستراباذي، رضي الدّين محمّد بن الحسن (١٩٧٥م). شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب (تحقيق: يوسف حسن عمر)، جامعة قاريونس، ليبيا.

١١. الأشقر، فارس راتب (٢٠١١). قضايا ساخنة في فكر جمال الدّين الأفغاني، ط١، دار زهران للنشر والتوزيع.

١٢. الألباني، محمّد ناصر الدّين الألباني (١٩٨٥م). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٣. الألباني، محمّد ناصر الدّين الألباني. السلسلة الصَّحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٤. الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل (١٩٩٧م). المواقف في علم الكلام (تحقيق: عبد الرحمن عميرة)، دار الجيل، بيروت.

١٥. البخاري، محمّد بن إسماعيل الجعفي (١٩٨٧م). صحيح البخاري (تحقيق: مصطفى ديب البغا)، ط٣، دار ابن كثير، بيروت.

١٦. البخاري الحنفي، عبد العزيز بن أحمد بن محمّد، علاء الدّين البخاري الحنفي. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي.

١٧. البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (١٤١٥ هـ). نظم الدرر في تناسب الآي والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨. البيضاوي، ناصر الدّين أبو سعيد عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت.

١٩. ابن أمير حاج، أبو عبد الله، شمس الدّين محمّد بن محمّد بن محمّد المعروف (١٩٨٢). التقرير والتحبير، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠. ابـن تيميـة، تقـي الدّيـن أبـو العبـاس أحمـد بـن عبـد الحليـم بـن تيميـة الحـراني (٢٠٠٥). مجمـوع الفتـاوى (تحقيـق: أنـور البـاز، عامـر الجـزار)، ط٣، دار الوفـاء.

٢١. ابـن تيميـة، أحمـد بـن عبـد الحليـم بـن تيميـة الحـراني أبـو العبـاس (١٤١٤ هـ). الجـواب الصَّحيـح لمـن بـدل ديـن المسـيح (تحقيـق: عـلي حسـن نـاصر، عبـد العزيـز إبراهيـم العسـكر، حمـدان محمّـد)، ط ١، دار العاصمـة، الريـاض.

٢٢. ابـن حـزم، أبـو محمّـد عـلي بـن أحمـد القرطبـي الظاهـري. الفصـل في الملـل والأهـواء والنحـل، مكتبـة الخانجـي، القاهـرة.

٢٣. ابـن حـزم، أبـو محمّـد عـلي بـن أحمـد القرطبـي الظاهـري. مراتـب الإجـماع، دار الكتـب العلميـة، بيروت.

٢٤. ابـن رجـب الحنبـلي، زيـن الدّيـن عبـد الرحمـن بـن أحمـد (١٩٩٦م). فتـح البـاري شرح صحيـح البخـاري، ط:١، مكتبـة الغربـاء الأثريـة - المدينـة النبويـة.

٢٥. ابـن عـادل الحنبـلي، سراج الدّيـن عمـر بـن عـلي بـن عـادل الحنبـلي (١٩٩٨م). اللبـاب في علـوم الكتـاب (تحقيـق: عـادل معـوض)، دار الكتـب العلميـة، بـيروت.

٢٦. ابـن عاشـور، محمّـد بـن الطاهـر بـن عاشـور التونـسي (٢٠٠٠). التحريـر والتنويـر، ط١، مؤسسـة التاريـخ العـربي، بـيروت.

٢٧. ابـن عطيـة الأندلـسي، عبـد الحـق بـن غالـب بـن عبـد الرحمـن بـن تمـام بـن عطيـة المحـاربي (١٤٢٢هــ). المحـرر الوجيـز في تفسـير الكتـاب العزيـز (تحقيـق: عبـد السـلام عبـد الشـافي محمّـد)، ط١، دار الكتـب العلميـة، بـيروت.

٢٨. ابـن كثير، أبـو الفـداء إسـماعيل بـن عمـر بـن كثير القـرشي الدمشـقي (١٩٩٩). تفسـير القـرآن العظيـم، ط٢، دار طيبـة للنـشر والتوزيـع.

٢٩. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (١٤١١ ه). السيرة النبوية (تحقيق: طه عبد الرءوف سعد)، در الجيل، بيروت.

٣٠. بَحْرَق، محمّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي (١٤١٩ هـ). حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، ط١، دار المنهاج، جدة.

٣١. بن يوسف، رياض (٢٠١٨). التأويل المسيحي للإسلام، لوي ماسينيون عيّنة، مجلة منتدى الأستاذ، مج ١٤، ع ٢.

٣٢. بني المرجة، موفق (١٩٨٤م). صحوة الرجل المريض، الكويت، صقر الخليج للطباعة والنشر.

٣٣. البهي، محمّد. المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، مطبعة الأزهر.

٣٤. بينارد، شيريل (٢٠١٣م). الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والموارد والاستراتيجيات (ترجمة: إبراهيم عوض)، ط١، دار تنوير للنشر والإعلام، بالتعاون مع مركز نماء للبحوث والدراسات، القاهرة.

٣٥. الترمذي، محمّد بن سورة (٢٠٠٩م). سنن الترمذي (تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد اللطيف حرز الله)، الرِّسالة العالمية، بيروت.

٣٦. التفتازاني، سعد الدّين مسعود بن عمر (١٩٨١م). شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية، باكستان.

٣٧. تقي الدّين السبكي، أبو الحسن علي بن عبد الكافي (٢٠٠٥م). الدّلالة على عموم الرِّسالة (تحقيق: علي أسعد رباجي)، ط ١، دار الكتب العلمية.

٣٨. دراز، محمّد عبد الله (٢٠٠٥م). النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم للنشر والتوزيع.

٣٩. جارودي، روجيه. حفارو القبور (ترجمة: عزة صبحي) دار الشروق، القاهرة.

٤٠. جارودي، روجيه (١٩٨١م). نداء إلى الأحياء (ترجمة: ذوقان قرقوط) دار دمشق، سوريا.

٤١. جارودي، روجيه (١٩٥٨م). وعود الإسلام (ترجمة: ذوقان قرقوط)، ط٢، دار الرقي، بيروت.

٤٢. جورافسكي، أليكسي. الإسلام والمسيحية، عالم المعرفة.

٤٣. حسين، محمّد محمّد (١٩٨٠م). الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ط ٣، ج١، المطبعة النموذجية.

٤٤. خديجة، عازب. سامية، ليزة (٢٠٢٠م). الجهود الفكرية والدعوية لحسن الترابي، ص ٥١-٥٢، جامعة الشهيد حمه لخضر، معهد العلوم الإسلامية.

٤٥. خان، ميزرا لطف الله (١٩٥٧). جمال الدّين الآسدآبادي المعروف بالأفغاني (ترجمه عن الفارسية وقدمه وعلق عليه: صادق نشأت، عبد الحليم حسين)، ط١، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٤٦. خان أفندي، سيد يعقوب (٢٠١٥م). شرح فصوص الحكم (تحقيق: عاصم الكيالي)، كتاب-ناشرون.

٤٧. الخراشي، سليمان بن صالح (١٩٩٣م). محمّد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، دار الجواب.

٤٨. الرازي، فخر الدّين محمّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (١٤٠٠ هـ). المحصول في علم الأصول (تحقيق: طه جابر فياض العلواني)، ط١، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٤٩. الرازي، فخر الدّين محمّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (٢٠٠٠(. مفاتيح الغيب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٠. رستم، رشاد (١٩٣٩م). توحيد الإسلام والنّصرانيّة بين محمّد عبده وأحد قسس الإنكليز، مجلة الهلال، عدد فبراير ١٩٣٩م، ص ٣٩٢، الرابط: https:// ٢٦٥٦٥٢/١٣٣١٠/١٣٤/archive.alsharekh.org/Articles

٥١. رضا، محمّد رشيد (٢٠٠٦م). تاريخ الأستاذ الإمام، ط: ٢، دار الفضيلة، القاهرة.

٥٢. رضا، محمّد رشيد (١٩٠٦م). تاريخ الأستاذ الإمام، مطبعة المنار.

٥٣. رضا، محمّد رشيد (١٩٩٠م). تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥٤. الزركشي، بدر الدّين محمّد بن عبد الله بن بهادر (٢٠٠٠م). البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

٥٥. الذهبي، محمّد بن الحسين. الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم: دوافعها ودفعها، مكتبة وهبة، مصر.

٥٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، دار الفكر.

٥٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٢٠٠٥م). نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدّين، السعودية.

٥٨. سمرين، يوسف (١٤٣٩ه). بؤس التلفيق: نقد الأسس الّتي قام عليها طرح محمّد شحرور، ط:٢، مركز دلائل، الرياض.

٥٩. شحرور، محمّد. الإسلام والإيمان، الرابط: https://shahrour.org/?p=٤٢١٩.

٦٠. شحرور، محمّد. الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق.

٦١. شريعتي، علي (٢٠١٦م). جمال البنا يتحدث عن جمال الدّين الأفغاني، مجلة الحوار المتمدّن، الحوار المتمدن-العدد: ٥٢١٨ - ٢٠١٦.

٦٢. الشهرستاني، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد. الملل والنّحل، مؤسسة الحلبي.

٦٣. صبري، مصطفى (١٩٥٠). موقف العقل والعلم من رب العالمين، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

٦٤. الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي)، ط١، دار هجر.

٦٥. الطوفي، نجم الدّين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (٢٠٠٥). الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (تحقيق: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٦. عبد العزيز، حسين (٢٠٢٢). مارتن لوثر: أصولية دينية تمهّد للحداثة، مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، قسم الدراسات الدّينية.

٦٧. عبد القاهر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر التميمي الأسفراييني، أبو منصور (١٩٧٧م). الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٦٨. عبد المحسن، عبد الراضي محمّد. الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٦٩. عبده، محمّد. رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي.

٧٠. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (١٣٧٩ هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة.

٧١. العزب، هبة جمال الدّين محمّد (٢٠٢١م). الدبلوماسية الرّوحيّة والمشترك الإبراهيمي: المخطط الاستعماري للقرن الجديد، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٥٠٤.

٧٢. العزب، هبة (٢٠٢٢). الدبلوماسية الرّوحيّة والمشترك الإبراهيمي، ط ٢، مركز دراسات الوحدة العربية.

٧٣. العزب، هبة جمال الدّين محمّد (٢٠٢١). الرؤية الصهونية للقومية العربية بين الفكر والمخطط، مج ٦، عدد: ١٢، المقالة ٥، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والسّياسيّة، جامعة الاسكندرية.

٧٤. عقيقي، نجيب. المستشرقون، دار المعارف القاهرة - مصر.

٧٥. العلائي، الحافظ صلاح الدّين أبو سعيد (١٩٩٧ م). تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم (تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود)، درا الأرقم بن أبي الأرقم.

٧٦. الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي (٢٠٠٤ م). الاقتصاد في الاعتقاد (تحقيق: عبد الله محمّد الخليلي)، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت.

٧٧. عمارة، محمّد (٢٠٠٦م). فتنة التكفير، دار السلام.

٧٨. الغماري، عبد العزيز بن محمّد بن الصديق الغماري. إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادات في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة، دار الفكر.

٧٩. عياض، القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي. الشفا بتعريف حقوق المصطفى (تحقيق: عبده علي كوشك)، حكومة دبي.

٨٠. فتاح، عرفان عبد الحميد (١٩٩٣م). نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ط١، دار الجيل بيروت.

٨١. قادري، محمّد الحافظ (٢٠٢٠)، وحدة الأديان في فكر روجيه جارودي، جامعة الجزائر.

٨٢. القرافي، أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي شهاب الدّين أبو العباس (١٩٨٧م). الأجوبة الفاخرة عن الأجوبة الأسئلة الفاجرة (تحقيق: بكر زكي عوض)، ط ٢، شركة سعيد رأفت للطباعة.

٨٣. القرافي، شهاب الدّين أحمد بن إدريس (١٩٩٩م). العقد المنظوم في الخصوص والعموم (تحقيق: أحمد الختم عبد الله)، مصر، دار الكتبي.

٨٤. القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدّين القرطبي (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٨٥. القرواشي، لحسن (٢٠٠٥م). الفكر المسيحي الكاثوليكي في مواجهة الحداثة من المجمع الفاتيكاني الأوّل (١٨٦٩ م/ ١٨٧٠ م) إلى المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ م/ ١٩٦٥ م)، ط ١، المجلد الثاني عشر من السلسلة الثامنة من منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس.

٨٦. كلاوي، رامي. روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان، دار قتيبة، دمشق.

٨٧. كاميليا حلمي محمّد. دور المنظمات الدولية في نشر الشذوذ حول العالم، مجلة البيان، العدد ٤٣١.

٨٨. المخزومي، محمّد باشا (١٩٣١م). خاطرات جمال الدّين الأفغاني، المطبعة العلمية، بيروت.

٨٩. مسعودي عبير، وقرفي، فاطمة الزهراء. التعددية الدّينية في فكر روجيه جارودي، جامعة الشهيد حمه الأخضر.

٩٠. المسكيني، فتحي (٢٠١٨م). الإبراهيميون والعدم؛ السيرة الخفية للاستخلاف، مقالات، قسم الفلسفة والعلوم الإسلامية، موقع مؤمنون بلا حدود: https://tinyurl.com/yujxc٩sp

٩١. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. صحيح مسلم (تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٢. المغربي، عبد القادر. جمال الدّين الأفغاني ذكريات وأحاديث، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة.

٩٣. سعيد، إدوارد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق (ترجمة: محمّد عناني)، رؤية للنشر والتوزيع.

٩٤. المولى، سعود (١٩٩٧). الخيار العربي للفاتيكان بين المجمع الثاني والسينودوس، مركز الدراسات الاستراتيجية، شؤون الأوسط، عدد:٦٣.

٩٥. النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (٢٠٠٨). إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود (تحقيق: رائد الطائي ووليد العبيدي)، مجلة التربية والعلم، المجلد (١٥)، العدد (٤).

٩٦. النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل. الرّد المتين على منتقص العارف محي الدّين، اسطنبول - مكتبة ملت - علي أميري A.E Arabi ٩٩٥.

٩٧. نور الدّين الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (١٤٠٠ هـ). السيرة الحلبية، دار المعرفة، بيروت.

٩٨. النووي، محيي الدّين يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمّد معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٩. النيسابوري، نظام الدّين الحسن بن محمّد بن حسين القمي النيسابوري (١٩٩٦). غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تحقيق: الشيخ زكريا عميران)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٠. يوسف، تقي محمّد (٢٠٢١م). مولانا- الضيف- صاحب المقام: الدّين في أفلام إبراهيم عيسى، مصر، مركز خطوة للتوثيق والدراسات. على الرابط:

١٠١. مولانا-الضيف-صاحب-المقام-الدّين-في-أفل

http://www.khotwacenter.com/

ثانيا، قائمة المصادر والمراجع غير العربية.

1. Adam J. Silverstein, Guy G. Stroumsa, Moshe Blidstein (2015), The Oxford Handbook of the Abrahamic Religions, first edition, Oxford university press.

2. Dow, Daniel, A Dissertation On The Sinaitic and Abrahamic Covenants: Shewing the Former to be only Temporary; the Latter Everlasting. Hartford: Peter B. Gleason and Co, 1811.

3. Dow, Timothy, DIFFERENCES BETWEEN THE SINAITIC AND ABRAHAMIC COVENANTS, from: https://tinyurl.com/39ezvdpx

4. Gavin D'Costa, Vatican II: Catholic Doctrines on Jews and Muslims, oxford university press, 2014.

5. Krokus, Christian S. (2012). Louis Massignon's influence on the teaching of Vatican II on Muslims and Islam, Vol. 23, No. 3, July 2012, 329–345, Islam and Christian–Muslim Relations.

6. Samuel Noble and Alexander Treiger (2014). The Orthodox Church in the Arab World, 700–1700: An Anthology of Sources, Cornell University Press, Northern Illinois University Press.

7. Uehlinger, Christoph (2020). The Oxford Handbook of the Abrahamic Religions, edited by: Adam J. Silverstein, Guy G. Stroumsa, and Moshe Blidstein. Numen: International Review for the History of Religions, 67(4):403-409, Zurich Open Repository and Archive, University of Zurich. DOI: https://doi.org/10.1163/15685276-12341589

ثالثًا، قائمة المصادر المرئية.

١. إبراهيم، عدنان. نجاة أهل الكتاب، الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=ucBkuQIXJ3k.

٢. بحيري، إسلام. برنامج «إسلام حرّ»، الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=6Bof7aqhOqA.

٣. بحيري، إسلام. البوصلة، الرابط:

https://twitter.com/elbosla/status/1315774243817353216?lang=ar.

٤. بحيري، إسلام. بوصلة: القرآن وإيمان أهل الكتاب، الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=hMBYC4ARGHU&ab_channel=TeNTV

٥. عيسى إبراهيم. برنامج "مختلف عليه"، حلقة: «من الكافر؟» على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=6Id1QTvZoRI

٦. عيسى، إبراهيم. برنامج "مختلف عليه"، حلقة: «من سيدخل الجنة؟» على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=stkbBUMR8po

رابعا، قائمة المواقع الإلكترونية.

١. الموقع الرسمي للويس ماسينيون (باللغة الفرنسية):

http://louismassignon.fr/

٢. الموقع الرسمي لمنظمة راند:

https://www.rand.org

٣. موقع «الوكالة الأمريكية للإعلام العالمي" (U.S. Agency for Global Media) التابع لحكومة الولايات المتحدة، الرابط:

https://www.usagm.gov/

٤. الموقع الرسمي للشيخ عبد الله بن بيّه، الرابط:

https://binbayyah.net

٥. موقع الفاتيكيان الرسمي، على الرابط:

https://www.vatican.va

٦. موقع «إعلام» على الرابط:

https://www.e3lam.com/539375

٧. موقع "المركز الدولي للدّيانة والدبلوماسية في واشنطن"

(International Center for Religion & Diplomacy) على الرابط https://icrd.org

٨. موقع «مسار إبراهيم» على الرابط:

https://www.abrahampath.org

٩. موقع:

The times of Israel:https://ar.timesofisrael.com

١٠. موقع: معهد مراقبة السلام والتسامح الثقافي في التعليم المدرسي على الرابط:

https://www.impact-se.org

١١. موقع قناة الحرة الأمريكية على الرابط:

https://www.alhurra.com

١٢. موقع وكالة رويترز للأنباء، على الرابط:

https://www.reuters.com

١٣. موقع هيئة الإذاعة البريطانية على الرابط:

https://www.bbc.com

١٤. موقع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية على الرابط:

https://www.madarcenter.org

١٥. موقع إسرائيل ٢٤، على الرابط:

https://www.i24news.tv

١٦. موقع مركز دراسات الإخاء الإنساني، على الرابط:

https://human-fraternity.org/

١٧. مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة، على الرابط:

https://mohammadhabash.org

المحتويات





الإبراهيميّةُ فكرةٌ دينيَّةٌ تقوم على الطّعن في عالميّة الرِّسالة المُحمَّديّة وخاتميّتِها ونَسخِها للشّرائع السَّابقة، وقد تُدُوولت مؤخّرًا في فضاءِ مشروعين فكريّين: "المشروعُ الحداثيّ العربيّ" الهادفَ إلى اسْتلاب الثّقافةَ الإسلاميّة وتذويب ثوابتها، و"مشروعُ التّصوف الفلسفيّ". وقد تناول الكتاب تاريخ الإبراهيميّة الدّينيّة منذ العهد المدني إلى زماننا وِفقَ مَنهَجِ تاريخ الأفكار، وبَيَّنَ تمَظهُراتها وصُوَرَها.

وتقوم "الإبراهيميّة السّياسيّة" أو "الاتّفاقيّات الإبراهيميّة" بتوظيف مخرجات الإبراهيميّة الدّينيّة للتّرويج لتطبيع العلاقات الصّهيو-عربية علَى مستوى الشّعوب عبر عدد من المبادرات الدّينيّة -فيما اصطُلِحَ عليه بالدبلوماسية الروحية- بهدف تصفية القضيّة الفلسطينيّة والاستحواذ على المسجد الأقصى المبارك. ومن أهم تلكَم المبَادرات :"منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة" الذي يرأسه عبد الله بن بيه، و"بيت العائلة الإبراهيميّ" الذي يَتَولَّى التّرويج للتّطبيع فيه الصهيوني لؤي الشريف، بالإضافة إلى "مسارات الحج الإبراهيمي المشترك" وغير ذلك. كما يتم تنفيذ توصيات منظمة "راند" البحثية الأمريكية، بالتّرويج لشخصيات دينيّة وإعلاميّة حداثيّة أو متأثِّرَة بالتَّصوّف الفلسفي كمحمد شحرور، وإبراهيم عيسى، وعدنان إبراهيم، ووسيم يوسف، وإسلام بحيري، ومحمد حبش، فتسخّر لهم الفضائيات ومنصّات التّواصل الاجتماعي وغيرها. كما تطرق الكتاب لمجالات التطبيع الأكاديمي والاقتصادي والثّقافي والسّياحي والأمني.

وخُتِم الكتاب بإقامة الدّلالة على عالميّة الرّسالة المُحَمَّدِيّة، وردّ شبهاتِ دُعاةِ الإبراهيمية عنها.

فاتح الأحمد

